الجامعة الأميركية في بيروت

منشورات كلية العلوم والآداب

سلسلة العلوم الشرقية : الحلقة الثالثة عشرة

سلسلة العلوم الشرقية :

(١) — (٣) مجموعة الاصول العربية لتاريخ سوريا في عهد محمد علي باشا
للدكتور اسد رستم المجلدات الاول والثاني والخامس . سنة ١٩٣٠—١٩٣٣

(٤) امراء غسان لثيودور نولدكه . ترجمة الاستاذين بندلي جوزي وقسطنطين زريق
سنة ١٩٣٣

(٥) مجموعة الاصول العربية .... المجلد (الثالث والرابع) . سنة ١٩٣٤

(٦) اليزيدية قديماً وحديثاً للامير اسماعيل جول . نشره الدكتور قسطنطين زريق
سنة ١٩٣٤

(٧) عمر ابن ابي ربيعة : عصره وحياته وشعره . للاستاذ جبرائيل جبور
الجزء الاول . عصر ابن ابي ربيعة سنة ١٩٣٥

(٨) اسباب الحملة المصرية على سوريا كما تظهر في سجلات عابدين الملكية
للدكتور اسد رستم سنة ١٩٣٦

(٩) تاريخ ابن الفرات : لناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات
المجلد التاسع ، الجزء الاول . نشره الدكتور قسطنطين زريق سنة ١٩٣٦

(١٠) تاريخ ابن الفرات : المجلد التاسع الجزء الثاني لناشريه الدكتور قسطنطين زريق
والدكتورة نجلا عز الدين سنة ١٩٣٨

(١١) الاضطرابات في فلسطين سنة ١٨٣٤ كما تظهر في سجلات عابدين الملكية
للدكتور اسد رستم سنة ١٩٣٨

(١٢) ديوان ابن الساعاتي . عني بتحقيقه ونشره الاستاذ انيس المقدسي
الجزء الاول سنة ١٩٣٨

عمر ابن أبي ربيعة

وهو دراسة تحليلية في ثلاثة أجزاء تبحث في عصره وحياته وشعره

الجزء الثاني

حياة ابن أبي ربيعة

بقلم

جبرائيل سليمان جبور

أحد أساتذة الدائرة العربية في جامعة بيروت الأميركية

المطبعة الاميركانية — بيروت ، سنة ١٩٣٩

رَغبةً لذكرى والدي

واقرارًا بفضله وفضل امي عليَّ

فهرس المحتويات *

توطئة عامة ١—٢
قبيلته ومكانتها في الجاهلية والاسلام ٣—١٠
اهله ١١—٢٣
مولده ٢٤—٣٠
هيئته ولبسه ٣١—٣٧
غناه وثروته ٣٨—٣٩
نشأته ٤٠—٥١
حياته في المدينة ٥٢—٥٤
اصحابه في المدينة ٥٥—٦٨
انتقاله الى مكّة ٦٩—٨٠
رحلاته ٨١—٩٥
عمر والخلفاء ٩٦—١٠٤
عمر وازواجه واولاده ١٠٥—١٠٨
سبل اللهو التي سلكها ١٠٩—١٣٦
اخلاقه ١٣٧—١٨٠
فسقه ١٨١—١٨٨
توبته ونسكه ١٨٩—١٩٥
موته ١٩٦—٢٠٣
جدول المآخذ ٢٠٥—٢٠٨
فهرس مفصل لحياة عمر ٢٠٩—٢١٦

فهرس عام للأسماء والاعلام ٢١٧—٢٢٧

---

* انظر الفهرس المفصل لحياة عمر ابن ابي ربيعة ص ٢٠٩

المقدّمة

كان ذلك في ربيع سنة ١٩٣٠ وكنت في حلوان ازور استاذي المستشرق السر توماس أرنولد ، وكان يعلم أني أعدُّ بحثاً في عمر ابن ابي ربيعة ، فاستقبلني في حديقة النزل ، وكانت اول كلمة بدأ حديثه بها اليّ : ألا تشعر وأنت تدرس عمر انه قريبٌ منك ؟ ألستَ تراه يمدّ اليك يداً فوق هذه الحقب ليصافحك ويحييك ؟ قلت بلى ! وازعم الآن أني ما فتحت ديوان عمر مرّةً وقرأت فيه الاّ احسست ان عمر قد بدا أمامي طاوياً هذه الثلاثة عشر قرناً التي تفصله عنّي ، ثم لا اكاد أندفع في قراءة شعره حتى يحملني معه وينقلني بطرفة عين الى مرابع انسه ، ومجالس سمره ، ومغاني طربه ، فاشاطره لذّة عيشه ، وأرافقه في مغامرات حبّه حتى لكأنّي انهز معه بدلوه وأُسيم سرح لهوه ، فاذا قصد العقيق قصدت العقيق ، واذا استمع الى الغناء استمعت معه الى الغناء ، واذا دنا موسم الحجّ وهيّأ نفسه له هيّأت نفسي وسرت معه بين مواكب الحجّاج نتصفّح الوجوه الباسمة ونزنو الى العيون الفاتنة ، نُوكّل معاً بالجمال ونستجلي منه السحر الحلال .

وكانت هذه السنوات التي قضيتها برفقة عمر من امتع الاوقات وانفعها ، عرّفني عمر فيها على عصره وحياة مواطنيه في الحجاز وباديها فاصدرت في ذاك الجزء الاول من كتابي عنه وأسميته « عصر ابن ابي ربيعة » ، درست فيه نواحي الحياة المختلفة عند العرب في ذلك الزمن ، وجعلته توطئة لدرس عمر نفسه .

ثم حملني عمر الى بيئته الخاصة فعشت معه بين اهله واصحابه ولازمته في جميع اطواره فاستطعت ان افهم حبّ الناس له وتعلّقهم به وسمعت صديقه ابن ابي عتيق يقول له : أفٍّ للدنيا بعدك يا أبا الخطّاب . وادركت خطر هذا الشعر وفِتنته حين كان يُملى على عامر

ابن صالح فيكتبه ويده تُرعد من الفرح ، او يُنشد امام طلحة بن عبدالله بن عوف وهو راكب ناقته فيقف وما يزال شانقاً ناقته حتى يُكتب له ، أو يفد به صاحبه على عبدالله بن عباس وعنده ناسٌ من الخوارج قد ضربوا اليه اكباد الإبل من أقاصي البلاد ليسألوه عن الحلال والحرام فينصرف عنهم ويتثاقل ويقبل على منشده ويستمع اليه ، حتى اذا لِيم في ذلك قال : انها « أمن آلِ نعمٍ » وانّا نستجيدها .

وها انا الآن وانا اقدّم عمر الى القارئ في هـذا الجزء الذي يدور على حياته أنظر فارى عمر بجانبي شاباً غضّ الشباب مُنعَّمه ، بقامة طويلة ناحلة ، ووجهٍ وسيمٍ أكسبته شمس الحجاز سمرةً جذّابة ، وفمٍ بَسّام يفترّ عن ثنيتين أصابتهما ضربة من يد حبيب فنغضتا ثم ثُبّتتا واسودّتا ، ونفسٍ مرِحةٍ محبّبةٍ رضيّةٍ هنيّة يروق للناس اصطحابها .

وانهـا حلفت بالله جاهدةً وما أهلّ له الحجاج واعتمروا
ما وافق النفس من شيء تُسرُّ به واعجب العين الاّ فوقه عمرُ

وسيرى القارئ اني عرضت في هذا الجزء الذي بين يديه الى جميع ما له صلةٌ بعمر من جدّ الحياة ولهوها . درست عشيرته وأهله ، وهيئته ولبسه ، وعزّه وثروته ، ومولده ونشأته ، وأشرت الى الثقافة التي ثقفها ، والعلوم التي لقنها ، واستعرضت حياته في المدينة وفي مكة واصحابه فيهما ، ورحلاته التي قام بها ، وسبل اللهو التي سلكها في مرابع الطرب ومجالس السمر ومواسم الحجّ ، ووصفت اخلاقه وفسقه وتوبته ونسكه غير أني أبقيت شيئين لا ينفصلان الواحد عن الآخر هما حبّه وشعره وموعدنا لبحثهما الجزء الثالث .

جبرائيل جبور

جامعة بيروت الاميركية

في ٢٥ حزيران سنة ١٩٣٩

توطئة

دنا موسم الحج عام ثلاثة وعشرين للهجرة ، وكان موسماً حافلاً ، فقد كان عمر بن الخطاب قد وطّد أركان الخلافة وثبّت دعائم الملك ، وكان العرب قد اخضعوا الفرس والروم وغلبوهم على ممتلكاتهم في العراق وفارس والشام ومصر ، وكان قد تحدّر الى الحجاز سيل كبير من سبي هذه الاقطار فُرّق في اهليه واخذوا يقومون لهم في مختلف الاعمال .

وشرعت وفود الحجاج تؤم بيت الله الحرام قادمةً من بلدانها المختلفة يتقدمهم عمّال عمر عليها ، وكان من سنّته فيما يروون ان يأخذ عمّاله بوافاة الحج في كل سنة ، فيحاسبهم ويناقشهم في سياستهم ويفسح لرعاياهم مجالاً لشكايتهم ووقتاً ينهونها فيه اليه .[1]

وانسلخت ايام الحج بهدوء وسلام ، فنفر الناس الى اوطانهم وغادروا مكة الاّ من آثر البقاء فيها للتبرّك بمشاهدها والعيش في حماها ، وعاد عمر الى المدينة مقر خلافته مع من عاد اليها من عمّاله واتباعه وشهرُ ذي الحجة لم ينسلخ بعد .

وكانت ليلة السادس والعشرين من الشهر نفسه ، القمر في اواخره ولم يبق له الاّ ايام اربعة حتى يولد من جديد ، وقد وافقت ليلة الرابع من تشرين الثاني سنة ٦٤٤ م . فكانت ليلةً من ليالي قلب الخريف الثقيلة المظلمة ، وقد رقدت يثرب مدينة النبي في هدوء ذلك الظلام واجمة ساكنة غير عالمة بما خبأه لها من الامر صبح ذلك الليل .

هوذا الفجر يتنفس فينعش طيب انفاسه ما حول المدينة من ربى واودية ، ثم هوذا هو يتحرّك فيبرز أُحد ويظهر العقيق ، وتدبّ الحياة في ساحات طيبة فينتفض المصلّى والبلاط والبقيع ، وقد نهض الخليفة عمر باكراً الى الصلاة كعادته ، واخذ الناس يتهافتون افواجاً متزاحمة الى مسجد النبيّ ، فوكل بالصفوف رجالاً حتى اذا استوت تقدم هو فكبّر .[2]

ودخل في هؤلاء الناس رجل فارسيّ ، مولى للمغيرة بن شعبة ، لعله لم ينم تلك الليلة ، او لعله كان يرقب مثل تلك الليلة المظلمة ويعد عدته لينفذ في فجرها جريمته النكراء .

---

١) الطبري ١ : ٢٦٨

٢) الطبري ١ : ٢٧٢٣

واستوى متنكراً بين المصلين في الصف الاول ملفع الراس . وقد أخفى في ثيابه خنجراً طويلاً له رأسان مقبضه في وسطه ، ثم هوذا هو يبدر من صفه والخنجر بيده فيطعن الخليفة فيقع عمر يتخبط بدمائه ثم يتجلد قليلاً وينادي بابن عوف ان يتقدم الناس بالصلاة فيصلي ابن عوف وعمر يعالج الموت .[١]

مات الفاروق وذاع النبأ في المدينة فاستسلمت الى حزن عميق . وانها لفي حزنها ، وصوت النعيّ بمقتل الخليفة يتردد في بيوتها لينقله الركبان الى سائر اقطار الجزيرة والبلاد المحتلة ، اذا بصوت البشير في بيت صحابيّ قرشي من بني مخزوم يؤذن بولادة صبيّ له . قالوا : فسمّي الصبيّ باسم الخليفة المقتول وكنّي بكنيته .[٢] ترى أنال عمر شيئاً من بركة هذا الاسم ؟ ترى أعوّضت قريش شيئاً بولادة هذا الصبي عن فقد زعيمها ؟ ليس هنا موضع بحث هذا ، ولكنّ الرواة ذكروا ان بعضهم سمع بهذا التصادف فيما بعد فقال : اي حقّ رفع وايّ باطل وضع .[٣]

ولعلّ من الخير الآن ان نترك هذا القرشي الصغير هادئاً في مهده وننطلق نتعرف الى عشيرته واهله . فقد ييسّر ذلك علينا فهم المحيط الذي نشأ فيه ويهيّئ امامنا السبيل لدرس الحياة التي عاشها بين ذويه ومعاصريه .

---

١) الطبري ١ : ٢٧١٣ والواقدي (ف) ١٢٣ وفي الاخير ان القاتل شقّ الناس ووثبوا يتعادون خلفه فكان كلما لحقه رجل منهم ضربه بخنجره حتى جرح من المسلمين ثلاثة عشر رجلاً مات منهم ستة وأتاه رجل من ورائه فالقى عليه برنساً فاخذه فلما علم ابو لؤلؤة انه مقتول وجى نفسه بالخنجر فقتل نفسه .

٢) الاصبهاني ١ : ٣٤ ؛ وابن خلّكان ١ : ٥٣٩ و٢ : ١٥٩ ؛ والبغدادي ١ : ٣٤٠

٣) الاصبهاني ١ : ٣٤ ؛ والعيني ١ : ٣١٥ ؛ والدميري ١ : ٢٢٦

قبيلته ومكانتها في الجاهلية والاسلام

من قريش

« اولئك قومي لا وجدّك لا ارى لهم شبهاً فيمن على الارض معشرا »

هو من قريش ذلك القبيل الذي انجب محمد بن عبدالله نبيّ العرب وموحّد كلمتهم . وكانت قريش في قديمها قد استقرّت في بلدة تقع على مفترق الطرق التجارية العربية ، هي مكة . ثم لم تلبث هذه الجالية الجديدة ان تولت الزعامة فيها وحملت عبء المسؤولية الكبرى ، فسارت بتجارة البلد احسن سير ، واحكمت ربط العلاقات مع مجاوريه ، فنفذت منه الى اليمن حتى شواطىء البحر الهندي ، واتصلت ببابل وسورية ، وعبرت البحر الاحمر الى افريقية ، وعقدت المحالفات مع اقيال اليمن وشيوخ نجد وامراء العراق وزعماء سورية ورؤوس الحبشة . وكان لهم متجر عظيم ومضطرب واسع يتنقلون بين اطرافه في رحلات خاصة فيشترون السلع من قطر ثم يبيعونها في اسواق القطر الآخر .[1] « لايلاف قريشٍ إيلافِهم رِحلةَ الشتاء والصيف فَليعبُدُوا ربَّ هذا البيتِ الذي أَطعمهم من جوعٍ وآمنهم من خوفٍ . »[2]

وكانت قريش فريقين : فريقاً حلّ ببطحاء مكة فكانت بيوتهم حول بئر زمزم ، وقرب ساحة الكعبة ، فعرفوا بقريش البطاح ، وفريقاً استقر في ظواهر البلد ، فعرفوا بقريش الظواهر .

وكانت قريش البطاح عشرة بطون[3] لها شرفها ومكرماتها . وقد وزّعت على رؤساء هذه البيوت الكبيرة مصالح الحكم والسلطان فكانوا اصحاب النفوذ في مكة وكان اعظم هذه البطون مكانة ثلاثة : هاشم واميّة ومخزوم .

---

١) راجع اذا شئت التوسع مقالَي الاب لامنس في الموسوعة الاسلامية تحت Mecca و Kuraish

٢) القرآن ١٠٦

٣) هاشم ، واميّة ، ونوفل ، وعبدالدار ، واسد ، وتيم ، ومخزوم ، وعديّ ، وجمح ، وسهم راجع ابن عبد ربه ٢ : ٤٥

من مخزوم

وكان حظ هذا الصبي ان يتحدَّر من مخزوم . ومخزوم ريحانة قريش [١] ، وبيت من بيوتها الاولى في الشرف والجاه والعزّ والمنعة والجود .[٢] يرجع نسبهم الى يقظة بن مرّة ، ثم الى قريش دون ان يتصل بقُصيّ .[٣] ويزعم الرواة ان نصيب مخزوم من مكرمات قريش في الجاهلية كان القبّة والاعنّة ، ويذهب البعض الى ان هذه المكرمة ظلت لهم في الاسلام فكان منهم خالد بن الوليد الذي انتهى اليه شرفها في الجاهلية فوصله بالاسلام .[٤]

غنى بني مخزوم

ولقد عرف بنو مخزوم بالثروة والغنى في جاهليتهم ، فكان منهم التجار المتمولون امثال الوليد بن المغيرة وقد قال فيه القرآن فيما يقول المفسرون « ذرني ومن خلقتُ وحيداً وجعلتَ له مالاً ممدوداً وبنين شهوداً ومهدت له تمهيداً ثم يطمعُ ان ازيدَ كلّا انه كان لآياتنا عنيداً . »[٥] وعِكرِمة ابن ابي جهل ، وقد رويَ عنه انه لما وفد على النبي مسلماً قال له النبي : « ما انت لتسألني اليوم شيئاً اعطيه احداً من الناس الاّ اعطيتكه . » قال عِكرِمة : « فقلت ما انا لأسالك مالاً ، اني لمن اكثر قريش مالاً . »[٦] وقد كان لهذه العشيرة المخزومية من الاموال في قافلة بدر ما قيمته نحو خمسة الاف مثقال من الذهب .[٧] ومما يؤيد انه كان في حوزتهم كثير من النقد انهم عرضوا على النبي ، فيما

---

١) ابن عبد ربه ٢ : ١٥٤ وابن ابي الحديد ٤ : ٢٩١

٢) ابن ابي الحديد ٤ : ٢٩٣

٣) وستنفلد S. ، و G. T.

٤) ابن عبد ربه ٢ : ٤٥ وفيه : « امّا القبّة فانهم كانوا يضربونها ثم يجمعون اليها ما يجهزون به الجيش — جيش قريش — واما الاعنّة فانهم كانوا على خيل قريش في الحرب . » غير ان الاب لامنس ينكر ان يكون لهاتين المكرمتين هذا المعنى الحربي، ويزعم ان القبّة من بقايا تقاليد القوم في الجاهلية، وانها كانت تحوي رموزاً لمعبوداتهم وتوضع كهودج على جمل وتتناوب الاشراف والاعيان قيادة الجمل من عنانه . وينفي ان يكون ابن الوليد قد احتكر هذه المكرمة (الموسوعة الاسلامية ، تحت Mecca ، ص ٤٢٨

٥) القرآن ٧٤ : ١١—١٦ ؛ والبيضاوي ٢ : ٣٦٨

٦) الطبري ٣ : ٢٣٨٦

٧) لامنس : الموسوعة الاسلامية ، تحت Makhzum ، ص ١٧٣

يروى ، ان يبيعهم جسد قتيل واحد من قومهم قتل يوم الخندق ، واعطوه بجسده عشرة آلاف درهم .[١] وقدموا في فداء اسراهم في واقعة بدر ، فافتدوا كل اسير باربعة آلاف درهم .[٢] واستسلف النبي من احدهم بعد فتح مكة بضعة عشر الفاً ، فلما رجع من حنين دعا به فردّ عليه ماله وشكره .[٣]

وظلّت العرب تتحدث بغناهم حتى زعموا ان معاوية قال لجلسائه ذات يوم : « اذا جاءت هاشم بقديمها وحديثها ، وجاءت بنو اميّة باحلامها وسياستها ، وبنو اسد بوافدها وديّاتها ، وبنو عبد الدار بحجابها ولوائها ، وبنو مخزوم باموالها وافعالها ، فمن ذا يحمل مضارها ويجري الى غايتها ؟ »[٤]

تجارتهم ونفوذهم

وكانوا اهل نشاط وهمة ، ويظهر انهم هم الذين فتحوا الخطوط التجارية المكّية الى مختلف الجهات لذكائهم ونشاطهم وحدّتهم ، وقد قيل فيهم انهم كالنار :

ابناء مخزوم الحريق ، اذا حركته نارةً ترى ضرما
يخرج منه الشرار مع لهب من حاد عن حده فقد سلما[٥]

ويشير الاب لامنس الى انهم في منتصف القرن السادس الميلاد كانوا مالكي زمام اهم امور مكّة لا يستثني الاّ الدينيّة ، وانه لم يكن هناك غيرهم يستطيع حفظ التعادل مع قوة الامويين التي كانت تزداد . ويذكر ان اسمهم في هذا الزمن اخذ يعرف ويشتهر حتى صار مرادفاً لقريش .[٦]

المغيرة وابناؤه

وظهر في مخزوم المغيرة بن عبدالله ؛ وكان معاصراً لعبد المطلب ، جدّ النبي العربي[٧] فكان سيّداً في عشيرته . واخذ ابناؤه ينتسبون اليه حتى صارت كلمة المغيري مرادفة

---

١) ابن هشام ٢ : ٦٩٩
٢) الواقدي (م) ١٣٦
٣) الطبري ٣ : ٢٣٨٦
٤) ابن عبد ربه ٢ : ١٣٥
٥) لامنس : الموسوعة الاسلامية تحت Makhzum ، ص ١٧١
٦) " " " " "
٧) " " " " "

للمخزومي .[1] بل كان عمر فيما يظهر من شعره يؤثر الانتساب الى المغيرة ، وقد قال :

قفي فانظري اسماء هل تعرفينه ؟ اهذا المغيري الذي كان يذكر ؟[2]

وكان للمغيرة من الابناء احد عشر ذكراً[3] كاثر بهم قريشاً ؛ ولعلّهم كانوا عاملاً في عزّه ومناعته .

ونبغ منهم ثلاثة : هشام ، والوليد ، وابو ربيعة . اما هشام فقد كان سيّداً مطاعاً ، طغى اسمه على أسماء معاصريه من رجال قريش بحيث نسب بعض الشعراء قريشاً اليه

احاديث شاعت من معدٍّ وحميرٍ وخبرها الركبان حيّ هشامِ[4]

وعزّ حتى لقب بربّ مكة فيما يزعمون .[5] وضرب ببأسه المثل ، وتغنّى بمجده الشعراء ، فقال ابن غزالة الكندي ، وهو يمدح بني شيبان ولم يكن في موضع رغبة الى بني مخزوم ولا في موضع رهبة :

كأني اذ حططت الرحل فيهم ، بمكة ، حين حلّ بها هشامُ ![6]

وقال آخر :

واصبح بطن مكّة مقشعرًّا ، كأن الارض ليس بها هشامُ ![7]

حتى اذا مات نادى منادٍ بمكة — فيما يروي ابن دريد — اشهدوا جنازة ربّكم .[8] واخذت قريش تؤرخ بوفاته لاعظامها اياه .[9]

واما الوليد اخوه فقد رووا عنه انه كان سيّداً من سادات قريش ، وجواداً من اجوادها ، وكان يلقّب بالوحيد ، وزعموا انه كان يجلس بذي المجاز فيحكم بين العرب ايام عكاظ .[10] وادرك محمداً نبيّاً فانكر عليه رسالته وقال : « اينزل على محمد واترك ، وانا كبير قريش وسيدها ، ويترك ابو مسعود عمرو بن عمير الثقفي سيد ثقيف ، ونحن عظيما

---

١) ابن عبد ربه ٣ : ٢٧٢
٢) ابن ابي ربيعة (ع) ١٨٣
٣) وستنفلد G.T. Part. II, S
٤) ابن دريد ٩٤
٥) ابن دريد ٦٣ و ٩٤
٦) ابن ابي الحديد ٤ : ٣٩٣
٧) ابن ابي الحديد ٤ : ٣٩٣
٨) ابن دريد ٦٣
٩) ابن ابي الحديد ٤ : ٣٩٣ قالوا : كانت قريش وكنانة ومن والاهم من الناس يؤرخون بثلاثة اشياء : كانوا يقولون : كان ذلك زمن مبنى الكعبة ، وكان ذلك من مجيء الفيل ، وكان ذلك عام مات هشام بن المغيرة .
١٠) ابن ابي الحديد ٤ : ٣٩٤

القريتين ؟ » . قـالوا : فنزل فيه : « وقالوا لولا نُزِّلَ هٰذا القرآنُ على رجلٍ من القريتين عظيمٍ . »[١] وهو الذي قال فيه القرآن : « ذرني ومن خلقت وحيداً .... » الى آخر الآيات[٢]

واما ابو ربيعة فقد كان فارس بني المغيرة . قاتل يوم عكاظ برحين فسمّي ، فيما يزعمون ، ذا الرحين .[٣]

وقد قال الشعراء كثيراً في هؤلاء الثلاثة وتغنوا بمجدهم :

وبَلِّغ ان بلغت بنـا هشـاماً ... وذا الرحين بلّغ والوليـدا
اولئك ، ان يكن في الناس جودٌ ... فان لديهم حسباً وجودا
هم خير المعاشر من قريش ... واوراها ، اذا قدحُوا ، زنودا[٤]

وخلّف هشـامٌ ابا جهل فكان هذا من اشد خصوم النبي ،[٥] وكذلك كان ابنه عكرمة ، فلمـا وفد الأخير على النبي بعد فتح مكّة داخلًا في الاسلام ، استبشر محمد بقدومه ، ووثب ، فيما يقول الطبري ، قائماً على رجليه ، وما عليه رداء ، فرحاً بعكرمة ، وقال له : مرحباً بالراكب المسافر او المهاجر .[٦] وقال ابن ابي الحديد : « لم يقم رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله لرجل داخل عليه من الناس شريف او مشروف الاّ عكرمة ، وهو بعد مشرك ولم يسلم . »[٧]

وخلّف الوليد عمّارة فكان هذا فيما يروون احد ازواد الركب ، وهم قوم كانوا لا يمرّ عليهم احد الاّ قروه واحسنوا ضيافته وزوّدوه ما يحتاج لسفره .[٨] ويزعم بعض الرواة انه هو الذي كان يلقب بالوحيد[٩] وكان يشرب الخمرة وينظم الشعر .[١٠] وخلّف الوليد ايضاً خالداً الشهير ، فكان خالدٌ اول امره كابي جهل من اشدّ الناس خصومة للنبيّ العربي ثم أسلم قبـل فتح مكة ، كما هو معروف ، واشترك بعدئذٍ في الفتوحات الاسلامية ، فكان من اشهر القوّاد المسلمين على الاطلاق . وقد اسلفنا ان بعض الرواة يزعم ان خالداً

---

١) ابن عبد ربه ٣ : ٢٥ ، والاصبهاني ١٥ : ١١ وابن هشام ١ : ٢٢٨
٢) البيضاوي ٢ : ٢٦٨
٣) الاصبهاني ١ : ٣٠
٤) ابن ابي الحديد ٤ : ٢٩٥
٥) ابن هشام ١ : ٢٦٣
٦) الطبري ٣ : ٢٠٧
٧) ابن ابي الحديد ٤ : ٢٩٦
٨) الاصبهاني ١٦ : ١٥٨
٩) الاصبهاني ١٦ : ١٥٨
١٠) الاصبهاني ١٦ : ١٥٨

هذا هو الذي انتهى اليه شرف المكرمة التي كانت لبني مخزوم في الجاهلية فوصله بالاسلام. وكان لخالد من الشهرة بصحبة محمد والغَناء في حروبه المحلّ المعروف حتى لقبه محمد بسيف الله . ويروى انه لما هاجر الى النبي محمد قبل فتح مكة هو ونفر من صحبه قال النبيّ لما رآهم لجماعته : « رمتكم مكّة بافلاذ اكبادها . »[١]

وكان عبد الرحمن ابنه ، فيما بعد ، مع بني امية في الشام . ورُوي ان معاوية لما اراد أن يظهر العقد ليزيد قال لاهل الشام : ان امير المؤمنين قد كبرت سنه ويريد ان يستخلف عليكم فمن ترون ؟ قالوا : عبد الرحمن بن خالد بن الوليد . فسكت واضمرها .[٢] وزعم بعضهم ان شأن عبد الرحمن هذا عظم بالشام فمال اليه اهلها لمكانة ابيه وغنائه عن المسلمين في ارض الروم فخافه معاوية وخشي على نفسه منه . وزعموا انه دسّ ابن اثال الطبيب اليه فسقاه سمًّا فمات .[٣]

وخلّف ابو ربيعة عبدَ الله والد شاعرنا وعيّاشاً وكان من السابقين الى الاسلام . وكان بنو المغيرة اعزّاء في قومهم ، حتى زعم الاصبهاني انه ضرب بعزهم المثل ، وذكر بيتاً من شعر أبي ذؤيب الهذلي في مرثاته الشهيرة دليلًا على شهادة الناس بعزّهم :

صخب الشوارب ، لا يزال كانه عبد لآل ابي ربيعة مسبعُ[٤]

ومما يشير الى عزّهم ما رواه ابو الفرج من ان احد المخزوميين من بني المغيرة قدم من البحرين فنزل على الزبرقان بن بدر بثائه فخلاه ، فنزل على بني انف الناقة فاكرموه ، وذبحوا له شاة وقالوا : لو كانت إبلنا قريبة منا لنحرنا لك منها . ويظهر انهم لم يكتفوا بهذا بل انبرى احد شعرائهم يمدح ضيفه ورهط ضيفه ويعيّر الزبرقان بن بدر :

اتدري من منعت ورود حوض ؟ سليل خضارم منعوا البطاحا
ازاد الركب تمنع أم هشاما وذا الرمحين امنهم سلاحا
هم منعوا الاباطح دون فهر ومن بالخيف والبدن اللقاحا
بضرب دون بيضتهم طلخف اذا الملهوف لاذ بهم وصاحا[٥]
وما تدري بايّهم تلاقي صدور المشرفيّة والرماحا[٦]

---

١) الاصبهاني ١٥ : ١١ ٢) الاصبهاني ١٥ : ١٣
٣) الطبري ٢ : ٨٣ والاصبهاني ١٥ : ١٣
٤) الاصبهاني ١ : ٢١ وانظر القرشي ٢٥٦—٢٥٧ حيث ترى الابيات التي تتصل بالبيت المذكور
٥) بيضتهم : حوزتهم وسلاحهم . طلخف : شديد
٦) الاصبهاني ٢ : ٥٩ وابن ابي الحديد ٤ : ٢٩٤

وعرفوا بالبأس والشدّة في الحرب . وفي هذه الابيات التي ذكرنا اشارة كما يرى الى بعض مآثرهم فيها . ويظهر من اقوال الرواة انه كان لبني المغيرة مكانة واثر في ايام العرب الاولى . فقد نقل عن ابي عبيدة انه ذكر في تاريخ ايام العرب في الوقائع بين هوازن وكنانة خبر يوم شرب . قال : ولم يكن بينهم يوم اعظم منه ، فحميت قريش ، وصابرت بنو مخزوم وبنو بكر . فانهزمت هوازن وقتلت قتلاً ذريعاً . وقال احدهم يمدح بني المغيرة :

الا لله قوم و — لدت اخت بني سهم
هشام وابو عبد مناف ، مدره الخصم
وذو الرمحين أشباك من القوة والحزم
فهذان يذودان وذا من كثب يرمي [1]

ويروي ابن سلّام الجحمي انه كان لبني المغيرة بلاء في الفجار .[2] ويروي ابو الفرج ان بني مخزوم كانت تلي كنانة يوم عكاظ ، فحافظت حفاظاً شديداً وكان اشدهم يومئذٍ بنو المغيرة فانهم صبروا وابلوا بلاء حسناً .[3] وزعم بعض الرواة ان ذا الرمحين سمّي كذلك لانه قاتل يومئذٍ برمحين .[4] اما في الاسلام فحسبهم خالد بن الوليد وما كان له من الاثر والبلاء في حروب الردة وفتوحات العرب في العراق والشام .[5]

ويذكر الاب لامانس انه كان لهم التأثير الاكبر في مجلس كبار مكة « الملأ » . قال : وكان في الغالب يتكلم مخزومي بالنيابة عن « الملأ » كما جرى يوم مفاوضة محمد في اول دعوته .[6]

وكانوا فيما يظهر من اشعارهم ومن اقوال الرواة عنهم جدّ معجبين بانفسهم . ولعلهم قد احسوا بقديمهم ومكانتهم وصيتهم فنشأوا فخورين ، او كما قال الجاحظ ، تيّاهين .[7] وذكر القالي في آماليه ان ام المغيرة ابن سلمة قالت وهي ترقصه :

نمى به الى الذرى هشام ، قرم ، وآباؤه له كرام
جحاجح خضارم عظام من آل مخزوم ، هم الاعلام
الهامة العلياء والسنام [8]

---

١) ابن عبد ربه ٣ : ٣٧٢ ؛ والاصبهاني ١ : ٣٠ و ٣١ ٢) ابن سلاّم ٥٨
٣) الاصبهاني ١٩ : ٧٩ ٤) الاصبهاني ١ : ٣٠
٥) يرى بعض المستشرقين ان اخبار بأس قريش وسطوتها وشجاعتها في الحرب مبالغ فيها : راجع المشرق ١٩٣٦ ١ : ١—٢٢
٦) لامنس — الموسوعة الاسلامية ، تحت Makhzum
٧) الجاحظ (ب) ٢ : ١٧٧ ٨) القالي ٢ : ١١٨

ويظهر انهم فقدوا كثيراً من زعمائهم ورجالهم في واقعة بدر ، فاديل منهم واضطروا فيما بعد ان يتخلوا عن الزعامة لغيرهم من زعماء بيوتات قريش .[1] ويلوح لنا انه مما اضرّ بشهرتهم وسمعتهم في اخبار المؤرخين المسلمين انهم كانوا اشدّ من ناصب النبيّ محمداً العداء . وان الأخبار المسطورة في كتب التاريخ العربي تتخذ من شخص ابي جهل عدواً كبيراً لمحمّد والاسلام . ولعلّ مقاومتهم للاسلام ، هم وبنو امية ، كانت من الاسباب التي دعت البعض ان يسمي القبيلتين « بالاخوين » ،[2] وحملت بعض المؤرخين على الغضّ من مكانتهما قبل الاسلام وبعده . ومهما يكن من الامر فقد حافظ بنو مخزوم في الاسلام على شيء من مكانتهم وجاههم ووجد بين المؤرخين من انصفهم . ولقد وضع ابن ابي الحديد في شرحه لنهج البلاغة فصلًا في فضائل بني مخزوم ، فيه قصة تصح ان تكون ملخصاً له . قال :

« سال الحجاج اعشى همدان عن بيوتات قريش في الجاهلية . فقال : اني قد آليت الاّ انفر احداً على احد . ولكن اقول وتسمعون . قالوا : فقل . قال : من ايّهم المحتب في اهله ، المؤرّخ بذكره ، محلي الكعبة ، وضارب القبة ، والملقب بالخير ، وصاحب الخير والمير ؟ قالوا : من بني مخزوم . قال : فمن ايّهم ضجيع بسباسة ، والمنحور عنه الف ناقة ، وزاد الركب ، ومبيض البطحاء ؟ قالوا : من بني مخزوم . قال فمن ايّهم كان المقنع في حكمه ، والمنفّذ وصيته على تهكمه ، وعدل الجميع في الرفادة ، واول من وضع اساس الكعبة ؟ قالوا : من بني مخزوم . قال : فمن ايّهم صاحب الاريكة ، ومطعم الحريرة ؟ قالوا : من بني مخزوم . قال : فمن ايّهم الاخوة العشرة الكرام البررة ؟ قالوا من بني مخزوم . قال : فهو ذاك . فقال رجل من بني امية : ايها الامير ، لو كان لهم مع قديمهم حديث اسلام . فقال الحجاج : او ما علمت بان منهم ردّاد الردّة ، وقاتل مسيلمة ، وآسر طلحة ، والمدرك بالطائلة مع الفتوح العظام والايادي الجسام ! »[3]

---

١) الواقدي (م) ١١٧

وفيه : على بدر سراة بني هصيص ومخزوم ورهط ابي الوليد
الا قد ساد بعدهم رجال ولولا يوم بدر لم يسودوا (كذا في الاصل)

٢) الاصبهاني ١٣ : ١٦٦

٣) ابن ابي الحديد ٤ : ٢٩٦

اهله

والده — عبدالله ابن ابي ربيعة

اما والد شاعرنا فهو عبدالله ابن ابي ربيعة ، وزعم الرواة ان اسمه في الجاهلية كان بحيرا [١] وان النبي العربي سمّاه يوم أسلم عبدالله .[٢] ولكننا اذا رجعنا الى نسبه نرى ان والد جدّه كان يسمّى عبدالله ايضاً . ترى اليس طبيعياً ان يكون والده سمّاه باسم جدّه ؟

ويظهر من اخبار عبدالله في جاهليته انه كان تاجراً كبيراً من تجار قريش الاشراف ، موسراً جدًّا ، وكان اكثر متجره الى اليمن ، واثرى حتى صار من اكثر بني المغيرة مالاً ، ويروي الاصبهاني عنه رواية مهما يكن شأنها من الصحة فانها تدلّ على ان عبدالله قد عرف في قبيلته بالغنى والمقام قال : ان قريشاً كانت تلقّبه في الجاهلية بالعِدل لانها كانت تكسو الكعبة في الجاهلية من اموالها سنةً ويكسوها هو من ماله سنة فارادوا بذلك انه وحده عِدل لهم جميعاً .[٣]

وكانت ام عبدالله واسمها أسماء بنت مخرّمة النهشليّة زوجاً لهشام بن المغيرة (عمّه)

---

١) جاء في ابن دريد ١١٨ ان اشتقاق « بحير » من شيئين امّا من قولهم بحر الرجل اذا فرق من جزع او غيره او يكون من البحيرة وهي الشاة التي تشق اذنها ... ويمكن ان يكون اشتقاق بحير من قولهم لقيته صَحْرَةَ بَحْرَةَ او صَحَرَ بَحرَ أي فجاءة

٢) الطبري ٣ : ٢٣٨٦ والبغدادي ١ : ٢٤٠ وابن ابي الحديد ٤ : ٢٠٠ والذهبي (مش) ٢٥ وابن سعد ٥ : ٢٢٨ وابن الاثير (ص) ٣ : ١٥٥ وفي الاصبهاني ١ : ٢١ و ٨ : ٥٢ ان اسمه كان بحيرا غير ان ناشري طبعة دار الكتب للاغاني آثروا قراءتها بحيرا ج ١ : ٦٤ وزعموا ان بحيرا تحريف وقد يكون الامر كذلك غير انه لا بد لنا من الاشارة الى ان ابن حجر يذكر في كتاب الاصابة في تمييز الصحابة ٤ : ٦٤ ان اسم عبدالله كان بُجَيرًا بالموحدة والجيم مصغّرًا .

٣) الاصبهاني ١ : ٢١ وهناك رواية اخرى في المصدر نفسه ١ : ٢٠ تشير الى ان العدل هو الوليد ابن المغيرة ولعلّها اقرب الى الصواب فقد جاء في ابن ابي الحديد ج ٤ : ٢٩٤ شعر يؤيدها ينسبونه الى ابي طالب بن عبد المطلب يفخر فيه بخاليه المخزوميين هشام والوليد على ابي سفيان بن حرب

وخالي هشام بن المغيرة ثاقب اذا همّ يوماً كالحُسام المهنّدِ
وخالي الوليد العدل عالٍ مكانه وخال ابي سفيان عمرو بن مرثد

فولدت له ابا جهل واخاه الحرث ، ثم غضب عليها هشام فجعلها مثل ظهر امه ، ويقال ان هذا كان اول ظهار ، فجعلته قريش طلاقاً ، ثم ارادت اسماء الانصراف الى اهلها فقال لها هشام : واين الموعد ؟ قالت : الموسم ! فقال لها ابناها : اقيمي معنا . فاقامت معهما . فقال المغيرة بن عبدالله وهو والد زوجها : اما والله لازوجنّك غلاماً ليس بدون هشام . فزوّجها ابا ربيعة ولده الآخر الملقب بذي الرمحين فولدت له عياشاً وعبدالله .[1]

ولعل اول ما نسمع بذكر عبدالله في التاريخ الاسلامي كان زمن هجرة المسلمين الاولى الى الحبشة . فقد روى الطبري انه لما استقر بالذين هاجروا الى ارض الحبشة القرار بتلك البلاد واطمأنوا غاظ ذلك قريشاً ، فتآمرت فيما بينها في الكيد بهؤلاء اللاجئين الذين ضووا الى ارض النجاشي ، فوجهوا عمرو بن العاص وعبدالله ابن ابي ربيعة الى النجاشي مع هدايا كثيرة اليه والى بطارقته ، واشاروا عليهما ان يسألا النجاشي تسليم من بارضه من المسلمين اليهم ، فشخص عمرو وعبدالله اليه في ذلك الامر ولم يصلا الى ما أمّل قومهما من الامر ورجعا مقبوحين .[2]

ويظهر ان بعض الرواة كانوا مغرمين بسرد القصص الغريبة فلم يكتفوا بهذا الخبر كما هو بل اضافوا اليه ذيولاً وحواشي جعلته الى الاساطير اقرب منه الى الحقيقة فضلاً عن ان بعضها يناقض ما ذكره آخرون عنه .

فقد زعم هؤلاء الرواة ان الذي سافر الى الحبشة مع عمرو بن العاص وراء المسلمين اللّاجئين اليها كان عمّارة بن الوليد المخزومي ، ورووا ان هذا حاول خيانة عمرو بن العاص في امراته وكانت مع زوجها في تلك الرحلة ، فلم يفلح ، وحفظها له عمرو ، حتى اذا بلغا بلد النجاشي وقابلا النجاشي ونزلا بيته ، حاول عمارة خيانة النجاشي في امراته واستطاع ان يفوز بحبّها ويختلف اليها ونقلَ الى رفيقه عمرو اخبار تردده اليها ، فوشى عمرو به الى النجاشي وقدّم له ادلّة — ليس هنا موضع ذكرها — على خيانة عمّارة ، فدعا النجاشي بسواحره فسحرنَ عمّارة فهام على وجهه في فيافي الحبشة يعيش مع الوحوش ويرد معها الماء . ثم تذهب

---

١) الاصبهاني ٨ : ٥٠ ويذكر ابن الأثير (ص) ٣ : ١٥٥ ان ام عبدالله ثقفية ثم يقول وقيل امه وام اخيه اسماء بنت مخرمة

٢) الطبري ١ : ١١٨٩ وابن الأثير (ص) ٣ : ١٥٥ وانظر ابن هشام ١ : ٣١٧ وفي الاخير عن ام سلمة احدى نساء النبي ان النجاشي كان نعم الحامي لجوار المسلمين قالت : لما نزلنا ارض الحبشة جاورَنا بها خيرُ جارٍ النجاشيُّ أمِنّا على ديننا وعبدنا الله لا نُؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه

الرواية الى ان عبدالله ابن ابي ربيعة رحل الى الحبشة في خلافة عمر يطلب عمّارة فرصده على ماء ، فورد فوجد ريح الانس فهرب ، حتى اذا اجهده العطش ورد فشرب حتى ملأ ، وخرج عبدالله في طلبه يسعى وراءه حتى التزمه فجعل يقول : يا بحير ارسلني ! يا بحير ارسلني ! اني اموت ان امسكتموني . قالوا فضبطه عبدالله فمات في يديه مكانه فواراه ثم انصرف .[١] ومهما يكن من امر هذه القصة فاننا نرى فيها وفي الاخبار الاخرى عن رحيل عبدالله الى الحبشة وفي تسرّيه من امرأة حبشية ما يشير الى شيء من علاقات لعبدالله في الحبشة لم يترك لنا المؤرخون تفاصيل شافية عنها .

ثم نسمع ان عبدالله كان من المحرّضين على محمد نفسه وان قريشاً استعانت بتجارته على النبي[٢] فبذل بعض نفقة الحرب في بدر ، وذكر الرواة انه دفع خمسمئة دينار لنفقة من يخرجون .[٣] ولما غلبت قريش واسر من رجالها في بدر نفر كبير سار وفد من مكة في فداء الاسرى كان بينهم عبدالله ، فافتدى خالد بن هشام بن المغيرة وامية ابن ابي حذيفة ابن المغيرة وعثمان بن عبدالله بن المغيرة باثني عشر الف درهماً . كل واحد باربعة آلاف .[٤] وقد كان بين قتلى هذه الواقعة ابو جهل بن هشام والد عِكرمة واخو عبدالله هذا لأمه .[٥] ويروى انه بعد رجوع قريش من بدر مشت اشرافها الى ابي سفيان ممن كانوا من اصحاب القافلة التي اتى بها ابو سفيان بينهم عبدالله ابن ابي ربيعة يشيرون ببيع القافلة ووقفها لحرب النبي .[٦]

وهكذا فانه قد عاد الى التحريض على قتال محمد للانتقام منه وللأخذ بثار المقتولين في واقعة بدر[٧] . وكانت واقعة احد سنة ٣ للهجرة نخاضها مع رفيقيه في التحريض — عكرمة ابن اخيه لأمه وصفوان بن اميّة — وقد اشترك مع هؤلاء في الحرب عمرو بن

---

١) الاصبهاني ٨ : ٥٣ وانظر ابن هشام ١ : ٣١٧ ويذكر ابن دريد ٦٣ ان رفيق عمرو بن العاص في رحلته وراء المسلمين الى الحبشة كان عمّارة بن الوليد

٢) الاصبهاني ١٤ : ١٢

٣) الواقدي (م) ٣٦

٤) " " ١٢٥—١٢٦

٥) الاصبهاني ١ : ٣١

٦) الواقدي (م) ١٩٨ وابن الاثير ٢ : ١١٤

٧) الطبري ١ : ١٢٨٤

العـاص وخالد بن الوليد وغيرهما ، واستعانت قريش في واقعة احد هذه باحباش كانت معهم [١] لعلهم احباش عبدالله نفسه .[٢] ويذكر الواقدي وابن سعد ان الرمـاة من قريش كانوا مئة يومئذٍ عليهم عبدالله هذا .[٣]

ثم نعود فنسمع انه أسلم يوم فتح مكة سنة ٩ للهجرة بعد ان تغلب محمدٌ على كفّار قريش .[٤] ويظهر ان عبدالله خشي مغبة مخاصمته لمحمد وتحريضه عليه فهرب واستجار بام هانئٍ اخت عليّ فاجارته ، ويذكر اليعقوبي وابن الاثير انّ علياً اراد قتله فمنعته اخته منه واتت محمداً فاخبرته بذلك فقال قد اجرنا من اجرتِ .[٥] ووفد بعد ذلك على النبي وأسلم وصحبه وروى عنه الحديث .[٦]

ويروي الطبري وابن حجر وابن الاثير وغيرهم ان النبي بعد فتح مكة عزم على المسير الى حنين فعُرض عليه حبش كانوا عند عبدالله ابن ابي ربيعة يتصرفون في جميع المهن ليستعين بهم في حربه فأبى ،[٧] غير انه احتاج الى مال فاستسلف من عبدالله بضعة عشر الفاً [٨] فلما رجع من حنين دعا به واعاد له المال قائلاً : خذ مالك بارك الله لك في اهلك ومالك فانما جزاء السلف الوفاء والحمد .[٩] ولقد كان لصحبة عبدالله للنبي ومساعدته له اثر في نفس النبي كما يظهر فاستعمله على الجند ومخاليفها .

ولسنا نعلم عن عبدالله من الاخبار في سني اسلامه الأُولى الا قليلاً فقد ذكروا ان امّه أسماء أسلمت وهاجرت وسكنت المدينة وبقيت الى خلافة عمر او بعدهـا .[١٠]

---

١) الطبري ١ : ١٣٨٤ والاصبهاني ١٤ : ١٣ اقرأ بهذه المناسبة مقالاً للاب لامنس في مجلّة المشرق ١٩٣٦ ج ١ : ١—٢٣

٢) راجع الاصبهاني ١ : ٢٣

٣) الواقدي (م) ٢١٩ وابن سعد ٢ : ٢٧

٤) الطبري ٣ : ٢٣٨٦ وانظر الاصبهاني ٨ : ٥٣

٥) ابن الاثير (ص) ٣ : ١٥٥ واليعقوبي ٢ : ٦٠ وليلاحظ ان ام هانئ كانت زوج هبيرة بن ابي وهب من رجال بني يقظة والد مخزوم ، ابن دريد ٩٥

٦) الطبري ٣ : ٢٣٨٦ والبغدادي ١ : ٢٤٠ وابن ابي الحديد ٤ : ٣٠٠

٧) الاصبهاني ١ : ٢٣

٨) في ابن الاثير (ص) ٣ : ١٥٥ انها اربعون الف درهم

٩) الطبري ٣ : ٢٣٨٦ وابن حجر ٤ : ٦٥ وابن الاثير (ص) ٣ : ١٥٥

١٠) ابن سعد ٨ : ٢٣٠

وكانت عطّارة وكانت تبيع عطرها في المدينة بعد عام الفتح .[١] وهذا يشير الى ان عبدالله قد انتقل بعائلته الى المدينة على الاغلب ويؤيد هذا ما ورد في ابن الاثير من ان مخرج حديث عبدالله عن اهل المدينة وهو يعدّ فيهم .[٢] ويظهر من اخبار توليه الجند ان اهله كانوا بالمدينة اما هو فكان اغلب وقته في اليمن . ويذكر ابن سعد والواقدي خبر ام عبدالله التي كانت تبيع العطر ويشير الى ان ابنها هذا كان يبعث اليها بالعطر من اليمن فكانت تبيعه بالمدينة .[٣]

ويظهر ان ابا بكر قد اقرّ عبدالله على الجند بعد موت محمد وكذلك فعل عمر ويزعم ابن الاثير ان عمر اضاف اليه صنعاء .[٤]

ولعبدالله في خلافة عمر وقائع اخبار قليلة . منها انه اتخذ افراساً له بالمدينة وكانت ايام جوع وفقر ، فمنعه عمر ، فكلموه في ان يأذن له ، قال : لا آذن له الا ان يجيء بعلفها من غير المدينة . فارتبط افراساً وكان يحمل اليها العلف من ارض له باليمن .[٥] وروي عن عبدالله ايضاً انه بعث الى الخليفة المذكور هدايا من حلل اليمن ففرّقها عمر في المحمدين اي في كل من سمّاه النبي محمداً .[٦] وذكروا عنه ايضاً انه كان في البحرين في خلافة عمر ولم يذكروا سبب رحيله اليها ولعلّه كان في تجارة له .[٧]

ونعود فنسمع عن عبدالله ما يفيد انه كان في المدينة عند ولادة ابنه عمر وبالاحرى يوم مقتل الخليفة عمر ، وانه وافى المدينة مع بعض امراء الاجناد ، كما كانت عادة العمّال ان يفعلوا ايام الحج في خلافة عمر ، وقيل انه استشير في امر الذي يخلف عمر فقال ان بايعتم عثمان قلنا سمعنا واطعنا[٨] . غير ان ابن حجر يذكر ان عمر قال لاهل الشورى لا تختلفوا فانكم ان اختلفتم جاءكم معاوية من الشام وعبدالله ابن ابي ربيعة من اليمن فلا يريان لكم فضلاً لسابقتكم وان هذا الامر لا يصحّ للطلقاء ولا لابناء الطلقاء .[٩]

وانتخب عثمان خليفةً فاقرّ عبدالله على الجند[١٠] ويروى ان عبدالله راسله في ان يبعث

---

١) الاصبهاني ١ : ٣١
٢) ابن الاثير (ص) ٣ : ١٥٥
٣) الواقدي (م) ٨٤ وابن سعد ٨ : ٣٣٠
٤) ابن الاثير (ص) ٣ : ١٥٥
٥) الطبري ١ : ٢٧٥٦
٦) الاصبهاني ١٦ : ١٥٨—١٥٩
٧) الاصبهاني ٢ : ٥٩
٨) ابن الاثير ٢ : ٥٥
٩) ابن حجر ٤ : ٦٥
١٠) الطبري ١ : ٣٠٥٧ والنووي ٤٦١ والاصبهاني ١ : ٣٣

اليه غلاماً حبشياً اشتراه يقول الشعر ؛ فكتب اليه عثمان : لا حاجة لي اليه ، فارددده ، فانما حظُّ اهل العبد الشاعر إن شبع ان يتشبب بنسائهم ، وان جاع ان يهجوهم ؛ فردَّه .[١]

ويذكر ابن الاثير والنووي وابن حجر ان عبدالله بقي عاملاً لعثمان طول خلافته حتى كانت سنة الدار وحوصر عثمان فاتى لنصرته وقتل سقوطاً عن راحلته .[٢] غير ان البلاذري ، وقد سبقهم الى ذكر هذه الحادثة ، لا يشير الى موته بل يكتفي بقوله : « فلما انتهى الى بطن نخلة سقط عن راحلته فانكسرت رجله فانصرف الى اهله .[٣] ويشير الحنبلي في شذرات الذهب الى ان عبدالله توفي سنة ٣٥ هـ .[٤]

والظاهر من هذه الروايات كلها ان عبدالله مات عام قتل عثمان او بعد ذلك بقليل وكان من الطبيعي ان تنتهي اخباره عند هذا الحد لولا ان ابن خلِّكان يفاجئنا برواية غريبة يروي فيها ان عبدالله والد عمر قد قتل في سجستان عام ٧٨ هـ .[٥] اي بعد موت عثمان بنحو اربع واربعين سنة . وقد استطاع ابن خلِّكان ان يضلِّل الكثيرين من ادبائنا العصريين الذين ترجموا حياة عمر وذكروا شيئاً عن والده فانهم قبلوا الرواية ونقلوها على علّاتها . ومن الغريب ان العالم الالماني شفارز لم يلتفت في كتابه عن عمر الى روايات البلاذري وابن الاثير والنووي وابن حجر والحنبلي في هذا الصدد واكتفى بالاشارة الى رواية ابن خلِّكان .[٦]

ويظهر لي ان ابن خلِّكان مخطئ وان والد عمر لم يعمِّر الى هذا الزمن الذي ذكره ابن خلِّكان[٧] ومهما يكن من الامر كله فان الاتصال بين عبدالله وابنه عمر ، فيما اعلم

---

١) الاصبهاني ٢٠ : ٢

٢) ابن الاثير ٣ : ١٦١ والنووي ٤٦١ وابن حجر ٤ : ٦٥

٣) البلاذري « ا » ٥ : ٨٧ ٤) الحنبلي ١ : ٤٠

٥) ابن خلِّكان ١ : ٥٣٩ ٦) شفارز ٢٣

٧) ذلك ان الروايات المختلفة تشير الى ان عبدالله كان رجلاً صاحب مال وعبيد وثروة عام حنين ١٠ هـ . بل تذهب الى انه كان من المحرضين على النبي يوم بدر وكان في الوفد الذي سار لفداء أسرى تلك المعركة عام ٣ هـ . وكان على الرماة يوم أحُد كما رأينا ويستبعد جدًّا ان يكون في مثل تلك المكانة وذلك الشأن وهو دون العشرين فكيف يمكن لرجل مثله ان يظلّ في الحروب والجهاد فيقتل في سجستان عام ٧٨ اي وهو في حدود الخامسة والتسعين . وهناك رواية تذهب الى ان ابنه الحارث كان في خلافة عمر رجلاً مدركاً حكيماً له رأيه وكلمته . زعموا ان امَّه كانت نصرانية وكانت تسرّ ذلك منه وانها ماتت على دينها فلما حضر الاشراف جنازتها سمع الحارث لغطاً من النساء

من الكتب التي رجعت اليها ، كان مجهولاً ولنذكر ان عمر ولد في آخر خلافة ابن الخطاب سنة ٢٣ هـ . ولم يدرك آخر خلافة عثمان الا صبيًا او غلاماً ، وكانت اكثر الاخبار التي عرفناها عن والده اخبار الحقبة التي سبقت هذه السنوات الاولى من حياة شاعرنا .

فسأل عن الخبر فقيل له انه وُجد صليب في عنقها . فخرج الى الناس وقال : انصرفوا فان لها اهل دين هم اولى بها منّا ومنكم . فاستحسن ذلك منه ، وعجب الناس من فعله . (الاصبهاني ١ : ٢٣) فاذا كان الحارث زمنئذٍ في حدود العشرين فان والده لا يمكن ان يكون اقلّ من خمس وثلاثين ، هذا اذا كان الحارث اكبر اخوته ، اما وقد اورد النووي ص ٤٦١ ان كنية عبدالله كانت ابا عبد الرحمن (اخي الحارث) فانا نستبعد ان يكنى بغير بكره ، وبالتالي فيجب ان يكون عند موت امراته ام الحارث اكبر من ٣٥ . وانّى لمثل من في هذه السن ان يعمّر ستين سنة اخرى ويقتل مجاهدًا ؟ واذا جاز لنا ان نقبل الاخبار التي ذكرناها عنه في الجاهلية من رحيله الى الحبشة ، وقد اختير — كما تقول السيرة — رجلاً جلدًا (ابن هشام ١ : ٢١٧) الى نفوذه وثروته ومكانته في قريش ، الى اعماله التي كان يديرها قبل الاسلام ، وعبيده الذين كانوا يتصرفون في جميع المهن ؛ اقول اذا جاز لنا ان نقبل هذه الاخبار او بعضها على الاقل فانّا نرى من المستبعد جدًا ان يكون قد عمر الى ذلك التاريخ الذي ذكره ابن خلّكان ويموت محاربًا في سجستان .

زد على هذا كله اننا لم نقع — في كل اخبار شاعرنا — على ذكر لحادثة واحدة له مع والده ، ففي اخباره امور كثيرة — ذكرت عن علاقة اخيه الحارث به ونصحه له في ان يرجع عن سبل اللهو التي يسلكها — كان من الطبيعي ان تصدر عن والده لو كان حيًا . ولا نرى بعد هذا كيف ان صحابيًا مثل عبدالله له علاقات تجارية في اليمن كانت من اهم العوامل فيما نظن لتعيينه عاملاً للخليفة هناك ، متحدرًا من عائلة عرفت بمكانتها ونفوذها في الجاهلية والاسلام ، تنقطع اخباره في كتب الادب والدين والتاريخ بعد مقتل عثمان لاربع واربعين سنة فلا يذكر فيها عنه شيء سوى امر استشهاده الذي يتفرد به ابن خلّكان .

ولو شئنا التوسع في البحث لرأينا من حقنا ان نتهم ابن خلّكان بالخلط والتحريف . فليس من شك في ان الرواية الاولى اقرب الى الصواب وان رواتها اعدل شهادة من ابن خلّكان واعظم ثقةً ، وقد كان بعضهم من المتقدمين السابقين ، اما المتأخرون منهم فمن علماء الحديث ، وكان علم مصطلح الحديث قد وضع فاتبعوه وكانوا يتحرون طرقًا قوية للوصول الى الحقائق كان ابن خلّكان بعيدًا عن اكثرها فيما نظن .

نرى بعد هذا كله ان رواية ابن خلّكان غير ثابتة ولا يصح الركون اليها ، ولعلّه قد خلط بين شخص اسمه عبدالله بن عياش ابن ابي ربيعة وبين عبدالله والد شاعرنا ، بحيث وقع مثلاً على هذا الخبر في بعض المظان فخال ان الشخص المقصود هو عبدالله والد شاعرنا فاورد الخبر في ترجمة ابنه عمر . ومن الممتع ان نعلم ان ابا الفلاح الحنبلي قد ذكر في كتابه « شذرات الذهب في اخبار من ذهب » عن عبدالله بن عياش ابن ابي ربيعة انه قتل بسجستان ، ولكنه لم يتفق مع ابن خلّكان في سنة الوفاة . الحنبلي ١ : ٥٥

امه — مجد ؟

لم يقتصر عبدالله على امرأة واحدة بل كان شأنه شأن الكثيرين من رجال ذلك العهد . وكثيراً ما دعا تعدّد النساء للرجل الواحد الى اختلاط الامر على المؤرخين في معرفة ام الرجل الذي يترجمون حياته او يبحثون في اخباره . وقد وقع شيء من هذا لبعض هؤلاء المؤرخين الذين كتبوا شيئاً عن حياة ابن ابي ربيعة او ذكروا ما يعلمون عن امّه فزعم بعضهم ان امّه حبشية نصرانية .

وقد خطّأ ابو الفرج الاصبهاني اصحاب هذا الزعم وقال : « تلك ام اخيه الحارث » وذكر انها ماتت على دينها زمن عمر بن الخطاب اي قبل ان يولد صاحبنا عمر .[١] واشار ابو الفرج في الموضع نفسه الى ان ام عمر « ام ولد »[٢] سُبيت من حضرموت او من حمير . اما ابن قتيبة فلم يذكر هل كانت حبشيةً ام لا ، غير انه قال ان ام عمر نصرانيّة وهي ام اخوته .[٣] ويظهر ان ابا الفرج اقرب الى الحقيقة من هؤلاء ، اذ سنرى في اخبار عمر انه سار مرةً الى اخواله بلحج في اليمن ويستبعد جدًّا عندئذٍ ان تكون امه حبشيةً ، اذ يلوح من الخبر ان اخواله كانوا يمنيين[٤] كما زعم ابو الفرج . كذلك ان خبر ابي الفرج في شأن ام الحارث في المدينة في خلافة عمر ينفي زعم من قال ان ام عمر هي ام اخوته . ومع ان ابا الفرج يذكر انها ام ولد فاننا لا نرتاح لهذه الرواية كل الارتياح ، وذلك لما ذكرنا مما كان لعبدالله من العلاقة في اليمن ومما كان لأخوال عمر من العلاقة مع عمر في شبابه . وهذا ما يحملنا على الظن انها لم تكن سبيّة بل زوجة حُرّة تزوج منها عبدالله اثناء ولايته في الجند لا قبل ذاك .

وهناك رواية ذكرها البكري تشير الى انه كان لعمر اراضٍ مخصبة في اليمن امّا من امه او من ابيه .[٥] فاذا كان قد ورثها من امّه فان هذا وحده كافٍ ان يمنع ان تكون سبيّةً ، زد على هذا كله ما سنراه من روح عمر الكبيرة وانفته وتيهه وغروره بنفسه

---

١) الاصبهاني ١ : ٢٣ ٢) اذا تزوج السيّد من أمَته فولدت له حرَّرها وصارت « ام ولد » انظر جبور (ع) ١ : ٢٣ ٣) ابن قتيبة (ش) ٢٤٩

٤) لا يوجد ما يمنع ان يكون اصلهم من حضرموت

٥) البكري ٤٨٩

بحيث لا يشتمّ من كلامه مطلقاً انه ابن ام ولد . ولنا في تعليل وجود الرواية الاولى التي تشير الى انه ابن سبيّة امران : اولها ان هناك رواية تشير الى ان ام اخوته هي ام ولد ، وانها كانت امه ، وهي غير امه كما اسلفنا ، فيجوز ان هذه الرواية اثرت في نفوس بعض الرواة فنقلوا ان امّه سبيّة ، ام ولد . والثاني ان نساء قريش كن دون شك ارفع مكانة في الاسلام من سائر نساء العرب فليس غريباً ان يفاخرن غير القرشيات وبنوع خاص غير العدنانيات . فلم يكن لام عمر شأن يذكر فحسبها بعض الرواة المتأخرين عن العصر الاول من السبيّات . وفي بعض الاخبار ان رجلاً من قريش نظر الى رجلٍ من اهل اليمن يقول الحمد لله الذي اقر عيني بمقتل قريش فقال له ابنه: الحمد لله الذي اذلهم بايدينا فما كانت قريش تظن ان من نزل على عمان من الازد عربي .[1] ولكن السبب الثاني ضعيف لا يصح الركون اليه كثيراً ، وعلى كل حال لا نستطيع الجزم البات في انها يمنيّة غير سبيّة ، اذ يجوز ايضاً انها يمنيّة وقد سبيت . وزعم بعض الرواة ان عمر اتاه الغزل من اليمن من ناحية امه حيث يقال غزل يماني ودلّ حجازي .[2]

ولا يستغربنّ القارئ هذا الاضطراب والغموض في معرفة ام هذا الشاعر الذي كان ملء الاسماع في ذلك العصر ، اذ قلما كان يعنى الرواة القدماء في درس بيئة الشاعر الخاصة وحياته العائلية والتعرض الى حياة امه ونشأته معها وتربيتها له . والذي يستغرب حقًا في الاصول العربية القديمة وجود اخبار مفصلة عن حياة رجل في صباه ، شاعراً كان او اميراً ، وعن نشأته الاولى ومحيطه العائلي .

وتنقطع الاخبار عن علاقة عمر بامه واتصاله بها فلا نعلم هل كانت عند اهلها يوم رحل الى اخواله بلَحْج وأَبْيَنَ ام لا .[3] واغلب الظن انها بعد موت زوجها عبدالله عام حوصر عثمان عادت الى اهلها وقد كان لزوجها ارض باليمن .[4] ويظهر ان وجودها هناك كان من العوامل التي دفعت بعمر ان يزور اخواله . ولسنا نعلم متى ماتت واين ، ولولا ان هناك حادثة هامّة في حياة ام اخيه الحارث ، وهي بقاؤها على نصرانيتها وموقف ابنها عند موتها من ذاك ، لكنّا ربما لم نسمع عن موتها شيئاً .

فلنكتفِ الآن بما ذكرنا ولنُشر الى ان ابا الفرج ذكر ان اسمها مجد ولننتقل الى اخوته -

---

١) الاصبهاني ٢٠ : ١٠٠
٢) الاصبهاني ١ : ٣٣
٣) الاصبهاني ١ : ٤٩
٤) الطبري ١ : ٢٧٥٦

اخوته —

عبد الرحمن ابن ابي ربيعة

تذكر بعض المصادر ان لعمر اخوين هما عبد الرحمن والحارث .[١] اما عبد الرحمن فالاخبار عنه قليلة ، والذي نعرفه هو ان والده كان يكنى به ،[٢] فلعلّه كان اكبر اخوته . وذكروا انه كان احول ، وانه تزوّج من ام كلثوم بنت ابي بكر الصدّيق بعد موت زوجها طلحة مقتولاً في واقعة الجمل فولدت له ، وكانت لا تزال دون الخامسة والعشرين اذ انها وُلدت بعد وفاة والدها ابي بكر .[٣] وسرد ابن سعد اسماء خمسة اولاد لعبد الرحمن من ام كلثوم هم عثمان وابرهيم وموسى وام حميد وام عثمان .[٤] وأشار ابو الفرج الاصبهاني الى خبر نقله الزهري عن ابرهيم احد اولاد عبد الرحمن اخذه عن امه وكانت قد اخذته عن اختها عائشة .[٥] واكتفى ابن قتيبة والبغدادي في ذكر ان عبد الرحمن اعقب ولكنهما لم يسمّيا اولاده ولا أشارا الى هل كان نسله من ام كلثوم وحدها او منها ومن غيرها ايضاً .[٦] غير ان الطبري اشار الى رجل اسمه عمر بن عبد الرحمن المخزومي ارسله الحارث ابن ابي ربيعة زمن ولايته على البصرة ليصلح بين المتحاربين هو والاحنف ابن قيس .[٧] فهل كان عمر هذا ابناً لعبد الرحمن من امرأة غير ام كلثوم ، ام انه من آل عبد الرحمن ابن خالد بن الوليد ؟

ولعلّ هذه القرابة بين عبد الرحمن وبيت ابي بكر الصديق بحكم اصهاره اليهم تفسر لنا شيئاً من ميل آل ابي ربيعة الى ابن الزبير وهو ابن اسماء بنت ابي بكر اخت ام كلثوم . بل ربما كان هذا الاصهار ايضاً سبباً في ان يتعرف عمر بعائشة بنت طلحة ابنة امرأة اخيه من زوجها الاول ويحبها هذا الحب الذي كاد يضارع حبّه لثريا . ولعلّنا ايضاً

---

١) ابن قتيبة (ش) ٢٤٩
٢) النووي ٤٦٣
٣) ابن قتيبة (ش) ٢٤٩ وانظر الطبري ١ : ٣١٢٥
٤) ابن سعد ٥ : ١٢٨
٥) الاصبهاني ٨ : ١٠٣
٦) ابن قتيبة (ش) ٢٤٩ والبغدادي ١ : ٢٤٠
٧) الطبري ٢ : ٦٨٣

نستطيع بحكم هذه القربى ان نفسر هذه الصداقة بين عمر وابن ابي عتيق احد احفاد ابي بكر وقد كانت فيما سيظهر لنا اوثق صداقة عقدها عمر مع احدٍ من الناس .

ويظهر ان عبد الرحمن اشترك في الحياة السياسية ذلك العصر . ولم يحفظ لنا التاريخ من اخباره في هذه الناحية سوى انه كان احد الرؤوس يوم الحرّة مع حامية المدينة يدافع بني اميّة ويردهم مع جيوش المحاصرين ، فاقتحم عليهم اهل الشام واقتتلوا فيما يقول ابن سعد حتى عاينوا الموت ونجا فلم يقتل يومئذٍ ومات بعد ذلك .[١]

الحارث ابن ابي ربيعة

اما الحارث فاخباره كثيرة . فلقد اشترك في الحياة السياسية ذلك العصر وعاش طويلاً ، وقد كانت امه حبشيّة وكان فيه سواد .[٢] وكان يميل بهواه الى آل الزبير ، وقد ذكرنا القرابة بين هاتين العائلتين ، فعينه عبدالله بن الزبير عاملاً له على البصرة . ولست ادري لِمَ لم يعيّن ابنُ الزبير زوج خالته عبد الرحمن اخا الحارث . ولكن من يدري فلعلّ عبد الرحمن قد قضى قبل هذا التاريخ ، او لعلّ الحارث كان اقدر على امور السياسة من اخيه . ولقد رأينا حسن تصرفه عند موت امه . وتذهب اخبار ولايته الى انه كان شديداً قديراً حكيماً . وقد رووا انه لما عيّنه عبدالله بن الزبير عاملاً على البصرة وبلغ الخبر الخليفة عبد الملك . قال : لا حرّ بوادي عوف ، بعث عوفاً وجلس .[٣] يشير الى مكانته وقدرته . ويروى عن عبد الملك ايضاً انه قال فيه : ان امّاً ولدت الحارث لمنجبة .[٤] وانه قال فيه ايضاً : ما ولدت والله أمّةٌ مثل ما ولدت امه .[٥] وان في شهادة الخصم لقوةً وحجةً كبيرة . وقد ذكر ابن قتيبة ان الحارث هذا كان خيّراً وعفيفاً .[٦] وذكر الاصبهاني عنه انه كان صالحاً ودّيناً .[٧] وقال ابن سعد فيه : كان خطيباً عفيفاً .[٨] وروى عن عمر بن الخطاب .[٩] وسرد البيهقي قصةً عنه تشير الى انه كان يغار على الصيت الحسن حتى انه

---

١) ابن سعد ٥ : ١٣٨ وابن قتيبة (ا) ١٧٣
٢) ابن سعد ٥ : ١٩
٣) الطبري ٢ : ٦٠٢ وفي الاصبهاني ١ : ٣٣ ارسل عوفاً وقعد (وهو مثلٌ يضرب للرجل الذي يسود الناس)
٤) ابن عبد ربه ١ : ٣٣
٥) الاصبهاني ١ : ٣٣
٦) ابن قتيبة (ش) ٣٥٣
٧) الاصبهاني ١ : ٤٩
٨) ابن سعد ٥ : ١٩
٩) ابن سعد ٥ : ٢٤٣

عندما عيّن الفلافس النهشلي على شرطته مدة ولايته في البصرة وسمع شعراً اتُّهم فيه الفلافس هذا بالزنا والشرب دعا به وقال له : قد علمت انه كذب عليك ، ولكن لا حاجة لي فيك .[١] وروى الجاحظ ان الحارث كان يحدّث عن علي .[٢] وليس هناك الا شيء واحد اخذه القدماء عليه وهو انه كان نهماً مزواجاً ، وقد هجاه ابو الاسود الدؤلي وطلب الى عبدالله بن الزبير نقله وتعيين عامل غيره .[٣] ويظهر من طبقاتِ ابن سعد ان الحارث كان حقاً مزواجاً فقد ذكر له من النساء نحو تسع بين حرائر وامهات اولاد وذكر له من الولد اكثر من عشرين .[٤] وقد كانت بين الحارث واخيه عمر علاقات سنعرض لبعضها في حينه ويلوح لنا ان الحارث كان وليّ عمر بعد موت والدهما يرعاه بعنايته ورعايته . وسنرى في دراستنا لحياة عمر ان علاقة الحارث به استمرت حتى ايامه الاخيرة وحتى فصل الموت بينه وبينه .

وقد كان للحارث ايام عبدالله بن الزبير مركز سياسي عظيم فقد ظلّ عاملاً له على البصرة نحو ست سنوات نحّي اثناء الثالثة والرابعة منها ليحل محلّه مصعب اخو عبدالله .[٥] غير ان مصعباً هذا اقرّ الحارث على الكوفة[٦] وقد امدّ الحارثُ حين كان على البصرة ابن الزبير حين هاجمته جيوش عبد الملك بن مروان لاول مرة بنحو الف رجل من رجال البصرة على رأسهم حنيف بن السجف .[٧] وكانت للحارث مع الخوارج وقائع هامّة وقد لحقهم مرة سنة ٦٨ هـ . فكاد يطردهم من كل العراق .[٨]

ولم يكن لعمر فيما يظهر من كل المصادر التي بين ايدينا اتصال باخيه هذا من حيث العمل السياسي ، فليس يعرف عنه انه كان معه في العراق او انه كان موظفاً عنده في امر من امور ولايته ، وانّى لعمر ان يقبل عملاً سياسياً وقد وكِل بشؤون الحب في الحجاز . وليس تعلّق عمر بالحجاز ونسائه مانعاً له من ان يكون قد زار العراق او البصرة بنوع خاص ايام ولاية اخيه يشيّع فتاةً عراقية بعد الحج ، او يوافيها الى موعد كانت ضربته له وهي في الحجاز .

---

١) البيهقي ١٧٥—١٧٦ ٢) الجاحظ (ب) ٥٦
٣) الاصبهاني ١ : ٤٩ ٤) ابن سعد ٥ : ١٨
٥) الطبري ٢ : ٧١٧ و ٤٦٤ و ٥٧٨ وراجع اليعقوبي ٢ : ٣٠٤
٦) " ٢ : ٧٥٢—٧٥٣ ٧) ابن قتيبة (ا) ٢ : ١٤
٨) الطبري ٢ : ٧٦١

اخوة آخرون ؟

ويذكر البغدادي ان لعمر اخاً ثالثاً يسميه عبدالله .[1] وقد تفرد البغدادي بذكر هذا الاخ ولم يشر الى المصدر الذي استند اليه . والبغدادي من المتأخرين فيصعب علينا قبول روايته ولعلَّ في الامر خطأً ان لم يكن نسخيًا ناتجاً عن تحريف « عبد الرحمن » الى « عبدالله » فهو ناتج عن الخلط بين ابناء عبدالله ابن ابي ربيعة وابناء عيّاش اخيه ، حيث هناك ولدٌ للاخير اسمه عبدالله .

ولقد ذكر الفاكهي رجلًا اسمه عبد الملك بن عبدالله ابن ابي ربيعة وله نسل .[2] فهل كانت رواية الفاكهي الاصل الذي اخذ عنه البغدادي ؟ وهل عبد الملك هذا اخ لعمر ام هو ابن عبدالله بن عياش ابن ابي ربيعة ؟ لست ادري ! ولكني استغرب ان يكون هناك اخ لعمر غير عبد الرحمن وغير الحارث ولا يعرف عنه شيء في تاريخ تلك الحقبة من الدهر ، واخوته مَن نعرف .

---

١) البغدادي ١ : ٣٤٠

٢) الفاكهي ٤٤

مولده

ابن وُلد عمر

اما البلد التي وُلد فيها عمر فقد فات مؤرخي حياته ان يذكروها ، ولعلّها واحدة من المدن الثلاث التالية — الجَنَد او مكة او المدينة .

فالجند كانت مقرّ ولاية والده عبدالله منذ عيّنه عليها النبي محمد حتى آخر خلافة عثمان، ولا يبعد ان يكون عبدالله قد استصحب معه زوجه اليمنيّة امّ عمر فولدت له عمر هناك . غير انه لو صح هذا الفرض فان من الغريب ان تعرف هذه المصادفة في ان الشاعر عمر وُلد ليلةَ قتل الخليفة عمر .

امّا مكّة فلأن عمر مكّي الوالد والعشيرة والموطن . والرواة يذكرونه بين الشعراء المكّيين ، ويزعمون انه كان يقيم بمكّة . وقد اشاروا الى انه كان بمكّة حين اخذت تشيع اشعاره فاعطاه اخوه مالاً فيما زعموا على ان لا يقول شعراً ، قالوا : فخرج الى اخواله بلَحْج وأَبْيَن مخافة ان يهيجه مقامه بمكّة على قول الشعر .[1] بل ان عمر نفسه يشير في كثير من المواضع في شعره الى ان مكّة هي مسكنه او موطنه ، ولقد قال :

وانا امروءٌ بقرار مكة مسكني ولها هواي فقد سبت قلبي [2]

وقال :

كيف الثواء ببطن مكة بعدما همَّ الذين تحبّ بالانجادِ [3]

غير ان ما اعترضنا في الفرض الاول يعترضنا هنا ايضاً ، زد على هذا انه لم يعرف ان امّه او احداً من ذويه الاقربين كان بمكة آخر خلافة عمر .

بقيت المدينة وهي البلد التي نرجح ان مولده كان فيها ، ذلك ان اكثر زعماء قريش فيما نعلم هاجروا بعد فتح مكة الى المدينة ، لا سيما حينما اصبحت عاصمة الخلفاء الراشدين ، وسعوا لاخذ نصيبهم من الزعامة والوظائف في هذه الدولة الجديدة ، ان جاز لنا تسميتها

---

١) الاصبهاني ١ : ٤٩
٢) ابن ابي ربيعة (ع) ٨٧
٣) ابن ابي ربيعة (ع) ١٧٠

بالدولة . بل ان هنـاك نصوصاً تذكر ان جدّة عمر (ام عبدالله) كانت — كما سبق فشرنا — تسكن المدينة في خلافة عمر وقد هاجرت اليهـا بعد اسلامها ، وان امرأة ابيه الحبشية ماتت بالمدينة وكان ابنها الحارث (اخوه) زمنذاك في المدينة ، فهذا يدلّ على ان اهله او قسماً من اهله كانوا بالمدينة . ويجب ان لا ننسى ان الرواة يذكرون ايضاً انه في الليلة التي قتل فيها عمر ولد صاحبنا عمر فسمّي باسمه ، ويصعب ان يعرف هذا التصادف لو وقع في بلدتين بعيدتين الواحدة عن الاخرى كمكة والمدينة ، او كالجند والمدينة ، وقد قتل عمر كما هو مشهور في المدينة . زد على هذا ان ابن الاثير يذكر وجود عبدالله ايام انتخاب عثمان ورايه في امر استخلافه [1] . بل انه يشير الى ان مخرج حديث عبدالله كان عن اهل المدينة ويقول عنه انه يعد فيهم .[2]

وتشير اكثر اخبار عمر الى انه نشأ بالمدينة كما سنرى ، وفي شعره ما يظهر انه يرى المدينة ايضاً وطناً له ، قال :

ذكر البلاط وكل ساكن قرية بعد الهدوء تهيجه اوطانه [3]

وروي انه لما تزوجت الثريا وعمر غائب عن الحجاز وبلغه الامر قال فيها شعراً ثم حمله الشوق على ان سار الى المدينة فكتب الى الثريا :

كتبت اليك من بلدي كتاب مولّه كمد
كئيب واكف العينين م بالحسرات منفرد
يؤرقه لهيب الشوق م بين السحر والكبد
فيمسك قلبه بيدٍ ويمسح عينه بيدِ [4]

ومع انه لا يوجد في كل هذه الروايات التي ذكرنا نص صريح يشير الى ان عمر قد ولد في بلدة معينة من هذه المدن الثلاث فاننا نرجح ان ولادته قد وقعت في المدينة لكثرة القرائن التي تدل على هذا الامر كما ترى .

---

١) ابن الاثير ٣ : ٥٥
٢) ابن الاثير (ص) ٣ : ١٥٥
٣) ابن ابي ربيعة (ع) ٥٦٣
٤) الاصبهاني ١ : ٩٣ والبغدادي ١ : ٣٣٩

متى ولد

قالوا : ولد عمر ليلة قتل عمر
فقال الناس « اي حق رفع واي باطل وضع »

امـا زمن مولده فقد كاد يتفق كل الرواة على انه وافق يوم مقتل الخليفة عمر بن الخطاب ، بل ان بعضهم قد روى ان عمر انمـا سمّي بهذا الاسم لموافقة ولادته ليلة مقتل عمر .[1] ولم نرَ ما يخالف ما اتفق الرواة عليه الا في شرح شواهد المغني للسيوطي [2] فقد ذكر بصراحة ان عمر ولد زمن عمر بن الخطاب ثم قال: وقيل بل ليـلة قتل . وظاهر ان السيوطي يؤثر الرواية الاولى . وهناك رواية اخرى نقلها ابن خلّكان بعد ان ذكر ان ولادة عمر كانت في الليلة التي قتل فيها عمر قال : وقال الهيثم بن عدي مات (اي عمر) سنة ٩٣ للهجرة وعمره ثمانون سنة والله اعلم .[3] ومع ان هذه الرواية لا تشير الى زمن مولده فاننا نستنتج منها كما هو ظاهر ان عمر ولد سنة ١٣ هـ . والظاهر ان الهيثم لم يوفق في معرفة سن عمر ليس الاّ ، وانه باستناده الى بعض الروايات الضعيفة التي تقول ان عمر فتك ٤٠ سنة ونسك ٤٠ سنة [4] والى الروايات الاخرى التي تقول انه مات سنة ٩٣ هـ . وصل الى هذا ، وكان عليه لو اراد ان يتقيد بالرواية التي تذهب الى انه فتـك ٤٠ ونسك ٤٠ اقول كان عليه ان يدوّن سنة وفاته بعد المئة كما فعل البعض فيما سنرى . وهناك اشارة في رواية نقلها ابو الفرج في اغانيه عن عطاء انه قال : كان عمر ابن ابي ربيعة اكبر مني كأنه ولد في اول الاسلام .[5]

وظاهر من هذه الروايات كلها ان قيمتها قليلة فالسيوطي من المتأخرين ولا يصح الاعتماد عليه كثيراً ، وابن خلكان مثله ولم يكن كثير التدقيق ، وعبارة عطاء « كان عمر اكبر مني كأنه ولد في اول الاسلام » لا يوجد فيهـا ما يمنع ان يكون عمر قد ولد سنة ٢٣ هـ . وجل ما نستطيع ان نستنتجه منها هو ان عمر كان فيما يقول عطاء اكبر من عطاء . ولكن عطاء لم يعيّن متى ولد هو ، ويظهر من مقالة زترشتين عن عطـاء في الموسوعة الاسلامية انه مات بمكة بين سنة ١١٤ وسنة ١١٥ هـ . وقد عمّر ٨٨ عاماً ، وهذا يدل

١) ابن عبد ربه ٣ : ١٦٨ والبغدادي ١ : ٣٤٠
٢) السيوطي (ش) ١١
٣) ابن خلكان ١ : ٥٣٩
٤) راجع شوارز ٧
٥) الاصبهاني ١ : ٣٤

على ان عطاء ولد بعد عمر ، وهو مسلّم به ، ولكن ليس في الشق الثاني من عبارة عطاء — كأنه ولد في اول الاسلام — ما يكفي لرفض سنة ٢٣ هـ . كتاريخ مولد عمر بل ان كلمة « كأنه » قد تشير الى انه لم يولد في اول الاسلام ولكن لظهور الكبر عليه يحسبه عطاء كأنه قد ولد في اول الاسلام . اما خطأ الهيثم فقد نتج كما اشرنا عن جهله سن عمر الحقيقية وقبوله الرواية الضعيفة التي تذهب الى ان عمر فتك ٤٠ سنة ونسك ٤٠ . ولعل السيوطي قد استند الى رواية الهيثم نفسه الموجودة في كتاب ابن خلّكان . وقد نقل السيوطي بعض اخبار عمر في الباب نفسه عن الهيثم [1] فلا يبعد ان يكون قد تورّط في قبول الرواية التي تجعل عمره ٨٠ ثم طرح عمره من ٩٣ (السنة التي ذكر وفاته فيها) فلم يبق امامه الا ان يقول ولد زمن عمر . ولكنه عاد فقال : وقيل ليلة قتل .

بقيت مسألة هذا التصادف الغريب . وهو ان عمر ولد ليلة قتل عمر بن الخطاب فزعم البعض انه سمّي لذلك باسمه ، ومع انه يصعب علينا ان نرى مسوّغاً لرفض خبر هذا التصادف فاننا لا نرى بدّاً من الاشارة الى ان امثال هذا التصادف الغريب كانت مما يروق لكثير من المؤرخين والادباء . وفي التاريخ العربي اخبار كثيرة من هذا النوع تملأ صفحات طويلة ، فمنها ما قد وقع حقّاً ، ولم يكن التصادف الغريب بمستحيل ، ومنها ما كان يؤلفه او يخترعه بعض الرواة حبّاً بالقصص والغرائب فيها ، والغريب في الغالب مرغوب في سماعه ، وهل هناك غرابة اجمل من قول الرواة : ولد عمر (الفاسق) ليلة قتل عمر (الصالح) فقال الناس فيما بعد : ايّ حق رفع واي باطل وضع .[2]

ومهما يكن من الامر كله فاننا نرى ان ضبط زمن ولادته ليس بالامر الهين ، ولكننا لم نر داعياً كبيراً بعد لرفض الرواية التي تشير الى انه ولد ليلة قتل عمر .

اما انه سمّي باسم الخليفة المقتول فامر يكاد يكون تابعاً لامر التصادف المذكور ، غير انه يعترضنا ايضاً في قبوله بعض الصعوبات ، منها انه كان بين عمر بن الخطاب وبين خالد بن الوليد المخزومي بعض الجفاء كما هو مشهور ، وكان خالد من زعماء بني مخزوم في

---

١) السيوطي (ش) ١٣

٢) الدميري ١ : ٢٢٦ وابن خلكان ١ : ٥٣٩ والعيني ١ : ٢١٥ وفي كل هذه المصادر ان قائل هذه العبارة هو الحسن البصري وفي الجاحظ (ب) ١ : ١٨٣ ان قائلها هو ابن عباس اما في ابن خلكان ٣ : ١٨٩ فان العبارة تروى عن عمر يقولها عن نفسه .

الاسلام لا سيما بعد ان نال ذلك النصر في قهر الردة وتمت على يديه تلك الفتوحات في العراق والشام . وقد سبق ان فتك عمر بن الخطاب كما هو مشهور ايضاً بالعاص بن هشام ابن المغيرة المخزومي في واقعة بدر ، فصار من الطبيعي ان يحفظها له بنو مخزوم . ومنها ان الاسم نفسه لم يكن غريباً عن بني مخزوم ، فاننا نرى في شجرة نسب شاعرنا ان والد جدّه كان اسمه عمر ، فليس بعيداً ان يكون سمّي باسم جدّه الاكبر دون ان يقصد او يلتفت الى ان يخلف هذا الصغير الخليفة عمر باسمه .[1] ولكن هذه الصعوبات او الاعتراضات غير هامّة . ولدينا امور اخرى تضعفها وتقوّي الرأي الاول . منها ما قد جرت عليه العادة عند اكثر العرب في انه اذا حدثت حادثة مهمة لشخص ما بحيث يتداول الناس خبره ، او مات احدٌ من المشهورين وولد لاحدهم مولود جديد وقتذاك سمّي باسمه ، ومنها ان عمر على جفائه لبعض ابناء مخزوم كان قد اقرّ عبدالله والد عمر على ولايته ، وكان عبدالله كما اشرنا صديقاً لعمر اهدى اليه من حلل اليمن اثواباً فرقها عمر في المحمدين ، فليس بعيداً في مثل هذه الصداقة ان يسمي ولده باسم الخليفة صديقه . ومنها ان الخليفة عمر نفسه يرجع بنسبه من ناحية الام الى بني مخزوم ، وكان الرجل الذي روى انه قتله منهم في واقعة بدر خاله اخا امه ، فلا يبعد ان يكون محا الاسلام الذي اعتنقه بنو مخزوم بعد فتح مكة وقبلها آثار هذا الوتر فنزعوا من نفوسهم الحقد والثأر . ومنها ايضاً ان عيّاشاً ابن ابي ربيعة عم المولود الجديد كان صديقاً لعمر ، أسلم معه في اوائل الاسلام وظلّ على اسلامه وخالف اهله بني مخزوم وقتذاك .[2] فلعل لهذه الامور او لبعضها اثراً في التسمية ، زد على هذا ايضاً ان عمر الشاعر يكنى بكنية عمر الخليفة .[3] وفي شعره واخباره ذكر كثير لهذه الكنية — ابي الخطاب — بل ان بعض الرواة كنّاه بالكنية التي اشتهر بها عمر بن الخطاب — ابي حفص[4] — فلا بد بعد هذا كله ان نميل الى قبول الرواية التي كاد يجمع على ذكرها اكثر الرواة الذين ترجموا حياته والتي لم يتصدَّ لنقضها احد من القدماء . وعندئذٍ نصل الى

---

١) سمّت العرب عُمَر واشتقاقه من شيئين امّا ان يكون جمع عمرة الحج واما ان يكون فُعَل معدولاً عن فاعل كما اشتقّوا زفر من زافر راجع ابن دريد ١٠

٢) ابن هشام ٢ : ٧٠ ٣) الاصبهاني ١ : ٢٠ وابن خلكان ١ : ٥٢٩

و ٢ : ١٥٩ والبغدادي ١ : ٢٤٠ ٤) النووي ٤٦١

انه قد ولد على الارجح [١] ليلة الاربعاء في السادس والعشرين من ذي الحجة سنة ٢٣ هـ .[٢] الموافق اليوم الرابع من تشرين الثاني سنة ٦٤٤ م .

اسمه ونسبه وكنيته

ولعل من الخير الان ان نذكر نسبه كاملاً فهو عمر بن عبدالله ابن ابي ربيعة — واسم ابي ربيعة حذيفة او عمرو — ابن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة وبقية النسب يسردها النسابون فمرة هو ابن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة . والنضر فيما يقول ابو الفرج الاصبهاني عند اكثر النسابين اصل قريش ، فمن ولده النضر عُدَّ منهم ومن لم يلده فليس منهم ، وقال بعض نسّابي قريش بل فهر بن مالك قريش فمن لم يلده فليس من قريش .[٣]

وقد نسب شاعرنا الى قبيلته فقيل فيه القرشي ،[٤] والى عشيرته فقيل فيه المخزومي ،[٥] والى جدّ والده فقيل فيه المغيري .[٦]

وقد كُنّي بابي الخطّاب [٧] ويذكر النووي له كنيةً اخرى هي الكنية التي عرف بها الخليفة عمر . قال : وهو ابو حفص عمر بن عبدالله ابن ابي ربيعة [٨] وقد اشتهر بالانتساب الى جدّه ابي ربيعة فقيل عنه « ابن ابي ربيعة » وفي اخباره مواضع كثيرة لم يذكر اسمه فيها الا على الصورة الاخيرة — اي ابن ابي ربيعة — حتى ان النووي قال عنه وهو منسوبٌ الى جدّه .[٩]

---

١) قلنا على الارجح لانه يجب ان نلاحظ ان الروايات قد اختلفت في يوم موت عمر فمنها ما يذهب الى انه لم يمت يوم طعن (راجع الطبري ٣ : ٢٨٠٠ وابا الفداء ١٧٣) والاخير يشير الى ان عمر طعن لستٍّ بقين من ذي الحجة وتوفي يوم السبت سلخ ذي الحجة ودفن يوم الاحد هلال المحرم سنة ٢٤ هـ . اما اليعقوبي فيشير الى ان عمر طعن يوم الاربعاء لاربع بقين من ذي الحجة سنة ٢٣ هـ . واما الواقدي (ف) ١٣٦ فيقول توفي عمر في اليوم الذي طعن فيه لاربع بقين من ذي الحجة سنة ٢٣ هـ .

٢) ابن خلّكان ١ : ٥٣٩ والبغدادي ١ : ٣٤٠

٣) الاصبهاني ١ : ٨ و٣٠ وراجع النووي ٤٦١

٤) " ١ : ٢٨ والمرزباني ٣٠٣ ٥) الاصبهاني ١ : ٢٦

٦) " ١ : ٢٧ وابن ابي ربيعة (ع) ١٨٣

٧) الاصبهاني ١ : ٣٠ و١٠١ و ١٦ : ١٤ وابن ابي ربيعة (ع) ١٨٦

٨) النووي ٤٦١ ٩) النووي ٤٦١

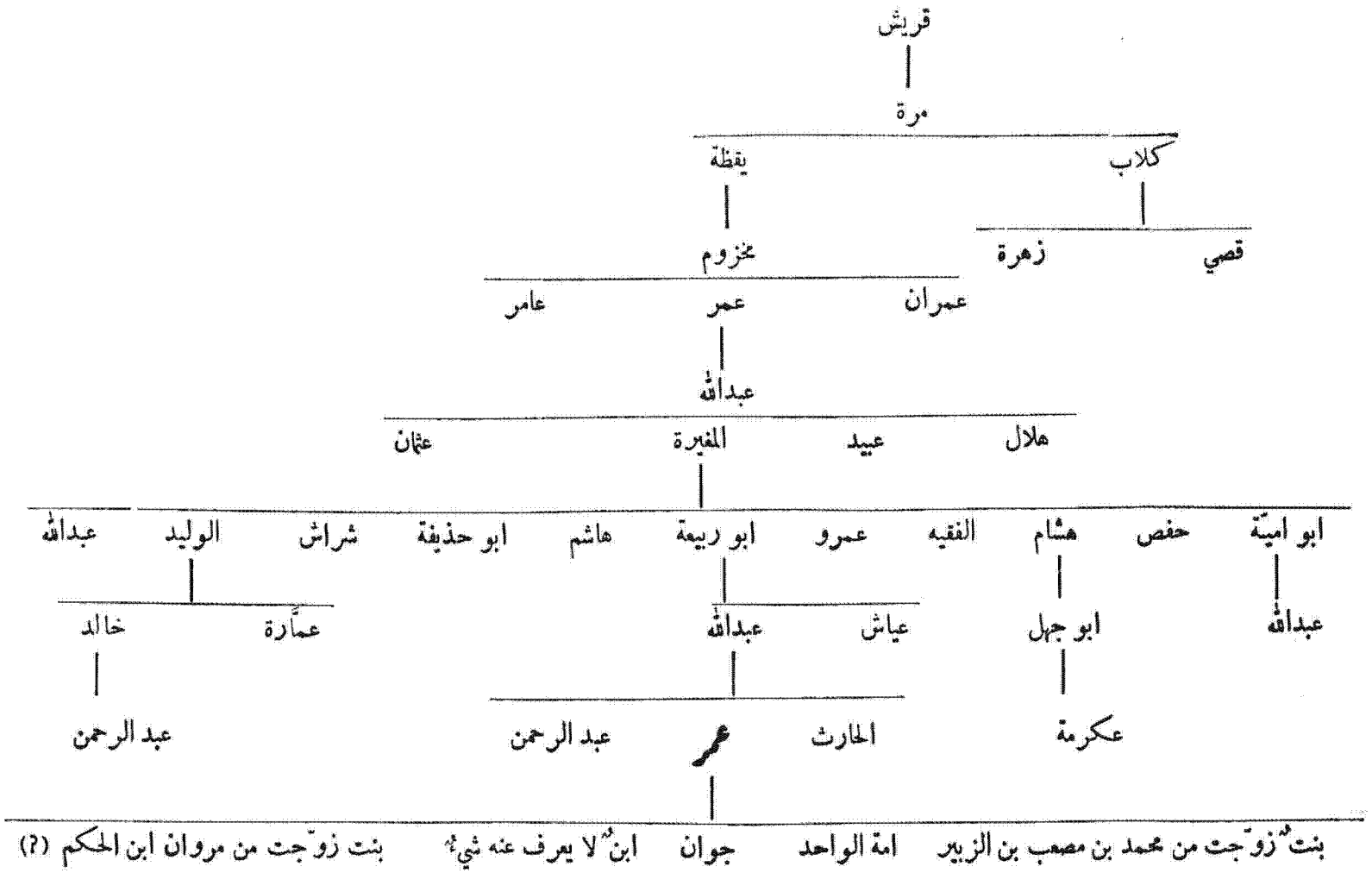

جدول يظهر نسب بني مخزوم في قريش ، دون ان يتصلوا بقصيّ ، وفيه ذكر لاكثر اقرباء عمر (انظر وستنفلد G. T., Part- II. S)

هيئته ولبسه

هيئته

قلن تعرفن الفتى ؟ قلن نعم قد عرفناه ، وهل يخفى القمر ؟

ليس من شك في ان عمر كان جميلًا . ولعل هذا الجمال كان احد العوامل التي جعلته معجباً بنفسه حتى زعم البغدادي ان عمر كان يتغزل بنفسه لحسنه وجماله .[١] ولعل صاحبنا قد ورث هذا الجمال عن ابيه عبدالله ، فقد روى ابن الاثير ان عبدالله كان من احسن الناس وجهاً .[٢]

غير ان هذه الصباحة والوسامة فيه لم توصفا لنا كما وصف هو جمال النساء اللواتي تغزل بهن . فقد كان يكتفي بالافتخار في نفسه والتحلي بودّته ، ويذكر ان النساء كن يطرينه ويلهجن به ويتشوقن اليه حتى نعتته بعضهن او شبهته فيما زعم بالقمر قال في شعره عنهن :

بينما يذكرني ابصرنني دون قيد الميل يعدو بي الاغرّ
قلن تعرفن الفتى قلن نعم قد عرفناه ، وهل يخفى القمر[٣]

رووا ان ابن ابي عتيق لما سمع قصيدة عمر التي فيها هذه الابيات قال لعمر : انت لم تنسب بها انما نسبت بنفسك ، انما كان ينبغي ان تقول : قلت لها ، فقالت لي ، فوضعت خدّي فوطئت عليه .[٤]

وقال ايضاً في موضع آخر في شعره :

وانها حلفت بالله جاهدة وما اهلّ له الحجاج واعتمروا
ما وافق النفس من شيء تسرّ به واعجب العين الا فوقه عمرُ[٥]

والمح في موضع آخر الى جذبه انظار الفتيات اذا تكلم او عبر في طريق قال :

---

١) البغدادي ٢ : ٤٣٠
٢) ابن الاثير (ص) ٣ : ١٥٥
٣) ابن ابي ربيعة (ع) ٣٦٤
٤) المرزباني ٢٠٤
٥) ابن ابي ربيعة (ع) ٢١٤

وكنَّ اذا ابصرنني او سمعنني سعين فرقّعن الكوى بالمحاجر [١]

وقال ايضاً بلسان احدى صاحباته :

قالت موكلة بحفظ كلامها لمعلم حاط النعيم شبابه
اخشى عليه العين ان بصرت به وترى صبابتنا به فتهابه [٢]

وله شعر كثير يصف به دلّه بجماله وبنفسه ربما نعرض لبعضه عند درسنا خلقه .

وكان فيما يظهر طويل القامة . روى ابو الفرج باسناد قال : حجت امرأة من بني اميَّة يقال لها ام الحكم فقدمت قبل اوان الحج معتمرة ، فبينا هي تطوف على بغلةٍ لها ، اذ مرَّت على عمر ابن ابي ربيعة في نفر من بني مخزوم وهم جلوس يتحدثون وقد فرعهم طولاً وجهرهم جمالاً وبهرهم شارةً وعارضة وبياناً .[٣] وقد كان جده ابو ربيعة فيما يزعمون طويلًا حتى قال البعض انما سمّي ذا الرمحين لطوله كأنما كان يمشي على رمحين .[٤] وكان عمر اسمر ، شاحب اللون ، ناحل الجسم في كثير من الاحيان ، قال عن نفسه :

رأت رجلاً شاحبًا جسمه مساري ارض اطال الوجيفا
اخا سفر لا يجم المطي م بعد الكلالة الا وقوفا
فاما تريني كساني السفا م رلون السواد وجسماً نحيفا [٥]

ونقل ابن عبد ربه من شعر عمر في الموضوع نفسه ابياتاً ذكر ان عمر قالها يصف نحول جسمه وشحوب لونه

رأت رجلاً اما اذا الشمس عارضت فيضحى واما بالعشي فيخصر
اخا سفر جواب ارض تقاذفت به فلوات فهو اشعث اغبر
قليلاً على ظهر المطية شخصه خلا ما يقي عنه الرداء المحبّر [٦]

ولعل السفر والتعرض لبرد الليل وحرّ الهاجرة قد اكسباه السمرة والنحول قال بلسان حبيبته :

---

١) ابن ابي ربيعة (ع) ٢١٧
٢) ابن ابي ربيعة (ع) ٦٤
٣) الاصبهاني « د » ١ : ١٦٠
٤) الاصبهاني ١ : ٣٠
٥) ابن ابي ربيعة (ع) ٢٦٦
٦) ابن عبد ربه ٣ : ١٧٦ راجع ابن ابي ربيعة (ع) ١٨٣ حيث ترى البيت الثالث على غير هذا الشكل

قفي فانظري اسماء هـل تعرفينه اهذا المغيريّ الذي كان يذكرُ
اهذا الذي اطريت نعتاً فلم اكن وعيشك انساه الى يوم اقبرُ
فقالت نعم لا شكّ غيّر لونه سرى الليل يحيي نصه والتهجر [١]

وقال يخاطب حبيبته :

فاما تريني كساني السفا م ر لون السواد وجسماً نحيفا [٢]

وقد كان في وجهه او بالاحرى في فمه علامة فارقة لا ندري تماماً الوقت الذي ظهرت فيه ، فقد كان اسود الثنيّتين العليَيْن ، ويزعم بعضهم في خبر اسوادهما ان امرأة غارت عليه فاعترضته بسواك كان في يدها فضربت به ثنيتيه فاسودتا .[٣] ويزعم البعض الآخر ان عمر اتى الثريا يوماً ومعه صديق له كان يصاحبه ويتوصل بذكره في الشعر ، فلما كشفت الثريا الستر وارادت الخروج اليه رأت صاحبه فرجعت ، فقال لها : انه ليس ممّن احتشمه ولا اخفي عنه شيئاً . واستلقى فضحك ، وكان النساء اذ ذاك يتختمن في اصابعهن العشر ، فخرجت اليه فضربته بظاهر كفها ، فاصابت الخواتيم ثنيتيه العليَيْن وكادت ان تقلعهما ، وخاف ان تسقطا فقدم البصرة فعولجتا له فثبتتا واسودتا .[٤]

وتعرّض بعضهم لعمر وعيّره بها في ثنيتيه غير انه نسب اليهما الكسر لا السواد .[٥]

لبسه وهندامه

تلقاه مرّةً وقد آب من سراه او تهجره اشعثَ اغبرَ

اخا سفر جوّاب ارض تقاذفت به فلوات فهو اشعث اغبرُ [٦]

او :

واشعث ان دعوت اجاب وهناً على طول الكرى وعلى الدؤوب
وكان وساده احناء رحلٍ على اصلاب ذعلبةٍ هبوب
اقيم به سواد الليل نصّاً اذا حبّ الرقادُ على الحبوب [٧]

١) ابن ابي ربيعة (ع) ١٨٣
٢) ابن ابي ربيعة (ع) ٣٦٦
٣) الاصبهاني ١ : ٩١
٤) الاصبهاني ١ : ٩١
٥) " ١ : ٩١ و٩٣
٦) ابن ابي ربيعة (ع) ١٨٤
٧) ابن ابي ربيعة (ع) ٤٦

تلقاه بمثل هذه الهيئة فيدهشك شكله ، وتتنكر عليك هيئته ، ولكن ذلك لا يدوم الاّ الى حين ، فانك ستلقاه مرة اخرى وقد بلغه مقدم بنت لعبد الملك بن مروان ، فلم يكن له همة فيما زعموا الاّ ان يتهيأ باجمل ما يقدر عليه من الحلل والثياب .[1]

ويدعوه حبّه لمغازلة الحسان ان يتنكر الى هند وصاحباتها ، فتراه يلبس لبسة اعرابي ويعتم عمامته ويلتثم لثمته ويزجي قعوده [2] فلا يغرّنك سوء حاله ولا تخدعنّك هيئته ولا تردينّ قعوده الموقّع الظهر ، اذ ستعود فيأخذ لبّك منظره ويبهجك هندامه ، وتراه ايام الحج وقد قدم واعتمر في ذي القعدة ، وحلّ ولبس تلك الحلل والوشي ، وركب النجائب المخضوبة بالحنّاء عليها القطوع والديباج ، وقد اسبل لمّته ، واخذ يلقى العراقيات فيما بينه وبين ذات عرق محرمات ، ويتلقى المدنيّات الى مرّ ، ويتلقى الشاميات الى الكديد .[3]

فهو اذاً تارةً اشعث اغبر كما يقول وطوراً حسن الهيئة والهندام يطيل الازار ويسبغ رقاق البرود كما يقول مرةً اخرى

واذ انا غرّ اجاري ددًا اخو لذة كصريع السكر
من المسبغين رقاق البرو م د اكسو النعال فضول الازر [4]

ومهما يكن من امر اقواله فالظاهر من اخبار الرواة عنه ايضاً انه كان يحب اللبس والهندام . روى عنه ابو الفرج انه كان من اعطر الناس واحسنهم هيئةً .[5] وقال في موضع آخر « بينا ابن عباس في المسجد الحرام وعنده نافع بن الازرق وناس من الخوارج يسألونه ، اذ اقبل عمر ابن ابي ربيعة في ثوبين مصبوغين موردّين او ممصّرين حتى دخل وجلس » .[6] وروى في موضع آخر ان عمر خرج الى الحج ومعه ابن سريج على نجيبين راحلتاهما ملبستان بالديباج ، وقد خضب النجيبان والبسا حلتين ، ثم جلسا على كثيب واخذ ابن سريج يغني عمر حتى اظلم الليل ، وطلع عليهما امير من امراء بني اميّة فاستمع الى غناء ابن سريج ثم نزع حلته وخاتمه عليه وانصرف ، فدفعهما ابن سريج الى عمر وقال له : ان هذين بك اشبه منهما بي . فاعطاه عمر ثلاثمئة دينار .[7]

١) الجاحظ (م) ٢٣٥
٢) الجاحظ (م) ٢٣٩
٣) الاصبهاني ١ : ٨٨ (ش) ق ٥٣
٤) ابن ابي ربيعة (ع) ٣٠٠ وابن ابي ربيعة
٥) الاصبهاني ١ : ١٠١
٦) الاصبهاني ١ : ٢٤
٧) " ١ : ١٠١

ورووا ايضاً انه حج عاماً من الاعوام على نجيب له مخضوب بالحناء. مشهر الرحل بقراب مذهب ومعه جماعة من حشمه وغلمانه ومواليه ، وعليه حلّة موشية يمانيّة ، وعلى ابن سريج ثوبان هرويان مرتفعان ، فلم يمروا باحد الا اعجب من حسن هيئتهم .[1] وذكروا ايضاً ان احدى النساء عرفت عمر ابن ابي ربيعة من امرين احدهما هيئته (لبسه).[2] وكان اصحابه وصاحباته يعرفون ذلك فيه ، ولقد راينا كيف دفع ابن سريج الى صاحبه عمر الحلّة والخاتم اللذين نزعهما عليه الامير الاموي وقال له : ان هذين بك اشبه منهما بي . ورووا ان عمر قال : بينا انا في منزلي ذات ليلة اذ طرقني رسول مصعب بن الزبير بكتابه يقول : انه قد وقعت عندنا اثواب مما يشبهك وقد بعثت بها اليك وبدنانير ومسك وطيب كثير وبغلة . فلما اصبحت لبست بعض تلك الثياب وتطيبت واحرزت الدنانير وركبت البغلة وانا نشيط لا همّ لي .[3]

وقال بلسان محبوبته :

قالت لجارتها انظري ها من أُولى ... وتاملي من راكب الادماء
قالت ابو الخطاب اعرف زيّه ... ور كوبه لا شك غير مراء[4]

وليس غريباً على مثل عمر ان يلتفت الى امر هندامه وهيئته وهو ابن تاجر كان فيما يظهر يستجلب البرود اليمنية ، وقد اهدى الخليفة عمر برود منها فرقها عمر كما ذكرنا في المحمدين ، زعموا انه غطاها بثوب ثم قال ادخل امرؤ يده فاخذ حلته وما قسم له .[5] وكان لعمر كابيه عبيدٌ في الحوك وكان كابيه يرغب في ان يهدي الثياب ، حدثوا انه اهدى جميلة المغنيّة عشرة آلاف درهم وعشرة اثواب كانت معه فقبلتها .[6] ورووا ان بنتاً لمروان بن الحكم حجّت ، فلما فرغت من نسكها اتت ابن ابي ربيعة وقد اخفت نفسها بين نسوة ، فحدثته وحدثها ، ثم اتبعها رسولاً فعرف موضعها واثبتها ، فعادت اليه فاخبرها بمعرفته اياها فنشدته الله الاّ يشهرها بشعره وبعثت اليه الف دينار فقبلها ، وابتاع بها حللاً وطيباً واهداها اليها ، فردتها ، فاعادها وقال: والله لئن لم تقبليها لانهبنّها فيشتهر الامر ، فقبلتها ورحلت.[7]

---

١) الاصبهاني ١ : ١٠١
٢) الاصبهاني ١ : ٨٨
٣) " ٨ : ١٤٦
٤) ابن ابي ربيعة (ع) ٣٠
٥) الاصبهاني ١٦ : ١٥٨
٦) الاصبهاني ٧ : ١٢٤
٧) " ١ : ٦٩ و ٨ : ٥٥

وكان يلتفت ايضاً الى ثياب محبوباته فيصفها في شعره مع ما يصف من جمالهن بشيء من الدقة قال في قرشيّة :

شفَّ عنها مرقق جَنَدي فهي كالشمس في خلال السحاب[1]

وقال في اتراب الثريا :

يرفلن في مطرفات السوس آونة وفي العتيق من الديباج والقصب
ترى عليهن حلي الدر متسقاً مع الزبرجد والياقوت كالشهب[2]

وكان عمر يحب العطر والطيب . وقد احس القدماء بحب عمر الى التطيب كما احسُّوا بالتفاته الى زيّه وهندامه فرووا انه كان من اعطر الناس واحسنهم هيئة .[3] وقد كان فيما ارسله مصعب اليه ذات يوم من الهدايا طيب كثير فلما اصبح عمر تطيَّب به .[4] وكان يعلم حب النساء الى الزينة والتطيب فكان يتزين ويتطيَّب ، وكان بالوقت نفسه يهدي الطيب . وقد ابتاع بالالف دينار التي بعثت بها اليه بنت مروان حللًا وطيباً فاهداها اليها .[5] وكما ان والده كان صاحب تجارة في البرود اليمنية كذلك كانت جدَّته اسماء تاجرة في الطيب وكان ياتيها العطر كما ذكرنا سابقاً من اليمن من عند والد عمر فتبيعه بالمدينة .[6] وقد صار من الطبيعي ، وقد نشأ عمر في بيت يتجر اهله بالطيب ، ان يحب التطيب ويتعوده ويكثر من استعماله . وقد ذكر الجاحظ ان عمر امر غلمانه ذات يوم ان يصنعوا له خلوقاً لغرض كان يقصده فصنعوا له .[7] وهو القائل واصفاً عطر ثيابه :

ورضاب المسك من اثوابه مرمر الماء عليه فنضر[8]

وكان عمر فيما يظهر لنا من بعض الاخبار يمشي مشية خاصة ، رووا عنه انه خرج مرة في اثر الثريا وقد رحلت فلحقها على مرحلتين ، فلما ادركهم نزل عن فرسه ودفعه الى غلامه ومشى متنكراً حتى مرَّ بالخيمة التي تنزل الثريا فيها فعرفته الثريا واثبتت حركته ومشيته .[9]

---

١) ابن ابي ربيعة (ع) ٧٤
٢) ابن ابي ربيعة (ع) ٩٣
٣) الاصبهاني ١ : ١٠١
٤) الاصبهاني ٨ : ١٤٦
٥) " ١ : ٦٩ و ٨ : ٥٥
٦) " ١ : ٣٣
٧) الجاحظ (م) ٣٤٧
٨) ابن ابي ربيعة (ش) ق ٣٣
٩) الاصبهاني ١ : ٩٥

ولا نستطيع التوسع في وصف هذه المشية حيث لا نعرف عنها شيئاً غير هذه الرواية . وتزعم الرواة ان لقريش مشية خاصة يميل فيها الماشي كما يظهر ميل الثمل . قال الاخطل :

اذا اصطبح الفتى منها ثلاثا بغير الماء حاول ان يطولا
مشى قرشيةً لا شكَّ فيها وارخى من مآزره الفضولا (١)

١) الاصبهاني ٧ : ١٧٣

غناه وثروته

قالت موكلة بحفظ كلامها لمعلّم حاط النعيم شبابه
اخشى عليه العين ان بصرت به وترى صبابتنا به فتهابه

ولقد تقلّب عمر منذ صغره في احضان اليسر والسعة ، وترعرع يظلله لين العيش وخفضه . نعم ! لقد حاط النعيم شبابه ، وتوفرت له اسباب الترف والرفاهية ، فقد كان ابن تاجر موسرٍ من امراء قريش عرف فيما رايناه بكثرة ماله وعبيده ، ثم مات والد عمر ، فورث عمر نصيباً كبيراً من هذه الثروة الضخمة . ويظهر انه لم يهمل شؤون التجارة التي ورثها ، فالاخبار تذكر لنا رحلات يمنيّة كان يقوم بها لعلّ بعضها كان في امور تجارته . وهو يقول في شعره بلسان محبوبةٍ تعاتبه على تركها وترك الحج ومواسمه وتعلقه في اليمن في سبيل اموره الاخرى :

بالله قولي له في غير معتبةٍ ماذا اردت بطول المكث في يمن
ان كنت حاولت دنيا او رضيت بها فما اخذت بترك الحج من ثمن[1]

بل ان بعض المصادر تشير الى انه ظلّ يتعاطى ادارة بعض الاعمال التي كان يتصرف فيها عبيد والده ، فقد ذُكر انه كان لعمر في كهولته نحو سبعين عبداً يعملون في الحوك سوى غيرهم .[2] وذكر البكري ان لعمر اراضي مخصبةً في الجنوب اليمني ورثها اماً من امه او من ابيه .[3]

ولقد كان هذا المال عاملاً من العوامل التي سهلت له سبل اللهو ، فكان ينفق عن سعة حتى زعموا انه اعطى مئة دينار للذي بشّره بزيارة بنت محمد ابن الاشعث الكندية ، وبعث الى امها بخمس مئة .[4] ولقد اعيته امرأة من قومه تدعى كلثم المخزومية ، فاحتال الى ذاك بان اشترى عبدة لهذا الامر ، واعلمها بشأنه ، وبعثها رسولاً الى كلثم بعد ان

---

١) ابن ابي ربيعة (ع) ٥٢٨
٢) الاصبهاني ١ : ٣٧ والحصري ١ : ٢٩٨
٣) البكري ٤٨٩
٤) الاصبهاني ١ : ٤١

وعدها اعتاقها اذا هي نجحت في مهمتها ، فافلحت واعتقها .[1] كذلك يذكر لنا الرواة أخبار اعتاقه لكثير من رقيقه في شتى المناسبات ، حتى في نسكه عندما آلى ، فيما يزعمون ، الاّ يقول شعراً ، فانه حنث بيمينه وكفّر عن ذاك بفك رقاب تسعة ارقاء عدد ابيات الشعر التي نظمها .[2] وساعده ماله على ان يكثر من الرقيق ، فيدرّب بعضهم على الغناء ، ولقد ارسل مرّة احدى مواليات الى جميلة المغنيّة لتأخذ منها صوتاً غنته جميلة بشعره ، حتى اذا حذقت الصوت ومهرت به ارسلها الى صاحبته سبيعة العراقية تغنيها فيه .[3]

ولقد استعان بغناه على تزيين هيئته وهندامه ، فكان ظهوره في مواسم الحج يلفت النظر ، حتى لقد كان يزيّن مركوبه فيضع على ذلوله قطع الديباج والحلل المزركشة ويخضبها بالحنّاء . واستصحب معه مرةً غلامه جنّاداً يقود فرساً له ادهم اغر محجّلاً كان يسمّيه الكوكب ، في عنقه طوق من ذهب .[4] وتذهب بعض المصادر الى انه كان لعمر منزل وفساطيط بمنى يخرج اليها ايام الحج ومعه جماعة من حشمه وغلمانه ومواليه يسيرون بموكب هو دهشة الناظرين .[5] وكان غناه عاملاً مهمّاً في صيانة كرامته كشاعر ، وقد رووا ان سليمان بن عبد الملك قال له : ما يمنعك من مدحنا ؟ قال عمر : انا لا امدح الرجال انما امدح النساء .[6] وقد حاولت بعض الاميرات ان يسكتنه بهداياهن او يكافئنه على شعره فيهنّ فكان يرفض قبول المال ، او يقبله ثم يردّه بطريقة لطيفة . من ذلك انه حجّت احدى اميرات بني امية فيما يروون فذكرها في شعره ، وسار وراءها بعد عودتها من الحج ، فارسلت اليه الف دينار ليرجع عنها ، فاخذ المال واشترى فيه حلالاً وطيباً واهداها اليها ، فرفضت ، فألح عليها وتهدّدها ان هي لم تقبل هديته ان يشهرها في الناس فقبلتها .[7]

وسار وراء عراقية الى العراق وقد وعدته الزواج منه اذا طلبها من قومها ، فلما بلغ العراق ندمت على وعدها واهدته خمسة الاف درهم فردّها اليها ولم يقبلها .[8]

---

١) الاصبهاني ١ : ٨٣ — ٨٣
٢) " ٧ : ١٤١
٣) " ١ : ١٠١
٤) " ١ : ٦٩
٥) الاصبهاني ١ : ٦٤
٦) " ١ : ١٠١
٧) " ١ : ٣٥
٨) " ١ : ٧١

نشأته

كم يكابد الباحث في تاريخ رجال القرون الاولى من العناء اذا حاول درس نشأة هؤلاء الناس وحياتهم ايام صباهم . والواقع ان القدماء قلما كانوا يعنون في الالتفات الى هذه الامور ، فلم يكن من همّهم شأن الصبيّ حتى ينبغ او يشتهر بفنٍّ او شعرٍ او حربٍ ، او حتى يليَ او يملك ؛ وقلما عنوا بما يعنى به المؤرخون في هذا العصر من تدوين سير للرجال في كتب خاصة ؛ ولذلك فان كثيراً من اخبار رجال التاريخ العربي قد انتثرت في تضاعيف كتبٍ لم يقصد منها التاريخ او السير ؛ وهكذا فاننا نرى الآن اخباراً عن بعض الشعراء في كتب الحيوان ، واخرى عن رجال الحرب والسياسة في كتب الادب . غير ان عمر نال من عناية هؤلاء القدماء شيئاً ليس بيسير ، فقد وضعت عنه فيما يظهر كتب خاصة قُصرت على اخباره ، وهو حظّ قلّ من ناله . قال ابن النديم : ان عمر كان من الذين عشقوا وأُلِّف في اخبارهم .[1] وروى ان لابن بسّام الشاعر من الكتب كتاب اخبار عمر ابن ابي ربيعة . وقال : ولم أرَ في معناه ابلغ منه .[2] وروى ايضاً ان للزبير بن بكّار كتاباً في اخبار ابن ابي ربيعة .[3] وقد اشار ابن خلّكان ايضاً الى كتاب ابن بسّام في عمر ابن ابي ربيعة وزعم انه لم يستقص احد في بابه ابلغ منه .[4] وقد ضاعت ، ويا للاسف ، هذه الكتب كلها ، ولولا أن بعض المؤرخين والادباء من مؤلفي الكتب الكبيرة الجامعة قد التفتوا الى عمر لكانت اكثر اخباره في عالم الخفاء . ولعلّ ابا الفرج الاصبهاني هو اولى المؤلفين ذكراً ، فقد افرد لعمر في اغانيه نحو خمسٍ وستين صفحة في الجزء الاول منه (طبعة بولاق) عدا ما نثره في العشرين جزءا الاخرى . وهو قدر لم يفرده الاصبهاني لشاعرٍ آخر او ملكٍ او امير . وكان الزبير بن بكار مصدراً من المصادر التي استند اليها رجال السند في الاخبار المذكورة في الاغاني . ومن الخير ان نذكر هنا ان ابن بكار هذا كان

---

١) ابن النديم ٣٠٦
٢) ابن النديم ١٥٠ وانظر حاجي خليفة ١ : ٦١
٣) " " ١١١
٤) ابن خلكان ١ : ٥٠٣

– فيما يزعم ابن النديم – شاعراً صدوقاً وراويةً نبيل القدر ، ولي قضاء مكة وتوفي فيها وهو قاض عليها .[١]

ويجب الاّ ننسى ان عمر قد خلّف لنا ديواناً من الشعر ، غير ان هذا الديوان على كبره غير تام . ويلوح لنا ان قدراً كبيراً من شعر عمر قد ضاع . ولا يزال الديوان يحفظ لنا نتفاً من قصائد ليس من شك في انها كانت اطول مما هي الآن .[٢] وقد ذكر الاصبهاني انه اطلع على دواوين لعمر رواها المدنيّون والمكيّون .[٣] وسنعرض لهذا الامر عند دراستنا شعر عمر . والذي يهمنا الآن هو ان نذكر ان ضياع هذه الاصول وهذا الشعر سيجعل بحثنا في نشأة صاحبنا امراً شاقاً . فكيف قضى صباه ؟ واين قضاه ؟ وكيف نهج هذا النهج الشعري ؟ وحذو اي الشعراء حذا ؟ كلها امور يصعب درسها . ونرى ان كثيراً من نواحي حياته في طفولته وصباه سيظلّ غامضاً حتى يقيض الله لأحد العثور على بعض هذه الكتب التي ذكرنا او الشعر الذي ضاع ان كان فيها ما ينقع غلة .

صدر من النشأة

وبعد فقد ظهر لنا من اخباره ما حملنا على ان نرجح انه ولد في المدينة ، وليس غريباً ان يكون اهله قد حملوه صغيراً الى بعض القبائل ليسترضع فيها . فقد كانت عادة الكثيرين من سكان مكة والمدينة في ذلك الزمن ان يبعثوا باطفالهم الى البادية . فيظل الطفل عند ظئره التي يختارونها له ترضعه ثم تفطمه . وقد يجوز ان يبقى عندها مدةً بعد فطامه فينشأ نشأته الاولى في البادية دون ان يفوت ظئره التردد به الى اهله من وقت الى آخر .

وهناك قرائن تدفعنا الى مثل هذا الظن فيما يتعلق بعمر فقد كان يحب البادية ويكثر من التردد اليها في شبابه ، بل انه اتخذ اصدقاء له من رجالها الاعراب وعاشر فتيات من بناتها ذكرهن في شعره . وحينما صار رب عائلة ارسل ابنته وهي طفلة لتسترضع في هُذيل عند شيخ بني كاهل . وسار هو بنفسه ، بعد ان تمّ استرضاعها ، يطلبها ويعيدها اليه .[٤]

وليس غريباً ايضاً ان يكون قد زار أخواله في صباه . ولنذكر أن اباه كان عاملاً على بعض مخاليف اليمن ، فلعلّ امه ذهبت به الى اهلها لتكون معهم ومع زوجها [ابيه] .

---

١) ابن النديم ١١١
٢) الاصبهاني ١ : ٧١ و ٨ : ١٤٦
٣) الاصبهاني ١٩ : ٥٣
٤) ابن ابي ربيعة (ع) ١٧٣

وسيظهر لنا عند دراستنا شعر عمر انه قد تأثر – الى حدٍ ما – شاعراً يُعرف بعبد بني الحسحاس تذهب بعض الروايات الى انه كان عبداً عند والده عبدالله في اليمن ، وان عبدالله كتب الى الخليفة عثمان يعرضه عليه ، فكتب اليه عثمان : لا حاجة بي اليه .[1]

وسواء أصحّت هذه الافتراضات ام لم تصح ، فالظاهر من اخباره انه قد قضى اكثر ايام صباه وشبابه في المدينة نفسها حيث وقعت اكثر وقائعه الحبيّة الاولى وحيث كان اصحابه خالد القسري وابن ابي عتيق وعبدالله بن جعفر . فقد نشأ الاول فيما يقول ابو الفرج في المدينة ، وكان في حداثته يمشي مع عمر ويتوسط له مع صواحبه ويأخذ له رسائله اليهن .[2]

وكان ابن ابي عتيق وابن جعفر من اهل المدينة ، وكان عمر يتردد معهما في صباه الى بيوت المغنين والمغنيات .[3] وهناك دلائل كثيرة في شعره واخباره تشير الى نشأته في المدينة ومقابلته لبعض صاحباته بتواضع فيها كالعقيق والمصلى والبلاط والبقيع .[4] بل هناك خبر يفيد انه حينما ترك عمر المدينة وطال غيابه عنها اخذ البعض من صواحبه يتذكرن حديثه وحسن مجلسه وظرفه ويتشوقن اليه فبعثت اليه احداهن رسولاً ان يوافيهنّ الى موضع

---

١) الاصبهاني ٢٠ : ٣ ٢) الاصبهاني ١٩ : ٥٥

٣) " ١٦ : ١٤ ٤) ابن ابي ربيعة (ع) ١١٥ و ٣٠٥ و ٣٤٧ و ٣٩٧ و ٤٤٣ والاصبهاني ١ : ٦٦ و ١٩ : ٥٦ وله في فتاة يسمّيها هندًا اشعار كثيرة يظهر منها ان صاحبته هذه من المدينة او ضواحيها منها قصيدة (ابن ابي ربيعة (ع) ٣٧٠) يذكر فيها فراقه لهند ويتذكر طيب زمنه معها اذ اهله واهلها خليطان :

اهاجك ربع عفا مخلقُ نعم ففؤاديَ مُستعلِقُ
لذكرة من قد نأت داره ففلبي في رهنه موثق
يذكرني الدهر ما قد مضى من العيش فالعين تغرورق
ليالي اهلي واهل التي دموعي بذكراهم تسبق
خليطان محضرنا واحدٌ فحبلُ المودّة لا يخلَق
لنا ولهندٍ بجنب الغميـ ـم مبدًا ومنزلنا مُوثق
فان يكذاك الزمان انقضى فحبلك من حبلها مطاق
فقد عشت فيما مضى لاهياً بها والوصال بنا يعلق

وله في هند الدالية المشهورة : « ليت هندًا انجزتنا ما تعد » وفيها يقول :

اغا اهلك جيران لنا اغا نحن وهم شيء احد

سنّته في ليلة عينتها فوافاهن على رواحله وحدثهن حتى طلوع الفجر .[1]

نشأته العلمية والادبية

لقد سبق لنا فذكرنا في الجزء الاول من هذا الكتاب شيئاً عن الحياة العلمية والادبية في الحجاز ، ولاحظنا تغيّر الكثير من النظم الاجتماعية في حياة اهل ذلك الجيل ، ووصفنا مظاهر هذه النهضة الجديدة في امهات المدن هناك لا سيما في المدينة عاصمة الخلفاء الراشدين حيث وُلد صاحبنا ونشأ . وكانت المدينة مدرسة الاسلام الكبرى في ذلك الزمن . ففيها ظهر التشريع الجديد ، وفيها قويت شوكة الاسلام، وفيها اجتمع اكثر الصحابة والتابعين، وفيها جُمع القرآن ودُوّن، فانتشرت القراءة والكتابة بين الناس، واخذ اولاد الاشراف يترددون الى الكتاتيب يتعلمون بهـا فيقرأون القرآن ويخطُّون آياته ويحفظون الاشعار ويروونها ، ناهيك بحلقات المساجد التي كان يتزاحم اليها كبار الناس . ولم تنقطع هذه الحركة حتى اواخر القرن الاول ، فكان من الطبيعي لصبيّ مثل عمر ، ابن اميرٍ من امراء قريش ، ان يتصل بها وان يُدفع اليها فيؤدب على ايدي المؤدبين ان فاته التردد الى المساجد والكتاتيب . ومع ان المصادر كلها لا تشير الى هذه النشأة العلمية اشارةً صريحة ، فانّا

وله قصائد نرى في بعضها ذكرًا لاشياء تدل على أثر نشأته المدنيّة وتأثره ببعض الفاظ كانت فيها نرجح مدنيّة فيها آثار اليهودية التي عرفت بالمدينة كاستعماله مثلًا كلمة سبت بمعنى اسبوع قال :

سكنت مشرف الذرى ثم قالت لا تزرنا ولا نزورك سبتـا

ابن ابي ربيعة (ع) ١٠٩

وقد اكثر عمر من ذكر السبت موعدًا للقاء صاحباته انظر ابن ابي ربيعة (ع) ٥٧٥ وفي هذه القصيدة يذكر عمر انه علّق فتاته ناشئًا . وانظر ص ١٤٣ وله مقطوعة في فتاة مدنية اسمها جمل يذكر فيها صديقًا له اسمه هارون ويصف كيف فتنته صاحبته حين رآها ليلة السبت . منها :

ان ما اورثت من الحب جمل كاد يبدي المجمجم المكنونا
ليلة السبت اذ نظرت اليها نظرة زادت الفؤاد جنونا
ان عمشاك دون دار عديّ كان للقلب فتنةً وفتونا
وتراءت على البلاط فلما واجهتنا كالشمس تُمشي العيونا
قال هارون قف ! فباليت اني كنت طاوعت ساعة هارونا

ابن ابي ربيعة (ع) ٥٨٣

[1] الاصبهاني ١ : ٤٧

نرى بين سطورها وفي شعر عمر نفسه ما يهدينا على الاقل الى انه ثقف القراءة والكتابة وتأدب على خير ما يتأدب عليه ابناء الاشراف والصحابة .

ويلوح لنا ان موت والده لم يحلْ دون اكتمال تربيته ، فان اخاه الحارث ظلَّ يتعهده كما كان يتعهده في غياب ابيه في اليمن حتى شبَّ عن الطوق ونظم الشعر وطرق ابواب الغزل . ولقد زعموا ان الحارث هو اول من تنبَّه الى هذه الملكة الشعرية في اخيه وانه أتى به الى ابن عباس يقول له ان اخي هذا قال شعراً فان كان مما يجمل بمثله تركته والاَّ حبسته ، فاستنشده ابن عباس فانشده عمر من شعره فقال ابن عباس : لئن بقي هذا ليخرجن المخبآت من خدورهن .(١)

وهكذا فان عمر لقن مع القراءة والكتابة بعض العلوم الدينية المعروفة في زمنه ، فقرأ القرآن ، وحفظ بعض الحديث ورواه ، ودرس اكثر اشعار القدماء وحفظ بعضها ورواه وناقش بعض الشعراء من معاصريه ، وكان يوجه عام شاباً تثقف الثقافة الدينية والعلمية والادبية التي كان جديراً بابن امير صحابي مثله ان يتثقفها .

اما الادلة على معرفته القراءة والكتابة فهي كثيرة ، فقد روى المبرد ان عمر كان هو وابن عتيق في مكة ، واذا بامرأة محرمة تمر بهما ، فهاج عمر الشعر فنظمه وكتب به اليها ، فلامه ابن عتيق ، فلما كان بعد مديدة اتاه جوابها فدعا بابن عتيق وقرأه له .(٢)

وروى الاصبهاني انه لما وقع الجفاء بين عمر والثريا بادر ابن ابي عتيق الى الاصلاح بينهما ، فقدم على الثريا ، وحملها على ان ترضى عن عمر ، وطلب اليها ان تكتب اليه كتاباً يصل على يديه ، ففعلت ، وحمل بنفسه كتاب الرضى الى عمر ، ودفعه اليه فقرأه عمر وسلّي عنه .(٣)

ووعد أمة سوداء كان اشتراها انه مطلق لها حريتها اذا هي اوصلت رسالةً منه الى امرأةٍ سماها لها . فالتمست منه ان يكتب لها عهداً بهذا في رقعة ، ثم سألته ان يذيل العهد (المكاتبة) بما يريد ان يقوله لصاحبته ، ففعل وحملت الأمة هذه المكاتبة الى السيدة وطلبت اليها ان تقرأ شروط هذا العهد واستحلفتها ان تقرأ كل ما في الورقة ، ففعلت وقرأت رسالة عمر اليها .(٤)

---

١) العيني ١ : ٣١٥—٣١٦ . الرواية تجعل الحارث عماً لعمر ، وقد اصلحنا هذا الخطأ في النص .
٢) المبرّد ١ : ٤١٣
٣) الاصبهاني ١ : ٩٠
٤) الاصبهاني ١ : ٨٣

ويذكر الجاحظ ان عمر كتب مرةً الى امرأةٍ بالمدينة رسالة شعرية.[١] وسأل مرة جاريةً من جواريه ان تأتيه بدواةٍ فاتته بواحدة واخذت يكتب شعراً يسلّي به عن نفسه من شيء المّ به.[٢]

ومن الممتع ان نعلم ان اكثر صاحباته كنّ يعرفنَ القراءة والكتابة ايضاً فكنّ يقرأن رسائله اليهن ويبعثن بردودهنّ اليه او يرفضن ان يجبنه بشيء او يطردن رسله اليهن.

وله في احداهن يقول :

انبئت انك اذا اتاك كتابنا اعرضت عند قراتك العنوانا [٣]

وله في اخرى يقول :

سلّم الله الف ضعفٍ عليكم مثل ما قلتم لنا في الكتاب [٤]

وله في ثالثة يقول :

خبرينا بما كتبت الينا أهو الحق ام تهزأت منّا [٥]

وكان يكتب على المواد المألوفة ذلك العصر كالرقوق والاقمشة. فقد ذكروا انه بعث برسالة الى الثريا كتبها في قوهيّة وشنف الكتاب وحسّنه[٦] ولعله لم يفته ان يستعمل البرديّ المستورد من مصر. امّا اذا عزّت عليه هذه المواد الثمينة فقد يستعين بعظام الإبل او غيرها وقد رووا انه دعا بكتفٍ ذات مرة وكتب عليه.[٧]

عمر والقرآن

وليس من شك في ان معرفته للقراءة والكتابة، والجوّ الدينيّ الذي كان يحيط به، والبيئة التي نشأ فيها في كنف والده الصحابي واخيه المحدّث، كل هذه الامور دفعته الى قراءة القرآن ودرسه. ولنذكر ان تدوين القرآن قد شاع في ذلك العصر كثيراً، وان النسخ الخطيّة منه اصبحت مألوفة عند الكثيرين من خاصة الناس. وشعر عمر يدلّ دلالةً

---

١) الجاحظ (م) ٢٠٤ ٢) الجاحظ (م) ٢٤١ وراجع الشعر في ابن ابي ربيعة (ع) ٥٤١
٣) ابن ابي ربيعة (ع) ٥٨٨ ٤) ابن ابي ربيعة (ع ، ٥٨ وانظر في المصدر نفسه ص ٥٠٠
٥) " " " (ع) ٥٥٣ ٦) الاصبهاني ١ : ٩٣ والقوهي قماش ابيض ينسب الى قوهستان
٧) الوشاء ١ : ٤٥

واضحة على ان صاحبه قد المّ بكثير من تعاليم الاسلام ، فهو يستعين بمعاني القرآن في شعره ، ويقتبس بعض تعابيره والفاظه . ولعلّ من الخير ان نكتفي هنا بالاشارة الى مواضع بعض هذه الآيات في القرآن الكريم وما يقابلها في شعر عمر تاركين بحث هذا الامر الى الجزء الثالث من هذا الكتاب .[1]

عمر والحديث

ولم تقتصر معرفته على القرآن وتعاليمه ، بل تعدتها الى الحديث ، فقد ذكر السيوطي في شرح شواهد مغني اللبيب ان عمر قد نقل بعض الحديث عن الامام سعيد بن المسيّب ، وان مصعباً بن شيبة وعطّافاً بن خالد رويا عنه .[2] ولم يفت القدماء ان يغمزا هذين المحدثين ، فقد قال بعضهم في احاديث مصعب انها مناكر . وقال الذهبي انهم لا يحمدونه .[3] وكذلك قالوا في عطاف ، فقد غمزه مالك ، وقال غيره ليس عطاف بالمتين عند اهل الحديث .[4] وليس هذا بغريب اذ يكفي ان يكونا قد نقلا بعض حديثهما عن عمر ليجرحه المحدثون المتأخرون ، ولكنّ الغريب ان يكون هناك من يقول عنهما انهما ثقتان .[5]

ولعل القارىء لا يستغرب بعد هذا ان يعنى شاعر مثل عمر بالتنزيل والحديث ، فيلمّ بهما الماماً ليس باليسير ، بحيث ينقل عنه الحديث ، وبحيث يظهر اثرهما في شعره ، فالواقع انه

---

١) القرآن ٥ : ٤٩ وابن ابي ربيعة (ع) ٧٦ و (ش) « ق » ٢٤٧
" ٣٨ : ١٥ " " " " ١٧ و (ش) « ق » ٢٩٧
" ٣٨ : ٢٢ " " " " ٩٧ و " " ٢٦٣
" ١١٣ : ٤ " " " " ١٤٧ و " " ١٥٥
" ٩ : ٨ و ١٠ " " " " ٥٠٦ و " " ٩٤
" ٥ : ٤٩ " " " " ٥١٣ و " " ٤٢٨
" ٨٠ : ٢١—٢٢ " " " " ١٧٧ و " " ١٥٢
" ٤٤ : ٢٣—٢٤ " " " " ١٧٧ و " " ١٥٢
" ٧ : ١١٨ و ١١٩ " " " " ٥٠٧ و " " ٩٥
" ٢ : ٥٨ " " " " ٥٠٧ و " " ٩٥
" ٩٨ : ١-٥ " " " " ٢٠٢ و " " ٢٢٢

٢) السيوطي (ش) ١١
٣) الذهبي (ميز) ٣ : ١٧٣
٤) الذهبي (ميز) ٢ : ١٩٦
٥) " " ٢ : ١٩٦ و ٣ : ١٧٣

قد التفت الى امور دينه وتفقه فيها ، ولعله كان مديناً بهذه النشأة الى اخيه الحارث الذي كان بدوره محدثاً نقل الحديث عن عمر وعن عليّ كما سبق فذكرنا .

ولقد كان عمر يتردد الى بعض ائمة عصره المعروفين ويحضر مجتمعاتهم وحلقاتهم ، فقد شهد حلقة ابن عباس وحلقة ابن المسيّب ، وقد راينا ان الرواة ذكروا انه نقل حديثه عن الاخير ، وكان ابن المسيب بدوره معجباً بشعر عمر يستشهد به ويفضله على غيره ويتحدى بعض معاصريه ان ياتوا لشعرائهم بما يضارعه .[1] وكان ابن عباس يروي بعض شعر عمر . وقد ذكر الرواة انه كان مرةً في المسجد الحرام وعنده نافع ابن الازرق وناس من الخوارج . اذ اقبل ابن ابي ربيعة فدخل وجلس ، واقبل عليه ابن عباس وسأله ان ينشده ، فانشده رائيته الشهيرة « أمن آل نعم » وقد زعم الرواة ان ابن عباس حفظها غيباً وان بعض اصحابه لامه في ذلك فقال : انها من آل نعم ، وانا نستجيدها . وقد انشده عمر غير الرائية . وكان ابن عباس بعد ذلك كثيراً ما يقول هل أحدث هذا المغيّري شيئاً بعدنا .[2]

ولسنا نذهب الى ان صاحبنا كان من علماء الدين : انما نريد ان نقول انه تثقّف الثقافة الدينيّة التي كان من اللائق ان يتثقفها ابن صحابيّ مثله . ويجب ان نلاحظ انه قد سخّر هذا العلم الديني الذي اكتسبه لاغراضه الخاصة في الحبّ ووصف مغامراته فيه وكسب قلوب الفتيات .

فاتقي ذا الجلال يا ام عمرو ... واحكمي في اسيركم بالصواب
افعلي بالاسير احدى ثلاث ... فافهمين ثم ردّي جوابي
اقتليه قتلاً سريعاً مريحاً ... لا تكوني عليه سوط عذاب
او أقيدي فانما النفس بالنفس قضاء مفصّلاً بالكتاب[3]

واسمعه يخاطب القضاة فيسألهم الاّ يجيزوا شهادة كل النساء ، بل ينظروا الى التي شأنها كذا فيقبلوا شهادتها والى التي شأنها كذا فيردوا شهادتها

يا قضاة العباد ان عليكم ... في تقى ربكم وعدل القضاء
ان تجيزوا وتشهدوا لنساء ... وتردوا شهادة لنساء

ثم ياتي ذكر لانواع النساء اللواتي يرى عمر انه يجب ان تقبل شهادتهن واللواتي يجب ان

---

١) الاصبهاني ١ : ٥٠
٢) الاصبهاني ١ : ٣٤—٣٥
٣) ابن ابي ربيعة (ع) ٧٦

تردّ شهادتهنّ . وفي الابيات الباقية استعارات من القرآن والحديث .[1] ومن حسن حظّ المسلمين والاسلام ان عمر وامثاله كانوا بعيدين عن وظائف القضاء .

كذلك نرى في ابياته التي نظمها لمّا قتل مصعب بن الزبير (حمو ابنته) امرأة المختار عمرة بنت النعمان بن بشير الانصارية ما يشير الى اطّلاعه على تعاليم الاسلام من هذه الناحية فقد ذكروا ان الخوارج انكروا هذا الامر غاية الانكار ورأوا ان مُصعباً قد اتى بقتل النساء امراً عظيماً لانه فيما يزعمون اتى بما نهى عنه محمد في سائر نساء المشركين .[2]

اما ابيات عمر فهي :

ان من اعظم الكبائر عندي قتل حسناء غادة عطبولِ
قتلت باطلاً على غير ذنبٍ ان شه درّها من قتيلِ
كتب القتل والقتال علينا وعلى المحصنات جر الذيولِ[3]

وفي الطبري ان رجلاً اخذ سيفاً من محمد يوم احد فجعل لا يرتفع له شيء الاّ هتكه وافراه حتى انتهى الى نسوة من اللواتي كن صحبن قريشاً يحمسنهم على الحرب بينهنّ امرأة تنشد :

نحن بنات طارق ان تقبلوا نعانق . الخ .

فرفع السيف ليضربها به ثم كفّ عنها ولما سئل عن سبب رجوعه عن ضربها قال اكرمت سيف رسول الله ان اقتل به امرأة .[4]

---

١) ابن ابي ربيعة (ع) ١٦—١٧ ٢) المبرّد ١ : ٥٨٣ وانظر ابن هشام ٧٤٤ حيث نهى الرسول محمد عن قتل امرأة وفي النووي ٨٧٣ انه رآها مقتولةً .

٣) ابن ابي ربيعة (ع) ٤٦٤ ٤) الطبري ١ : ١٣٩٧

وقد اتفق مع عمر في استنكار هذا الامر شاعر آخر (اسمه سعيد بن عبدالرحمن بن حسان بن ثابت الانصاري) هو اولى من عمر باظهار استيائه وحزنه واستنكاره لانه انصاري اقرب الى القتيلة من عمر ، والغريب انه كاد يتفق مع عمر باللفظ والمعنى . ويظهر ان سعيداً قد سرق شعر صاحبه . قال سعيد :

اتى راكب بالامر ذي النبأ العجب بقتل ابنه النعمان ذي الدين والحسب

الى ان يقول :

الم تعجب الاقوام من قتل حرّة من المحصنات الدين محمودة الادب
من الغافلات المؤمنات بريئة من الذم والبهتان والشك والكذب
علينا كتاب القتل والبأس واجب وهنّ العفاف في الحجال وفي الحجب

الطبري ٢ : ٧٤٥

ولعلّ علماء الحديث ينتفعون ، اذا شاءوا التثبت من بعض الاحاديث ، حين يرجعون الى شعر هؤلاء الشعراء في العصر الاموي ليبحثوا فيه عمّا يساعدهم من هذه الناحية ، لا من حيث المعنى فحسب ، بل من حيث اللفظ ايضاً . ولقد اشار شارح ديوان عمر السيد محمد العناني الى كثير من المواضع التي ظهر فيها اتفاق بعض المعاني او الالفاظ في شعر عمر مع بعض معاني الحديث والفاظه .

عمر وعلوم التجارة

وكان عمر ابن تاجر كما راينا ومن عائلة ذات شأن في التجارة قبل الاسلام وفي الاسلام ، فكان من الطبيعي ان ينشأ على شيء من العلم في امور التجارة والحساب . غير ان اخباره من هذه الناحية قليلة جدًا ، فليس هناك اشارة الى انه اتخذ التجارة مهنة له ، بل ليس هناك اخبار عن رحلات تجارية قام بها الاّ في شعر يقول فيه على لسان صاحبته عندما ارتحل الى اليمن شيئاً من العتاب الرقيق ، وقد وجّهته اليه على لسان رفيقتها :

بل ما نسيت ببطن الخَيف موقفها ... وموقفي وكلانا ثَمَّ ذو شجن
وقولها للثريا يوم ذي خشب ... والدمع منها على الخدين ذو سنن
بالله قولي له في غير معتبةٍ ... ماذا اردت بطول المكث في يَمَن
ان كنت حاولت دنيا او نعمت بها ... فما اخذت بترك الحج من ثَمَن [1]

والسبب في رحلته هذه الى اليمن ان اخاه كان يريد ان يصرفه عن الغزل ، فقد كان ينهاه عن قول الشعر فيأبى ، ولعلّه رأى ان يشغله بامر تجاري ويبعده عن الحجاز فاعطاه الف دينار ، فاخذ المال وخرج الى اليمن حيث كان اخواله .[2]

وهناك اخبار كثيرة تشير الى غناه وثروته واقتنائه ارضاً باليمن . وتذهب بعضها الى ان عبيد والده كانوا يتصرفون بجميع المهن ،[3] وانه كان لدى عمر نفسه من العبيد في احدى السنوات في الحوك[4] وحده سبعون .[5]

---

١) ابن ابي ربيعة (ع) ٥٣٨
٢) الاصبهاني ١ : ٤٩
٣) الاصبهاني ١ : ٢٣
٤) لعلّها بمعنى الحياكة كما في القاموس حاك يحوك حوكاً وحياكة ، وفي لغة قبائل البدو في سوريا الآن يستعملون الحوك في معنى الحياكة . وقد شرحها شفارز كذلك غير ان لجنة نشر الاغاني في دار الكتب المصرية ذكرت انها لم تعثر على ذكر لهذا الاسم ثم تقول لعلّه اسم موضع . (الاصبهاني « د » ١ : ٧٨
٥) الاصبهاني ١ : ٣٧

ويرى القارئ انه لا يوجد في كل هذه الاخبار نص صريح الى ان عمر قد ساهم بالحياة التجارية ، او انه كان له على الاقل الملم بشؤون التجارة ، وما تقتضيه من العلم في مثل ذلك العصر من معرفة قواعد الحساب الاوليّة وتدوين الديون ورؤوس الاموال والارباح والخسائر . غير اننا نرى اثراً في شعر عمر يشير الى معرفته بعلم الحساب الاولي . فهناك بيت واحد يصف فيه آثار ثفنات ارجل النياق وكلاكلها اذا ناخت ، ويشبهها بمجاثم القطا . وفي هذا البيت ضرب وقسمة او جمع اذا شئت ولكنّها امور اوليّة من قواعد الحساب تكاد تدرك بالبداهة

على قلوصين من ركابهم وعنتريسين فيهما شجع
كانما غادرت كلاكلها والثفنات الخفاف اذ وقعوا
موقع عشرين من قطاً زمر وقعن خمساً خمساً معاً شبع[1]

ثقافته الادبية

واذا تعدينا هذه الامور الى الادب والشعر نرى ان عمر قد نشأ نشأة ادبيّة راقية ، فقد كان على اطلاع على الكثير من شعر الشعراء الذين تقدموه او عاصروه . ويظهر من بعض الاخبار ان اولاد الزعماء في ذلك العصر كانوا يتادبون على ايدي معلمين يروونهم الشعر . وقد ذكروا انه كان لولد عبدالله بن جعفر معلم ، وان عبدالله قال له : لا تروّهم قصيدة عروة بن الورد التي يقول فيها :

دعيني للغنى اسعى فاني رايت الناس شرهم الفقير

ويقول : ان هذا يدعوهم الى الاغتراب عن اوطانهم .[2]

والمهم في نظرنا هنا ان نعلم ان عمر كان قد المّ بشعر الكثيرين من معاصريه واسلافه . وفي قصته مع الفتيات المدنيّات اللواتي خرجن ليتنزهن فراين خالد الخُرَيت واوعزن اليه ان يحتال على عمر في ان يزورهن متنكراً وهن في احسن زينة ، اقول في قصته هذه ما يشير الى ان عمر جلس اليهن يحدثهنّ وينشدهنّ اشعاراً لكثيّر وجميل والاحوص ونصيب .[3]

---

١) ابن ابي ربيعة (ع) ٣٣٨
٢) الاصبهاني ٢ : ١٩١
٣) الاصبهاني ١ : ٧٣

وقد زعموا انه كان يعارض جميلاً فاذا قال هذا قصيدة قال عمر مثلها.[1] بل انه لما زار بثينة روى لها شيئاً من شعر صاحبها جميل المذكور.[2]

كذلك رووا ان عمر رأى مالكاً ابن اسماء وهو يطوف بالبيت، وقد بهر الناس جماله، فاعجب به، ثم سأل عنه فعرفه فعانقه وسلّم عليه وقال له: انت اخي حقاً. فقال له مالك: ومن انا؟ ومن انت؟ فقال عمر: اما انا فستعرفني، واما انت فالذي يقول:

ان لي عند كل نفحة ريحان م من الورد او من الياسمينا
نظرةً والتفاتةً أترجى ان تكوني حللت فيها يلينا

ثم اخذا يتحادثان. وترى في حديثهما ما يفيد اطلاع عمر على شعر مالك ونقده اياه.[3]

واذا تعدّينا اخباره الى شعره نرى آثار هذه النشأة الادبيّة وتتلمس الممه بشعر القدماء والمعاصرين. وسنعرض الى هذه الناحية بتفصيل دقيق عند بحثنا في شعره في الجزء الثالث من هذا الكتاب. ونكتفي هنا بذكر أسماء طائفة من الشعراء الذين تأثرهم او اقتبس منهم او عارضهم او تناشد الشعر معهم. فمن القدماء امرؤ القيس، وعنترة، وزهير، والنابغة، والاعشى، وحسّان، وعديّ بن زيد، وابن اوس، وعلقمة، وابو قيس بن الصلت، والحطيئة، والاسود بن يعفر، وعبد بني الحسحاس، والمثقب العبدي، وغيرهم. ومن النساء الخنساء. ومن معاصريه جميل، وكثيّر، والاحوص، ونصيب، والفرزدق، ومالك ابن أسماء، والحزين الكناني، والحارث بن خالد المخزومي، وغيرهم. وقد اجتمع بمعاصريه هؤلاء في المدينة او مكة او ضواحيهما.

أضف الى هذا كلّه ان عمر كان متضلّعاً من اللغة حتى استطاع ان يُرضي الرواة والنقاد في العصور التي تلت عصره، وقد روى الاصمعي والتوزي عن ابي عمرو بن العلاء انه قال: عمر ابن ابي ربيعة حجّة في اللغة العربية، وما تعلق عليه الاّ بحرف واحد وهو قوله:

ثم قالوا تحبها قلت بهرًا عدد الرمل والحصى والتراب

وكان ينبغي ان يقول أتحبُّها لانه استفهام، وله وجه ان كان اراد الخبر ولم يرد الاستفهام.[4]

---

١) الاصبهاني ٢ : ١٢٣
٢) الاصبهاني ٧ : ١٠٥
٣) » ١٦ : ٤٣ وياقوت ١ : ٥٤٤
٤) المرزباني ٣٠١ و٣٠٢

حياته في المدينة

لم تقتصر الحياة في المدينة ذلك العصر على هاتين النهضتين الدينية والادبية اللتين ساهم فيهما عمر كما ذكرنا في الفصل السابق . بل كانت هناك نواحٍ أخرى كان لها اثر اقوى في نفوس ابناء ذلك الجيل . وان هذا الانقلاب السياسي العظيم الذي هزّ الجزيرة العربية هزّاً قد قلب معه الحياة في مناحيها المختلفة ، فتطورت النظم الاجتماعية الى حد كبير وتطورت معها الاخلاق والعادات . وكانت المدينة اذ ذاك في عصرها الذهبي ، وكان الخلفاء قد جعلوها مقرّاً لهم ، وعاصمة لهـذه الدولة الفتيّة التي انشأتها سيوف الفاتحين من رجالهم ، فاصبحت في عهد عثمان تنعم في لين العيش وخفضه ، فكان المال يسيل اليها من كل وادٍ ، وكان السبي يتحدر اليها من كل صوب ، فيفرّقان فيها ، وكانت الجواري توزّع بالمئات في بيوت سراة القوم فتنشر فيهم كثيراً من الوان المدنيّات المختلفة التي كنّ فيها وتنقل اليهم ضروباً من أساليب حضارة الاقوام التي سُبين من وسطهـا ، حتى اذا نشبت الفتنة بين العرب ، وقتـل عثمان ، وانتقلت الخلافة الى الكوفة ثم الى دمشق ، انقطعت المدينة عن الحياة السياسية الى حدّ ما ، ولكنها لم تنقطع عن الحياة الاجتماعية الجديدة ، بل اصبحت موطناً لهذا النفر الارستقراطي الغني من قريش وغير قريش ، وملجأً لهؤلاء الناس من الزعماء الذين اضطرتهم السلطة الاموية في دمشق الى ان يبتعدوا عن الحيـاة السياسية ويقبعوا كارهين او راضين في حماها .

ومات والد عمر في اول خلافة علي كما ذكرنا ، وصبيّنا في الثانية عشرة من عمره قد أنهى درسه في الكتّاب او كاد . وها هو الآن مقبل على الشباب ، ابن جاه وثروة ، حسن الهيئة ، جميل الطلعة ، وافر النعمة ، كريم الاصل ، فنشأ على شيء عظيم من الدلال والرخاء والسعة في العيش ، يتطلع حوله فيرى جوّ المدينة الذي صورنا وهذا النفر من شباب قريش والانصار ممّن وصفنا في الجزء الاول من هذا الكتاب يلهون ويعبثون ، فيندفع معهم يشاطرهم حياتهم « ينهز بدلوهم ، ويسيم سرح اللهو حيث أساموا » . فهو في الصيد اذا كانوا في الصيد . وهو مع صواحبه في السمر واللهو اذا كانوا مع صواحبهم في مثل ذاك . اما اذا سال العقيق ، واهتزّت المدينة طرباً وابتهاجاً بمسيله ، وهرع اليه اهلوهـا

افواجاً افواجاً ، فانتثروا على ضفافه ينعمون بجمال الطبيعة الذي يحيط بهم ، في حلقات عقدوها للأُنس والطرب ، فان المكان ليفقد روعته وجماله اذا غاب عنه عمر .

تقول ليت ابا الخطاب وافقنا كي نلهو اليوم او ننشد اشعارا [١]

واذا اذاع المذيع ان جماعةً من المغنين او المغنيّات قد اقامت حفلة للغناء فان عمر اسبق الساعين الى السماع . وقد أوتي ، فوق ما أوتي من النعم ، ملكةً لقرض الشعر ، وهبةً لتذوّق الجمال ، فكان ينشد وقائعه هذه شعراً رقيقاً تردده الركبان . هي اوقات لذة وانس ولهو لم ينس طيبها طول حياته ، وفيها يقول :

ولقد اشهد المحدّث عند الـ م قصر فيه تعفف وبيان
في زمانٍ من المعيشة لذّ قد مضى عصره وهذا زمان [٢]

وله :

يذكّرني الدهر ما قد مضى من العيش فالعين تغرورق
ليالي اهلي واهل التي دموعي بذكراهم تسبق
خليطان محضرنا واحد فحبل المودة لا يخلق [٣]

ولعله كان يشير الى هذه الحياة المرحة حين نظم الابيات التالية :

ضحكت ام نوفل اذ رأتني وزهيرًا وسالف بن سنانِ
عجبت اذ رأت لداتي شابوا وقتيرًا من المشيب علاني
ان تريني أقصرت عن طلبِ الـ م الغيّ وطاوعت عاذلي اذ نهاني
وتركت الصبى وادر بني الحلـ م وحرّمت بعض ما قد كفاني
ودعاني الى الرشاد فؤاد كان للغيّ مرةً قد دعاني
فجوارٍ مستقتلات الى اللهو حسانٍ كناضر الاغصان
قُتُلٍ للرجال يرشقن بالطرف الـ م حسانٍ كخذَل الغزلان
قد دعاني وقد دعاهنّ للّهو الـ م شجونٌ من اعجب الاشجان
فاهتصرنا من الحديثِ غصوناً حيث لا يجتني لعمركِ جاني
ذاك طورًا وتارةً ابعث القينةَ الـ م وهنًا بالمزهرِ الحنّان
وانصّ المطيّ بالركب يطلبن الـ م ـراعًا بواكر الأظعان
ذاك دهر لو كنت فيه قريبي غير شكّ عرفت لي عصياني
وتقلّبت في الفراشِ ولا تعرف الاّ الظنون اين مكاني [٤]

١) ابن ابي ربيعة (ع) ٢١٥
٢) الاصبهاني ١ : ٤٦ وابن ابي ربيعة (ع) ٥٧٠
٣) ابن ابي ربيعة (ع) ٢٧١
٤) ابن ابي ربيعة (ع) ٥٦٧

ولقد حاول اخوه الحارث ان يردعه عن بعض هذه السبل – وكان مُشفقاً عليه – فكان يعاتبه ويعظه حين يراه متورطاً في اللهو ، ولكن عمر لم ينتفع بنصح اخيه كثيراً .

ولقد كان لهذه الحقبة التي قضاها عمر في المدينة أثر كبير في حياته وفي شعره ، وكان له في المدينة اصحاب من خيرة اشرافها كان يتردد معهم الى بعض الملاهي ، وكان يشهد معهم مواسم العقيق ، وكان يذهب معهم الى دور الغناء . نخصّ بالذكر منهم ثلاثة كادوا يتفقون مع عمر في الخلق والمزاج فقد كانوا جميعاً يحبّون الدعابة والمزح واللهو ، وكانوا جميعاً كرماء اجواداً ، واعتزلوا جميعاً الحياة السياسيَّة الاّ واحداً صار من اعظم الولاة الذين عرفوا زمن بني اميَّة ، ولي لهم الحجاز ، وولي لهم العراق ، وجنت عليه السياسة فمات ميتةً مشؤومة .

وكان لصداقتهم معاً اثر لم يقتصر على حياة عمر واخلاقه فحسب، بل تعدّاه الى شعره ، هذا الشعر الذي يزعم الرواة ان عمر كرّسه للغانيات ووقفه على مدحهن . وسنرى عند درسنا اخلاق عمر ان كثيراً من نواحي خلقه وصفاته كانت عند هؤلاء ايضاً ، بل ان ارواحهم فيما يظهر لنا من بعض الروايات تكاد تكون متمازجة . زعموا ان احدهم قال لعمر في احدى جلساتهم الادبيَّة وهو ينشده قصيدته في الثريا التي فيها :

كان ذا في مسيرنا اذ حججنا علم الله فيه ما قد نوينا

« ان ظاهر امرك ليدلّ على باطنه ، فأرْوِد التفسير ! ولئن متّ لاموتنّ معك ، أفّ للدنيا بعدك يا ابا الخطاب ! ! فقال له عمر : بل عليها بعدك العفاء يا ابا محمد ! [1]

ولهذا فاتّا نرى لزاماً علينا قبل التبسط في درس حياة عمر ان نقف وقفةً قصيرة عند هؤلاء النفر من اشراف ساكني المدينة نتعرف اليهم ونلمّ بشيء من حياتهم واخلاقهم .

---

١) الاصبهاني ١ : ٩١

اصحابه في المدينة

خالد بن عبدالله القسري

اما اولهم فخالد بن عبدالله بن يزيد بن اسد القسري . وقد ذكر له ابو الفرج ترجمة يظهر منها انه كان شديد التحامل عليه وعلى ابيه . وربما ننصف ابا الفرج اذا قلنا انه على تحامله لم يهمل من ذكر مناقبهم ما رواه بعض الرواة عن خالد وابيه من المجد والسؤدد . قال : وهم اهل بيت شرف في بجيلة لولا ما يقال في عبدالله بن اسد ، فان اصحاب المثالب ينفونه عن ابيه ، ويقولون فيه اقوالاً انا ذاكرها في موضعها من اخبار خالد المذمومة في هذا الموضع من كتابنا إن شاء الله ، وعلى ما قيل فيه ايضاً فقد كان له ولابنه خالد سؤدد وشرف وجود.[1] وقال ايضاً في اسد : وكان اسد بن كرز يدعى في الجاهلية ربّ بجيلة .[2] وكان يزيد جدّ خالد فيما يروي ابو الفرج مطاعاً في اليمن عظيم الشأن وخرج ايام عمر في بعوث المسلمين الى الشام .[3] ونشأ ابنه عبدالله بعده فلم يكن نابهاً كابيه .[4] غير انه كان كاتباً مفوهاً فيما يروي ابو الفرج ، كتب لحبيب بن مسلمة الفهري في امارة عثمان بن عفان فنال حظاً وشرفاً وكان يقال له خطيب الشيطان .[5] وعظم امره ، ونشأ ابنه خالد بعده ، ومات هو فكان خالد في مرتبته .[6]

اما خالد هذا فقد ذكر ابو الفرج عنه انه نشأ بالمدينة نشأة المتخنثين ، وكان في حداثته يتخنث ويتتبع المغنين والمخنثين ، ويمشي مع عمر ابن ابي ربيعة وينقل رسائله الى النساء .[7] وله مع عمر اخبار كثيرة ، وقد ذكره عمر بشعره كثيراً ، قال مصعب الزبيري : كل ما ذكره عمر ابن ابي ربيعة في شعره فقال ارسلت الخرّيت او قال ارسلت الخرّيّ فانما يعني خالداً القسري ، وكان يترسل بينه وبين النساء .[8] وكثير من اخباره التي تروى عنه مع

---

١) الاصبهاني ١٩ : ٥٣
٢) الاصبهاني ١٩ : ٥٣
٣) " ١٩ : ٥٥
٤) " ١٩ : ٥٥
٥) " ١٩ : ٥٧
٦) " ١٩ : ٥٧
٧) " ١٩ : ٥٥
٨) " ١٩ : ٥٥

عمر تشير الى انه كان صغيراً وقتذاك ، كأن يقول الراوي مثلًا : « وكان في حداثته » او « وهو يومئذ غلام » .[1] غير ان علاقته بعمر لم تنقطع في صغره ، فقد كان يتردد الى عمر هو وابن ابي عتيق . وله معهما اخبار كثيرة .[2] ويجب ان نذكر هنا ان أخوال عمر كانوا يمنيّين فلم يكن غريباً على قرشي مثل عمر ان يرافق يمنيًّا كخالد . وكان خالد اصغر منه فقد رووا ان امه كانت روميّة نصرانيّة وهبها عبد الملك لابيه .[3] وعاش خالد مدة طويلة بعد عمر كان له فيها شأن عظيم . فقد ولي مكّة للوليد سنة ٨٩ للهجرة .[4] ثم لسليمان ، ثم عزله سليمان ، ثم ولي العراق سنة ١٠٥ هـ . وخراسان وعرف بالبأس والشدة .[5] ولسنا نعرف شيئاً عن علاقته بعمر في ايام عمر الاخيرة ، كما واننا لسنا متحققين هل ادرك عمر ولاية خالد للوليد أم لا .

وقد نسب الرواة الى خالد انه كان يتألف الذين يقولون بنسبه الكريم ويغدق عليهم العطايا وانه كان يميل الى اليمنيّة ويحمل على مضر وكان شديد التعصب لبني اميّة . زعموا انه صعد على المنبر فقال : الى كم يغلب باطلنا حقّكم اما آن لربّكم ان يغضب لكم .[6] وكانت امه نصرانية كما اشرنا ، فزعم ابو الفرج انه كان يتساهل مع النصارى كثيراً . ثم ذكر اخباراً عنه نستبعد جدًّا وقوعها او صدورها عن عامل من عمال بني اميّة ، كتعريضه بناء زمزم ، وتفضيله بعض الخلفاء على النبي محمد وغير ذاك .[7]

ويجب ان نلاحظ ان اكثر المؤرخين في الزمن العباسي كانوا شديدي التحامل على خلفاء بني اميّة وعمّالهم بوجه عام . اما الاصبهاني فقد كان فوق هذا شيعي الميل فزادت نقمته على بني اميّة وعمالهم اجمعين ، ولذاك فقد قبل هذه الروايات التي نقلت عنهم ثم اظهر غضبه وحقده على خالد فلعنه في اكثر المواضع ، وقال : اللهم العن خالداً واخزه وجدّد على روحه العذاب .[8] وقال : لعن الله خالداً ومن ولاّه وقبّحهم .[9] ولكن رغم ما في هذه الاخبار من دسّ وتحامل على خالد . فانه يظهر انه كان عتيًّا شديداً وكانت تناصره

---

١) الاصبهاني ١٩ : ٥٥ و ٥٦
٢) الاصبهاني ١٩ : ٥٦
٣) " ١٩ : ٦٠ اذا صحت هذه الرواية فالراجح ان عبد الملك كان شاباً عندما وهبها لعبدالله بن يزيد (والد خالد)
٤) الطبري ٢ : ١١٩٦ و ١١٩٩ و ١٢٣٠
٥) الطبري ٢ : ١٤٦٨
٦) الاصبهاني ١٩ : ٥٩—٦٠
٧) الاصبهاني ١٩ : ٥٩—٦٠ وانظر الطبري ٢ : ١١٩٩
٨) الاصبهاني ١٩ : ٦٠
٩) الاصبهاني ١٩ : ٥٩

اليمنية فيعتز بها ويطغى ، وهو وان لم يكن شيئاً مذكوراً في صباه يوم كان يترسل بين عمر وصاحباته ، فقد كان طموحاً وقتئذ في معاشرته مثل ابن ابي عتيق وعمر وربما عبدالله ابن جعفر بحيث مهّد له طموحه فيما بعد ان يصير الى ما صار اليه . ورغم ما اتهمه به اكثر الرواة الذين لم يخلوا من هوى او غرض في نفوسهم فانه لم يعدم منهم من اشار الى شيء من مكانته وكرمه . قال ابو عبيدة في طعنه بخالد واهله : ان عبدالله سلك منهاج والده في الكذب ثم نشأ خالد ففاق الجماعة ، الاّ ان رياسةً وسخاءً كانا فيه سترا ذلك من امره .[1]

ابن ابي عتيق

اما رفيق عمر الثاني في المدينة — وهو اكرم نسباً من خالد وارفع قدراً — فابن ابي عتيق عبدالله بن محمد بن عبد الرحمن ابن ابي بكر الصديق ، وقد كان كلٌّ من ابيه وجدّه ووالد جدّه وجد جدّه صحابيًّا ، ولم يكن احد كذلك من الصحابة غيرهم فيما يزعمون .[2]

ولقد كانت صداقة عمر مع ابن ابي عتيق غير صداقته مع خالد القسري ، وكان حبُّهما الواحد للآخر غير الحب الذي كان بين خالد وعمر . فلو قلنا ان خالداً كان يترسل بين عمر وصاحباته ، فان هذا يكاد يكون كافياً ليضع خالداً عن منزلة الندّ والمثيل اذا قوبل مع عمر . اما ابن ابي عتيق ، على ما كان عليه في بعض الاحيان من حبّ او ميل لمساعدة عمر في الجمع بينه وبين صاحباته ، فانه ارفع من ان يوسم بما وسم به خالد ، وكان اقرب الى روح عمر واحبّ اليها من سائر الاصدقاء . وكان ابن ابي عتيق يقدر هذه الصداقة ويحرص عليها ويرى لذة الحياة في ان يكون مع عمر ، والا فان الحياة وقد فارق عمر الدنيا لا تعدل شيئاً ، حدّث ابو الفرج باسناده قال :

انشد عمر ابن ابي ربيعة ابن ابي عتيق قوله :

لم تر العين للثريا شبيهاً بسيل التلاع يوم التقينا

فلما بلغ الى قوله :

ثم قالت لاختها قد ظلمنا ان رددناه خائباً واعتدينا

---

١) الاصبهاني ١٩ : ٥٨ ويجب ان ننصف ابا الفرج في قولنا انه لم يفته ان يذكر الاخبار التي مُدح فيها خالدٌ واهله ٢) المبرّد ١ : ٢٧٤

قال ابن ابي عتيق : احسَنتْ والهدايا واجادت ... فلما بلغ عمر الى قوله في شعره :

في خلاء من الانيس وامنٍ ...

قال ابن ابي عتيق : امكنت للشارب الغُدُر ، مَن عال بعدها فلا انجبر : فلما بلغ الى قوله :

فمكثنا كذاك عشرًا تباعًا في قضاء لديننا واقتضينا

قال : اما والله ما قضيتها ذهباً ولا فضة ولا اقتضيتها اياه ، فلا عرفكما الله قبيحاً . فلما بلغ الى قوله :

كان ذا في مسيرنا اذ حججنا علم الله فيه ما قد نوينا

قال : ان ظاهر امرك ليدلّ على باطنه ، فأَرْوِد التفسير ! ولئن مت لاموتن معك ، أفّ للدنيا بعدك يا ابا الخطاب ! فقال له عمر : بل عليها بعدك العفاء يا ابا محمد ![1]

وكان ابن ابي عتيق متعصباً لعمر ، يعجب بشعره ويفضله على شعراء عصره.[2] قالوا : ذُكِر شعر الحارث بن خالد المخزومي وشعر عمر ابن ابي ربيعة عند ابن ابي عتيق في مجلس رجل من ولد خالد بن العاص بن هشام ، فقال : صاحبنا يعني الحرث بن خالد اشعرهما . فقال له ابن ابي عتيق : بعض قولك يا ابن اخي ! لشعر عمر ابن ابي ربيعة نوطة بالقلب وعلوق بالنفس ودرك للحاجة ليست لشعر ، وما عصي الله جلّ وعزّ بشعر اكثر مما عصي بشعر ابن ابي ربيعة ، فخذ عني ما اصف لك : أشعر قريش من دقّ معناه ، ولطف مدخله ، وسهل مخرجه ، ومتن حشوه ، وتعطفت حواشيه ، واثارت معانيه ، واعرب عن حاجته . فقال المفضل للحارث : اليس صاحبنا الذي يقول :

اني وما نحروا غداة منى عند الجمار يؤودها العقل
لو بدّلت اعلى مساكنها سفلاً واصبح سفلها يعلو
فيكاد يعرفها الخبير بها فيرده الاقواء والمحل
لعرفت معناها بما احتملت مني الضلوع لاهلها قبل

فقال له ابن ابي عتيق : يا ابن اخي استر على نفسك ، واكتم على صاحبك ، ولا تشاهد المحافل بمثل هذا ! اما تطيّر الحارث عليها حين قلب ربعها فجعل عاليه سافله ؟ ما بقي

---

١) الاصبهاني ١ : ٩١ وانظر الاصبهاني « د » ١ : ٢٣٨-٢٣٩ ٢) الاصبهاني ٤ : ١٦٥

الّا ان يسأل الله تبارك وتعالى لها حجارة من سجّيل . ابن ابي ربيعة كان احسن صحبةً للربع من صاحبك ، واجمل مخاطبةً حيث يقول :

سائلا الربع بالبليّ وقولا هجت شوقًا ليَ الغداة طويلا
ابن حي حلّوك اذ انت محفو م فيهم آهل اراك جميلا
قال ساروا فامعنوا واستقلوا وبرغمي لو استطعت سبيلا
شئمونا وما شئمنا مقامًا واحبّوا دماثةً وسهولا

قال فانصرف الرجل خجلًا مذعنًا .[1]

قالوا ولقي الحارث بن خالد المخزومي ابن ابي عتيق ، فقال : قد بلغني ما دار بينك وبين عمر ابن ابي ربيعة ، فكيف لم تتحللا مني ؟ فقال له ابن ابي عتيق : يغفر الله لك يا ابا عمرو ، ان ابن ابي ربيعة يبرىء القرح ويضع الهناء مواضع النقب ، وانت جميل الخفض . فضحك الحارث بن خالد وقال : حبّك للشيء يعمي ويصمّ . فقال ابن ابي عتيق : هيهات ! انا بالحسن عالم نظّار .[2]

وقد كان ابن ابي عتيق في نظر الرواة صالحًا عفيفًا ، وكان على ذلك يحب المزاح والدعابة واللهو . قال عنه المبرّد في كامله : انه من نسّاك قريش وظرفائهم بل كان قد بذهم ظرفًا . وقد غلبت عليه الدعابة وشهر بها .[3] وذكر عنه الحصري في زهر الآداب انه كان من افاضل زمانه علمًا وعفافًا ، وانه كان احلى الناس فكاهة واظرفهم مزاحًا .[4] ولعلّ القارئ لا يزال يذكر قصته مع عثمان بن حيان المرّي وسلّامة المغنيّة في الجزء الاول من هذا الكتاب وكيف استطاع ان يصرف الوالي عن امره بطرد المغنّين .[5] وانشده نصيب الاسود قوله :

وكدت ولم اخلق من الطير ان بدا لها بارق نحو الحجاز اطير

فقال له يا ابن ام : قل غاق فانك تطير . يعني انه غراب أسود .[6]

---

١) الاصبهاني ١ : ٤٨ ٢) الاصبهاني ١ : ٩١ ان ابا الفرج يضع هذا الخبر بعد الحديث الذي دار بين عمر وابن ابي عتيق بشان شعره في الثريا ، وهو في نظرنا اولى ان يكون حيث وضعناه . ولعل ابا الفرج او الرواة الذين نقل عنهم ابو الفرج قد خلطوا بين القصتين .
٣) المبرّد ١ : ٣٧٤ ٤) الحصري ١ : ٣٩١
٥) الاصبهاني ٨ : ١٠ والمبرد ١ : ٣٧٥ ٦) الاصبهاني ١ : ١٤٥

وسمع مرة شعراً لعمر يقول فيه :

ومن كان محروباً لامراق دمعة وهى غربها فليأتنا نبكه غدا

فمضى الى خالد القسري وسارا معاً الى عمر ، وقالا له : قد جئنا لموعدك . قال : واي موعد بيننا ؟ قال ابن ابي عتيق : قولك « فلياتنا نبكه غداً » قد جئناك لموعدك ، والله لا نبرح او تبكي ان كنت صادقاً في قولك او ننصرف على انك غير صادق .[1]

وانشده عمر مرة ابياته التي يقول في آخرها :

ليت ذا الدهر كان حتماً علينا كل يومين حجةً واعتمارا

فقال : ان في نفس الجمل ما ليس في نفس الجمّال .[2]

وله قصص كثيرة تشير الى ظرفه ودعابته . منها ان عائشة بنت طلحة عتبت على مصعب ابن الزبير فهجرته ، فقال مصعب : هذه عشرة الاف درهم لمن احتال لي ان تكلمني . فقال له ابن ابي عتيق : عدّل (عدّ لي) المال ! ثم صار الى عائشة فجعل يستعتبها لمصعب ، فقالت : والله ما عزمي ان اكلمه ابداً . فلما راى جِدّها ، قال لها : يا بنت عم انه قد ضمن لي ان كلمتِهِ عشرة الاف درهم ، فكلميه حتى اخذها ثم عودي الى ما عوّدك الله .[3] ومنها ما يتعلق بصاحبنا عمر ، فقد زعموا ايضاً ان الثريا هجرته وصرمته فقال في هجرها :

من رسولي الى الثريا فاني ضقت ذرعاً بهجرها والكتابِ

قال بلال مولى ابن ابي عتيق وأُنشد سيدي هذا الشعر فقال : اياي اراد وبي نوّه ، لا جرم والله لا اذوق اكلاً حتى اشخص فاصلح بينهما . ونهض ونهضت (الضمير يعود الى بلال) معه فجاء الى قوم من بني الديل بن بكر لم تكن تفارقهم نجائب لهم يكرونها ، فاكترى منهم راحلتين واغلى لهم ، فقلت له : استوضعهم او دعني اماكسهم فقد اشتطّوا عليك . فقال : ويحك ! اما علمت ان المكاس ليس من اخلاق الكرام . ثم ركب احداهما وركبت الاخرى ، فسار سيراً شديداً ، فقلت : أبقِ على نفسك ، فان ما تريد ليس يفوتك . قال : ويحك ! « ابادر حبل الودّ ان يتقضبا » وما حلاوة الدنيا ان تم الصدع

---

١) الاصبهاني ١٩ : ٥٦ ٢) الاصبهاني ٨ : ٥٦

٣) المبرّد ١ : ٢٧٥

بين عمر والثريا . وينتهي بلال في حديثه بان ابن ابي عتيق مرّ على عمر فاخذه معه الى الثريا في الطائف ، وقال لها : هذا عمر قد جشمني السفر من المدينة اليكِ ، فجئتكِ به معترفاً لكِ بذنب لم يجنه ، معتذراً اليك من اساءته ، فدعيني من التعداد والترداد ، فانه من الشعراء الذين يقولون ما لا يفعلون . فصالحته احسن صلح واتمه واجمله .[١]

وكان ابن ابي عتيق يحب الغناء كثيراً ، وكان يرافق عمر وعبدالله بن جعفر الى كثير من مجالس الغناء كما راينا .[٢] لا سيّما الى بيت عزة الميلاء التي كان ابن ابي عتيق بنوع خاص معجباً بصوتها ،[٣] وقد كانت اخذت كثيراً عن نشيط وسائب خاثر وهما من موالي عبدالله بن جعفر ، فكان هو وعبدالله هذا وعمر يغشون عزة في منزلها فتغنّيهم .[٤] وكان يحب غناء ابن سريج وقد رووا انه كان ينحر عنه بعد موته كل سنة بدنةً ويقول هذا اقل حقه علينا .[٥] وكان بعد هذا كله طروباً .[٦]

وكان يحب غناء ابن عائشة ، ورأى مرة حلقه مخدشاً فسأله من فعل هذا بك ؟ قال : فلان ! فمضى فنزع ثيابه وجلس للرجل على بابه ، فلما خرج اخذ بتلبيبه وجعل يضربه ضرباً شديداً والرجل يقول له : ما لك تضربني ، اي شيء صنعت ؟ وهو لا يجيبه ، حتى بلغ منه ثم خلّاه ، واقبل على من حضر فقال هذا اراد ان يكسر مزامير داود وشدّ على ابن عائشة فخنقه وخدش حلقه .[٧]

وكان عمر ينشده شعره ويتحدث اليه باخبار حبه ، فيرتاح هذا اليها ويتلذذ في سماعها ويسعى في ان يوفق صاحبها في حبه . روى ابو الفرج ان عمر انشد ابن ابي عتيق قوله :

« احن اذا رايت جمال سعدى »

قال فركب ابن ابي عتيق فاتى سعدى بالجناب من ارض فزارة فانشدها قول عمر ، وقال لها : ما تأمرين ؟ فقالت : آمره بتقوى الله يا ابن الصدّيق .[٨]

---

١) الاصبهاني ١ : ٨٩ والمبرد ١ : ٢٧٤ والحصري ١ : ٢٩٤
٢) " ١٦ : ١٤ و ٧ : ١٢٢
٣) الاصبهاني ١٦ : ١٩
٤) " ١٦ : ١٤
٥) " ١ : ١٠٩
٦) " ١٦ : ٣٠
٧) " ٢ : ٦٣
٨) " ١٦ : ١٣ يرى ابو الفرج ان الفتاة يجب ان تكون ليلى بنت الحارث بن عوف وان الشعر والقصة يجب ان يكونا في ليلى لا في سعدى .

وكان ابن ابي عتيق في كثير من الاحيان يذكر لعمر احدى الجميلات ويتحدث له عنها فيهيجه على الحب ، ويلح عمر في ان يراها ويشبب بها . وقد ذكروا أنه ذكر له مرة احدى قريباته زينب بنت موسى الجمحية واطرى له جمالها ، فشهّرها عمر في شعره ، وسمع ابن ابي عتيق فعذله في ذكره لها في شعره ، فقال له عمر :

لا تلمني عتيق حسبي الذي بي ان بي ياعتيق ما قد كفاني
لا تلمني وانت زينتها لي

قالوا : فبدره ابن ابي عتيق فقال :

« انت مثل الشيطان للانسان »

فقال ابن ابي ربيعة : هكذا ورب البيت قلته ، فقال ابن ابي عتيق : ان شيطانك ورب القبر ربما المّ بي فيجد عندي من عصيانه خلاف ما يجد عندك من طاعته ، فيصيب مني واصيب منه .[1]

وقد كان عمر يقدر نظر ابن ابي عتيق للجمال قدره ، فيروق له ما يروق لصديقه ، كانهما خلقا في ذوق واحد قال :

ودعاني ما قال فيها عتيق وهو بالحسن عالم نظّار [2]

وما اكثر ما كان ابن ابي عتيق يبحث معه في جمال الفتيات او يدفعه الى حبهن او يسهّل عليه ذلك ، غير انه كان فيما يظهر لنا من الروايات ومن شعر عمر شفيقاً عليه ، رفيقاً به يحب غزله ولكنه لا يريده ان يتورط في الاثم او ان يشتد به العشق والوجد قال عمر :

اقاد دمي بكر على غير ظنة ولم يتأثم قاتلاً غير منعم [3]

وقال :

يقول عتيق ان شكوت صبابتي وبين داء من فوادي مخامرُ
احقاً لئن دار الرباب تباعدت او انبتّ حبلٌ ان قلبك طائر
افق قد افاق العاشقون وفارقوا م الهوى واستمرت بالرجال المرائر
زع القلب واستبق الحياء فانما تباعدُ او تدني الرباب المقادر [4]

وقال :

---

١) الاصبهاني ١ : ٤٤
٢) ابن ابي ربيعة (ع) ٢٣٤
٣) ابن ابي ربيعة (ع) ٤٦٨
٤) ابن ابي ربيعة (ع) ٣٠١

وقول بكر الم تلمم لنسألهم وانظر فلا بأس بالتسليم والنظر[1]

وقال :

بكر دعا فاتى عمداً لشقوته ما جاء من ذاك ان غياً وان رشدا[2]

وقد كان عمر في كثير من الاحيان يسمي صاحبه ابن ابي عتيق في شعره بكراً او عتيقاً[3] فهو يعنيه في كل هذه الابيات التي ذكرنا . وكانت هناك بين الاثنين عوامل ، عدا اتفاق ذوقيهما ، تساعد على ان يكونا صديقين ، اهمها القرابة ، فقد كان اخو عمر كما راينا زوجاً لام كلثوم اخت عائشة اي زوجاً لعمة والده ، وكان عمر بعد ارتحاله الى مكّة اذا زار المدينة ينزل احياناً ضيفاً على صديقه ابن ابي عتيق[4] وقد عاش ابن ابي عتيق الى بعد موت عمر .[5]

عبدالله بن جعفر

وكان لعمر في المدينة صديق ثالث هو عبدالله بن جعفر ابن ابي طالب ، اخو محمد ابن ابي بكر لامه وابن اخي الخليفة علي ابن ابي طالب .[6] وكان عبدالله اكبر من عمر فقد ولد قبل الهجرة .[7] وذكر الطبري انه كان غلاماً سنة ٨ هـ .[8] وانه كان زوجاً سنة ٢٤ هـ .[9] وانه كان رجلاً يؤخذ رايه زمن خلافة علي ، دعاه علي واستشاره في امر عامله على مصر ، فاشار على عمّه في ان يعزل قيس بن سعد عن مصر ويعيّن محمد ابن ابي بكر .[10] وروى ابو الفرج والنووي ان عبدالله ادرك النبي وحدث عنه .[11] وانه مات في حدود سنة ثمانين للهجرة فجزع اهل المدينة عليه وحزنوا حزناً عظيماً .[12]

وكان عبدالله هذا من اجواد العرب المشهورين ، عدّه ابن عبد ربه في عقده في الطبقة

---

١) ابن ابي ربيعة (ع) ٢١٣
٢) ابن ابي ربيعة (ع) ١٣٥
٣) الاصبهاني ٨ : ١٤٥
٤) الاصبهاني ٧ : ١٣٤
٥) " ٤ : ٤٤ و ٨ : ١٠ و ١ : ١٠٩
٦) الطبري ١ : ٢٣٤٥ والنووي ٣٣٨
٧) النووي ٣٣٧
٨) الطبري ١ : ١٦١٨
٩) الطبري ١ : ٣٧١٧
١٠) " ١ : ٣٣٤٣
١١) الاصبهاني ١١ : ٦٧ والنووي ٣٣٨
١٢) الاصبهاني ١١ : ٦٩ وانظر الحنبلي ١ : ٨٧ والنووي ٣٣٩

الاولى منهم في الاسلام.[١] وكان يسمّيه البعض بحر الجود.[٢] وان في اخبار جوده من المبالغات ما لو صح لكان عبدالله من اعظم الاجواد ، ان لم يكن اجود اهل الارض على الاطلاق . ومهما يكن من امر المبالغات في هذه الأخبار فان جود عبدالله كان عظيماً حتى ضرب به المثل وحتى نال صاحبنا عمر ابن ابي ربيعة على غناه وثروته نصيب منه. وقد زعم بعض الرواة ان اهل المدينة كانوا يدانون بعضهم من بعض الى ان يأتي عطاء عبدالله ابن جعفر[٣] وكان عبدالله بن جعفر من المقربين الى معاوية في خلافته ، رووا انه ولد له ولد وهو عند معاوية ، فاتاه البشير بذلك ، وعرف معاوية الخبر فقال : سمّه معاوية ولك مئة الف درهم ، ففعل ، فاعطاه المال ، واعطاه عبدالله للذي بشّره به .[٤]

واستمرت صداقة ابن جعفر مع بيت معاوية لزمن يزيد كما راينا ، فاجزل هذا لابن جعفر العطاء ، وكان معاوية بن عبدالله بن جعفر صديقاً ليزيد وسمّى ابنه يزيداً على اسم صديقه .[٥]

وظلّ ابن جعفر صديقاً لهؤلاء الخلفاء والامراء الى ان ولي الخلافة عبد الملك ، قالوا فجفا عبد الملك ابن جعفر ، فدعا الله ابن جعفر فيما يزعمون ، قال : اللهم انك عودتني عادة جريت عليها ، فان كان ذلك قد انقضى فاقبضني اليك.[٦]

وكان ابن جعفر كصاحبيه عمر وابن ابي عتيق مولعاً بالغناء ، وقد اتخذ بعض القيان والمغنين ، وكان يقضي كثيراً من وقته في السماع اليهم . وذكر ابو الفرج ان معبداً امام المغنين في المدينة قد اخذ غناءه عن سائب خاثر ونشيط . وكلا هذين كان مولىً لعبدالله ابن جعفر .[٧] ورووا ان ابن سريج المغني المكي صاحب عمر كان منقطعاً الى عبدالله بن جعفر .[٨] وروي ان ابن جعفر كان يذهب الى العقيق ويستمع الى بعض المغنين فيه .[٩] وانقطع سائب خاثر الى سيّده فآلى فيما يزعمون ان لا يغني احداً سواه الاّ ان يكون خليفةً او وليَّ عهدٍ .[١٠] وقد وفد عبدالله بن جعفر به على معاوية وابنه يزيد فغنّاهما واطربهما .[١١]

---

١) ابن عبد ربه ١ : ١١٠—١١٣
٢) النويري ٣٣٨
٣) الاصبهاني ١١ : ٦٩
٤) الاصبهاني ١١ : ٧١
٥) " ١١ : ٧١
٦) " ١١ : ٦٩
٧) " ١ : ٣٠
٨) " ١ : ٩٧
٩) " ٣ : ١٧٣—١٧٤
١٠) " ٧ : ١٨٨
١١) " ٧ : ١٨٩

اما اخبار جوده فكثيرة روى ابن عبد ربه عن بعضهم قال: قدم عبدالله بن جعفر على يزيد بن معاوية ، فقال له : كم كان عطاؤك ؟ فقال له : الف الف . قال : قد اضعفناها لك . قال : فداك ابي وامي وما قلتها لاحد قبلك . قال : قد اضعفناها لك ثانية . فقيل ليزيد أتعطي رجلًا واحداً اربعة الاف الف ؟ فقال: ويحكم ! انما اعطيتها اهل المدينة اجمعين ، فما يده فيها الا عارية .[1]

وحدّث بعضهم قال : جاب رجل الى المدينة سكّراً فكسد عليه ، فقيل له لو اتيت ابن جعفر قبله واعطاك الثمن ، فاتى ابن جعفر ، فامر باحضاره وبسط له ، ثم امر به فنثر ، فقال للناس : انتهبوا ! فلما رأى الرجل الناس ينتهبون ، قال : جعلت فداءك آخذ معهم ؟ قال : نعم ! فجعل الرجل يهيل في غرائره ، ثم قال لعبدالله : اعطني الثمن ! فقال : وكم ثمن سكرك ؟ قال : اربعة الاف درهم . فامر له بها .[2]

وحدّث بعضهم ايضاً قال جاء شاعر الى عبدالله فانشده :

رايت ابا جعفر في المنام ... كساني من الخزّ درّاعه
شكوت الى صاحبي امرها ... فقال ستؤتى بها الساعه
سيكسوكها الماجد الجعفري ... ومن كفّه الدهر نفاعه
ومن قال للجود لا تعدني ... فقال لك السمع والطاعه

فقال عبدالله لغلامه : ادفع اليه دراعتي الخز ، ثم قال له : كيف لم ترَ جبتي المنسوجة بالذهب ، هذه الجبّة التي اشتريتها بثلاثمئة دينار ؟ فقال له الشاعر : بابي دعني اغني اغفاءة أخرى فلعلني أرى هذه الجبّة في المنام ، فضحك منه وقال : يا غلام ادفع له جبتي الوشي .[3]

وروى ابن عبد ربه ان عبدالله بن عمر كان يحب عبدالله بن جعفر ، فدخل عليه فوجد عنده جارية معها عود ، فقال : ما هذا ؟ فقال : وما تظن به يا ابا عبد الرحمن ؟ فان اصاب ظنك فلك الجارية . قال : ما اراني الاّ قد اخذتها ، هذا ميزان رومي . فضحك ابن جعفر وقال : صدقت ! هذا ميزان يوزن به الكلام ، والجارية لك .[4]

---

١) ابن عبد ربه ١ : ١٤٥
٢) الاصبهاني ١١ : ٦٩
٣) الاصبهاني ١١ : ٦٨
٤) ابن عبد ربه ٣ : ٢٢٣

وكان فيما يظهر من اكثر الروايات يحب الدعابة واللهو والمزح[1] شأن رفيقيه عمر وابن ابي عتيق ، وكان هذان يرافقانه ويترددان معه الى مجالس القيان في المدينة لاستماع الغناء من بعضهن كعزة الميلاء وغيرها .[2] وقد لام بعضهم ابن جعفر على ذاك . زعموا ان عبدالله ابن صفوان ، وكان اميًّا ، قال لابن جعفر : يا ابا جعفر لقد صرت حجّة لفتياننا علينا ، اذا نهيناهم عن الملاهي قالوا هذا ابن جعفر سيّد بني هاشم يحضرها ويتخذها . فقال له : وانت يا ابا صفوان صرت حجّة لصبياننا علينا ، اذا لمناهم في تركِ المكتب قالوا هذا ابو صفوان سيّد بني جمح لا يقرأ آيةً ولا يخطُّها .[3] وكان قبل هذا كله كاتباً كتب لعليّ في خلافته ،[4] وكان كصاحبيه عمر وابن ابي عتيق على حظ كبير من الثقافة العلمية والادبيّة .

وهناك رواية تشير الى انه كان رقيق العاطفة حسّاساً . رووا انه لما اهدى بنته الى الحجّاج اوعز ابن ابي عتيق صديقه الى الدلّال المغنّي ان يُغني ، وقد هُيئت الهوادج والرواحل وصيّرت بنت ابن جعفر فيها مع جواريها والمشيعين لها ، فغنى ثم مضت بنت ابن جعفر فاتبعها يغنيها بشعر عمر ابن ابي ربيعة :

ان الخليط اجدَّ فاحتملا ... واراد غيظك بالذي فعلا
فوقفت انظر بعض شأنهم ... والنفس مما تأمل الاملا
واذا البغال تشد صافنةً ... واذا الحداة قد ازمعوا الرحلا
فهناك كاد الشوق يقتلني ... لو ان شوقًا قبله قتلا

فدمعت عينا عبدالله بن جعفر ، وقال للدلال : حسبك ! فقد اوجعت قلبي . امضوا في حفظ الله على خير طائر وايمن نقيبة .[5]

اما المواضع التي كان يجتمع فيها عمر مع عبدالله بن جعفر فهي دور الغناء في المدينة ، وقد كانت كثيرة ، ولعلّهم كانوا يجتمعون ايضاً في دورهم الخاصّة . وكان العقيق متنزهاً لهم يقصدونه اذا سال في مواكب تلفت الانظار .[6]

وكان لصداقة عبدالله بن جعفر اثر في نفس عمر وفي حياته . وقد نشأ عمر متبعاً الى حدّ ما الطريق التي رأى صاحبه عليها ، وكان فيما سنرى كصاحبه كريماً رقيق العاطفة

---

١) ابن عبد ربه ٣ : ٢٣٣–٢٣٧
٢) الاصبهاني ١٦ : ١٤
٣) ابن عبد ربه ٢ : ١٥٢
٤) ابن عبد ربه ٢ : ٢٠٦
٥) الاصبهاني ٤ : ٧١
٦) جبور (ع) ١ : ٩٥–٩٩

حساساً ، وكان بالوقت نفسه اخا لهو يحب الدعابة والغناء . وكان لجود عبدالله اثر في حياة عمر في دور كان يحتاج فيه الى شيء من المساعدة والمعونة من مثل ابن جعفر . وترى اثر هذا الالتماس في شعر لعمر نفسه يظهر انه قطعة من قصيدة ضاع اكثرها ولم يبقَ سوى هذه الابيات فاثبتت في ديوانه ، دون ان يكون هناك فيما نعلم من الكتب خبر او شرح لها . ولعلّ القصيدة — اذا وجدت او عرف خبرها — تظهر ناحية مجهولة من حياة عمر فيما يتعلق بامر نفيه او ابعاده الى الطائف او الى اليمن او الى موضع آخر . ويظهر من الابيات انه كان بعيداً عن ابنائه يتمنى الاجتماع بهم ويطلب الى ابن جعفر ان يعكس النوى فيقرب له البعيد او يوفر عليه تحمل اعباء السفر قال :

على انها ناحت ولم تذر عبرةً ... ونحت واسراب الدموع سفوحُ
وناحت وفرخاها بحيث تراهما ... ومن دون افراخي مهامه فيح
عسى جود عبدالله ان يعكس النوى ... فتضحي عصا التسيار وهي طريحُ [1]

وغريب ان يكون ابن جعفر سبق عمر الى مفارقة هذه الدنيا ولم يرثه عمر او يظهر جزعه عليه . وقد ذكر الرواة كما راينا ان اهل المدينة اجمعين جزعوا عليه وحزنوا . ولكن من يدري ، لعلّ فيما ضاع من شعر عمر — وهو كثير كما سنرى — ما يزيل استغرابنا . وليلاحظ ان هذه الابيات التي التمس فيها جود عبدالله مبتورة ناقصة .

اصدقاء آخرون

ولقد كان لعمر في المدينة اصدقاء غير هؤلاء . ذكر بعضهم الرواة وأشار هو الى بعضهم في شعره ، ولكننا لا نعلم من اخبارهم معه شيئاً كثيراً ، وربما كانت صداقته مع بعضهم بعد شبابه . منهم الاحوص فقد ذُكر انه رافقه هو وابن ابي عتيق في زيارة الى جميلة المغنّية .[2] وذكر في موضع آخر انه كان رفيقه في زيارة لكثيّر .[3] ومنهم جميل ، ولكنّه لم يكن من اهل المدينة ، بل كان يتردد عليها كثيراً ، وكذلك قل عن نصيب وقد وفد عمر مرةً على المدينة فشيّعه الاحوص عند مغادرتها ونزلا على نصيب بطريقهما .[4] وكان نصيب يقول

---

١) ابن ابي ربيعة (ع) ١٢٨ والضمير في ناحت يرجع الى الحمامة الحزينة
٢) الاصبهاني ٦ : ١٢٣ ٣) الاصبهاني ١١ : ١٨ والمرزباني ١٦٣
٤) " ١١ : ١٨

عن عمر : انه اوصفنا لربّات الحجال .[١] وكان عمر يحفظ اشعاراً لاكثر هؤلاء .[٢] وكان يعارض جميلًا ، فاذا قال هذا قصيدة قال عمر اخرى على رويّها .[٣] وقد اجتمع به عمر مرةً وقال له اذهب بنا الى بثينة . فخشي جميل ، وذهب عمر فقابلها وحده .[٤]

وسلك عمر وهو في المدينة مع بعض هؤلاء سبلًا للهو سنفرد لهـا ابواباً خاصة حين نبحث في لهوه ، ونرى من الخير الآن ان ننتقل معه الى مكّة .

---

١) الاصبهاني ١ : ٣٥ ٢) الاصبهاني ١ : ٧٣ و ٧ : ١٠٥ و ٦ : ٨٦
٣) " ١ : ٥١ و ٢ : ١٣٣—١٣٤ وابن قتيبة (ش) ٣٥٠ والقالي ٢ : ٧٦
٤) " ٧ : ١٠٤—١٠٥

انتقاله الى مكة

ويظهر من اخبار صاحبنا انه قد انتقل الى مكة. ولسنا نعلم متى كان ذلك ، ولكننا نرجح ان هجرته اليها وقعت في الزمن الذي اخذ الأشراف فيه ينتقلون من المدينة اليها . فانه بعد ان مات معاوية وانتقلت الخلافة الى يزيد ، حاول عامله ان يأخذ اشراف المهاجرين والانصار بشيء من الشدة حتى يبايعوا يزيد ، فأبى بعضهم وتركوا المدينة ولاذوا بمكة ، وكان من هؤلاء عبدالله بن الزبير والحسين بن علي وكثير من اشياعهما ومواليهما .[1] وبقي نفرٌ بايعوا مكرهين ، ثم انتقضوا على عامل المدينة واخرجوه منها ، واخذوا بدورهم يضطهدون الامويين من ساكني المدينة ، فبعث هؤلاء يرسلهم الى الخليفة يزيد يشكون اليه ما يلاقون من اهل المدينة ، فجرَّد على الثائرين جيشاً بقيادة مسلم بن عقبة ، وكانت واقعة الحرة سنة ثلاث وستين .[2] وكان عبد الرحمن اخو عمر مع حامية المدينة كما ذكرنا سابقاً ، وكان يدافع جيوش بني اميَّة ويردّهم عنها ، ثم غُلب على أمره ، ولكنه نجا ولم يقتل . اما الحارث اخوه الثاني فيظهر انه هاجر مع عبدالله بن الزبير ، فاذا لم يكن عمر قد هاجر مع الحارث منذ اوّل ولاية يزيد ، فانه من الطبيعي ان يكون قد هاجر مع اخيه عبدالرحمن بعد واقعة الحرّة . ولعلَّه قد اشترك مع اخيه في الحصار وعاين شيئاً من هول تلك الايام . وله شعر زعم الرواة انه قاله يرثي من قتل يوم صفّين ويوم الجمل من اهل العسكرين ، ونرى ان هذا الشعر اقرب الى ان يكون قيل في قتلى الحرّة منه في قتلى الجمل وصفّين . قال :

تقول ابنة البكريّن لمّا لقيتنا ... لقد شاب هذا بعدنا وتنكّرا
فمثل الذي عاينت شيّب لمتي ... ومثل الذي اخفي من الحزن نكّرا
فكم فيهم من سيّد قد رزئته ... وذي شيبةٍ كالبدر اروع ازهرا
اولئك قومي لا وجَدّك لا ارى ... لهم شبهاً فيمن على الارض معشرا
اذبَّ وراء المستضيف اذا دعا ... وأضرب في يوم الهياج السنوّرا
وافضلَ احلاماً واعظم نائلاً ... واقربَ معروفاً وابعد مُنكرا

---

١) الطبري ٢ : ٢١٨—٢٢٢

٢) الطبري ٢ : ٤١٢

وان انعموا ثنّوا عليه بصالحٍ ولم يُتبعوا الاحسان منّاً مكدّرا[1]

ومهما يكن من الامر فالواقع انه عاش في مكة قسماً كبيراً من حياته. وتردد اليها كثيراً وهو في المدينة ولعلّه كان حريصاً الاّ يفوته موسم الحج كل سنة. ونرى في اخباره ذكراً لرجال نعرف من تاريخ حياتهم انهم مكيّون كانوا يرافقونه الى مواضع في مكّة، وكان له صاحبات مكيّات يتردّد اليهن، وكان بعض اصحابه الذين خلّفهم في المدينة يقدمون عليه الى مكة ويزورونه فيها، ثم يعود بدوره فيزورهم في المدينة وينزل عند بعضهم.[2] وكان يقصد المدينة احياناً مشيعاً صاحبةً او ملبّياً دعوة صاحباته فيوافيهن ويحدثهن ويسمر معهن ثم ينصرف عنهن دون ان يطيل اقامته فيها. ولقد زعموا انه قال لهن مرة حين لبّى دعوتهن: والله اني لمحتاج الى زيارة قبر النبي والصلاة في مسجده ولكني لست اخلط بزيارتكن شيئاً. ثم انصرف الى مكة.[3] وتدعوه عوامل أخرى لزيارة المدينة فيمكث فيها حتى يملّ، فيقول:

---

١) ذكر شارح ديوان ابن ابي ربيعة السيد محمد العناني ان ابنة البكرَين هنا هي عائشة بنت ابي بكر الصديق، غير اننا لم نر لها مثل هذه الكنية في جميع الاصول التي بين ايدينا. ولقد عرضت هذا الامر على بعض شيوخ الازهر فلم يُجلْ هذا الغموض، واذكر اني تحدثت الى الدكتور طه حسين بهذا الشأن في مجلس ضمّ نفراً من كبار ادباء مصر فكادوا يتفقون على أنه الأولى ان تقرأ «ابنة البكريّ» بدل «ابنةُ البكرَين» ولم نستطع تعيين صاحبته هذه. والشعر يدلّ على ان صاحبه قد بدأ الشيب يلعب في لمته وهذا وحده يكفي ان يمنع ان يكون قيل في واقعتي الجمل وصفّين وعمر اذ ذاك لم يتجاوز الثالثة عشرة، بل يجب ان يكون عمر في حدود الاربعين وهذا يوافق تاريخ واقعة الحرة. ويذكر ابن قتيبة (١) ١٨٠ ان الناس اخذوا ينوحون على اهل الحرة وان النوح مكث سنة لا يهدأون. ويذكر الاصبهاني ١ : ٨٥ ان الثريا صاحبة عمر علمت الغريض النوح بالمراثي على من قتل من اهلها يوم الحرة. اما ابنة البكريّ او [البكرين] فلعلها عائشة بنت طلحة حفيدة ابي بكر الصدّيق من ابنته ام كلثوم. وليلاحظ انه أقسم بجدّها. ولنذكر ايضاً ان اخاه كان زوج امّها وانه حارب يوم الحرّة. اما عائشة ام المؤمنين فقد ماتت كما هو مشهور قبل الحرّة بنحو خمس سنوات. ولعمر شعر آخر يرثي فيه موتى المدينة في البقيع (مقبرة المدينة) ليس بعيداً ان يكون قيل بعد واقعة الحرّة:

يا راكباً نحو المدينة جسرةً أُجُدًا تلاعب حلقةً وزماما
اقرأ على اهل البقيع من امرئٍ كمدٍ على اهل البقيع سلاما
كم غيّبوا فيه كريماً ماجداً شهماً ومقتبل الشباب غلاما

٢) الاصبهاني ١ : ٨٩ ٣) الاصبهاني ١ : ٤٧

يا خليليَّ قد مللت ثوائي بالمصلّى وقد شنئت البقيعا
بلغاني ديار هند وسلمى وارجعا بي فقد هويت الرجوعا[1]

ولم تختلف كثيراً حياة عمر في مكّة عنها في المدينة ، فلم ينقطع ميله للهو والعبث ، ولم تنقطع سبل اللهو امامه . وكانت حركة الغناء قد انتقلت أيضاً الى مكّة فنشأ جيل من المغنّين المكيّين وكاد يجذب اليه روّاد هذا اللهو حتى من المدينة نفسها . ولم يقتصر عمر على هذا الضرب من اللهو بل كان له في مواسم الحج نصيب اوفر وكانت ايام الحج عنده خير ايّام بحيث تمنى ان تكون ايامه كلها حجّاً واعتماراً . وفي هذا يقول :

ليت ذا الدهر كان حتماً علينا كل يومين حجّة واعتمارا[2]

وكان له في مكّة رفاق ، لعلّه كان يعرفهم من قبل ، اشهرهم ثلاثة منهم اثنان ليسا من طبقة ابن جعفر وابن ابي عتيق ، بل هما من المغنين . والثالث قريب له من مترفي شباب مكّة . وكان يقضي مع هؤلاء اكثر اوقات لهوه . ومن الخير ان نفرد لكلٍّ منهم باباً خاصّاً .

ابن سريج

قالوا : اذا اعجزك ان تطرب القرشي
فغنّه غناء ابن سريج في شعر
ابن ابي ربيعة فانك ترقّصه

اما اولهم فابن سريج المغني المكّي المشهور الذي قيل فيه لرجلٍ سأل عنه : « أتذكره ويحك باسمه ولا تقول سيّد من غنّى وواحد من ترنّم . »[3] وقال جرير فيه : « لله درّكم يا اهل مكة ، ماذا اعطيتم ! والله لو ان نازعاً نزع اليكم ليقيم بين اظهركم فيسمع هذا

---

١) ابن ابي ربيعة (ع) ٢٣١ ٢) الاصبهاني ١ : ٦٩ و ٨ : ٥٦ لقد كان لهذا الشعر صدىً عظيم بين معاصريه ولقد ذكرنا سابقاً تعليق ابن ابي عتيق عليه حين قال لعمر : ان في نفس الجمل ما ليس في نفس الجمّال . ولقد انشده عمر امام عبدالله بن عمر بن الخطاب فقال له هذا : يا ابن اخي اما اتقيت الله ؟ فاجابه عمر : بأبي انت وامي اني وضعت ليتاً حيث لا تغني . وقال له ابن ابي عتيق مرةً : الله ارحم بعباده ان يجعل عليهم ما سالته ليتم لك فسقك . (الاصبهاني ١ : ٦٩)
٣) الاصبهاني ١ : ١٢٥

صباحَ مساء لكان اعظم الناس حظًّا ونصيباً ، فكيف ومع هـذا بيت الله الحرام ، ووجوهكم الحسان ، ورقة البستكم ، وحسن شارتكم ، وكثرة فوائدكم .»[1]

وكان ابن سريج يرافق عمر في بعض الاحيان الى المواضع التي كان يلتقي فيها الأخير بمحبوباته ، وكان شاهد عيان لبعض وقائع حب صاحبه ، حتى ان احدى النساء فيما يظهر من شعر عمر — رجت ابن سريج الاَّ يذيع سرّها مع عمر . قال عمر :

قالت وعيناها تجوداننا صوحبتَ والله لك الراعي
يا ابن سريجٍ لا تُذع سرّنا قد كنت عندي غير مذياع[2]

ولسنا نعلم متى بدأت صداقة ابن سريج مع عمر فقد كان ابن سريج يتردد الى المدينة ويستمع الى المغنين فيها .[3] وكان له فيها اصدقاء ، منهم ابن ابي عتيق الذي حفظ له صداقته ، فكان بعد موته يسوق في كل عام بدنةً وينحرها عنه .[4] ومنهم عبدالله بن جعفر الذي قيل ان ابن سريج كان منقطعاً له .[5] ويجوز ان يكون عمر قد تعرف الى هذا المغني في بيت احدهما ويجوز ان ملازمته لعمر لم تسبق شهرته كمغنٍّ . وقد زعموا انه لم يشتهر بالغناء قبل واقعة الحرّة ، فانه حين ورد الخبرُ مكة بما فعله مسلم بن عقبة بالمدينة ، علا على ابي قبيس ، واخذ ينوح بشعرٍ هو :

يا عين جودي بالدموع السفاح وابكي على قتلى قريش البطاح[6]

وكان ابن سريج اكبر من عمر ، ولد على الارجح في خلافة عمر بن الخطاب وغنّى في خلافة عثمان بن عفان .[7] وكان في صغره جميلًا . — قيل في وصفه وهو غلام « كانه فلقة قمر » .[8] وكان حذقاً حكيماً . قال عنه ابو الفرج : وكان ابن سريج عاقلًا اديباً وكان يغنّي الناس بما يشتهون ، فلا يغنّيهم صوتاً مدح به اعداؤهم ، ولا صوتاً فيه عليهم عار

---

١) الاصبهاني ١ : ١١٧ والاصبهاني « د » ١ : ٢٩٧
٢) الاصبهاني ١ : ١٢٧ وابن ابي ربيعة (ع) ٢٢٣
٣) ابن عبد ربه ٣ : ٢٤٣ والاصبهاني ١٦ : ١٤
٤) الاصبهاني ١ : ١٠٩
٥) الاصبهاني ١ : ٩٧
٦) " ١ : ٩٩
٧) " ١ : ٩٩ و ٩٧
٨) " ١ : ١٢٥

او غضاضة .[1] وقال عنه في موضع آخر : كأنه خلق من قلب كلّ واحد ، فهو يغنّي له بما يشتهي .[2] وكان كعمر يرغب في الزينة ، فيلبس الثياب الجميلة ،[3] ويتطرّف بالحنّاء .[4] واتّهم في اخلاقه ،[5] وقد اتخذ له غلاماً يحمل عوده .[6] ولقد كان لابن سريج مع عمر شأن ليس بقليل ؛ فهو احد هؤلاء الذين ساعدوا على ان يشتهر شعر عمر . ذلك انه كان من اعظم المغنين الذين لحّنوا اشعار عمر . والذي يقرأ الاشعار التي ذكرها ابو الفرج لعمر ، واخبار الحانها ، يرى ان ابن سريج قد كان الملحّن للكثير منها . وقد ذكر الرواة انه لما وضع معبد المدنّي اصواته السبعة تاه بها وفضّلها على المداين التي افتتحها قتيبة في خراسان ، فلحق المكيّين غيرة شديدة ، واجتمعوا وعرضوا اصوات مغنّيهم ، فاختاروا من غناء ابن سريج سبعةً فجعلوها ازاء اصوات معبد ، ثم خايروا اهل المدينة فانتصفوا منهم . وقد كانت اكثر الاشعار التي اختيرت اصوات ابن سريج فيها من شعر صاحبه عمر .[7] وكان ابن سريج معجباً بشعر عمر حتى قيل انه تغنّى ذات يوم بشعرٍ لعمر يقول فيه :

خانك من هوى فلا تخنه وكن وفيّاً ان سلوت عنه

قال المكيُّون : قال ابن سريج ما تغنّيت بهذا الشعر قطّ الاّ ظننت اني احلّ محلّ الخليفة . وكان ابن ابي ربيعة بدوره معجباً بصوت ابن سريج وبالحانه ، فكان يستصحبه معه في مواسم الحج ليغنّيه ، وكان موكبهما اذا سارا معاً دهشة الناظرين . وهكذا فقد قرن شعر عمر الى الحان ابن سريج وغنائه فكانا فتنة قريش فيما يزعمون . حدث ابن عبد ربه ان اشعب انتجع اهل مكة في المدينة ، فوفد على رجل من اهلها من بني هاشم ، قال اشعب : فلما دخلت عليه غنّيته بغناء اهل المدينة واهل العقيق ، فلم ينجع ذلك فيه ، ولم يحرك من طيبه ولا اريحيته ، فلما عيل صبري غنيته بغناء ابن سريج المكي وقول ابن ابي ربيعة القرشي :

نظرت اليها بالمحصب من منى ولي نظرة لولا التحرج عازم الخ

---

١) الاصبهاني ١ : ١٠٥
٢) الاصبهاني ١ : ١٢٣
٣) " ١ : ١٠١
٤) " ١ : ١٠٧
٥) " ١٥ : ١٣١
٦) النويري ٤ : ٢٧٥
٧) " ٨ : ١٤٣

قال : فحركت والله من طربه ، وكان الذي اردت . ثم غنيته لابن ابي ربيعة القرشي ايضاً :

ولولا ان تقول لنا قريش مقال الناصح الادنى الشفيق
لقلت اذا التقينا قبليني وان كنّا بقارعة الطريق

فقال : احسن والله ! هكذا يطيب التَّلقي . قال : فغنيته الثالث من غناء ابن سريج قول عمر ابن ابي ربيعة « ما زلت امتحن الدساكر دونها » الخ : فصاح الهاشمي : اواه ! احسن والله ، واحسنت ! وامر لي بالف درهم ، وثلاثين حلَّة ، وخلعة كانت عليه .[1] وقال ابن عبد ربه : انه كان يقال قديماً اذا قسا عليك قلب القرشي من تهامة ، فغنِّه بشعر عمر ابن ابي ربيعة وغناء ابن سريج .[2] وروى ابو الفرج انه كان يقال : اذا اعجزك ان تطرب القرشي فغنِّه غناء ابن سريج في شعر عمر ابن ابي ربيعة فانك ترقصه .[3]

وكان كلّ منهما حريصاً على صداقة صاحبه . وكان كل منهما محتاجاً الى فنّ صاحبه . ولهذا كانت اكثر الحان ابن سريج واحسنها في اشعارٍ لعمر . ولعمر مع ابن سريج اخبار ربما نعرض لبعضها في موضع آخر من درسنا هذا .

وكان لابن سريج منافس في صناعته وفنه ، وفي صداقته مع عمر ، هو الغريض . قيل انه لما ناوأه في الغناء ، واخذ ينافسه ، جعل ابن سريج لا يغنّي صوتاً الاَّ عارضه فيه ، وكانت ببعض اطراف مكة دار ياتيانها في كل جمعة ، ويجتمع لها خلق كثير ، فيوضع لكلٍّ من هذين المغنيين كرسيٌّ ، ثم يتناقضان الغناء ويترادّانه .[4]

الغريض

يا غريض ! لو لم يكن لي في ولايتي مكة حظ الاَّ انت لكان حظّاً كافياً وافياً . يا غريض ! انما الدنيا زينة ، فازين الزينة ما فرّح النفس ، ولقد فهم قدر الدنيا من فهم قدر الغناء . [الحارث بن خالد المخزومي]

وهو لقب لقِّب به ، لانه كان طريَّ الوجه ، نضراً ، غضَّ الشباب ، حسن المنظر .[5]

---

١) ابن عبد ربه ٣ : ٢٥٥
٢) ابن عبد ربه ٣ : ٢٥٥
٣) الاصبهاني ١ : ١١٣
٤) الاصبهاني ١ : ١٠٨
٥) " ٢ : ١٢٩

واسمه عبد الملك ، وكان مولداً من مولدي البربر ، وكان ولاؤه للثريا صاحبة عمر ، ولاخواتها .[1] وقد اخذ الغناء اول امره عن ابن سريج ، ثم لما رأى ابن سريج طبعه وظرفه وحلاوة منطقه خشي ان يأخذ غناءه فيغلبه عليه عند الناس ويفوقه بحسن وجهه وجسده ، فاعتل عليه ، وشكاه الى مولياته ، وهن كن دفعنه اليه ليعلمه الغناء ، وجعل يتجنى عليه ثم طرده ، فشكا ذلك الى مولياته وعرفهن غرض ابن سريج في تنحيته اياه عن نفسه ، وانه حسده على تقدمه .[2]

ويظهر ان الغريض ما اعدم من يتابع تعليمه حتى صار يقارن بابن سريج ، فلا يفضل عليه الاخير الاّ بالتقدم . زعموا انه لمّا غنّى الغريض وابن سريج « عوجي علينا ربّة الهودج » امام سكينة قالت : والله ما افرق بينكما ، وما مثلكما عندي الاّ كمثل اللؤلؤ والياقوت في اعناق الجواري الحسان لا يدري اي ذلك احسن .[3] ورووا انه قد انبرى الغريض ايام الحجّ مرةً ، ووقف حيث لا يرى ويسمع صوته وترنم ورجع صوته وغنّى في شعر عمر ابن ابي ربيعة :

ايها الرائح المجدّ ابتكارا قد قضى من تهامة الاوطارا

فما سمع السامعون شيئاً كان احسن من ذلك الصوت ، وتكلم الناس فقالوا : طائفة من الجنّ حجّاج .[4]

وقد كان الغريض مغنّي عمر . وكان عمر معجباً بغناء الغريض في اشعاره ، وكان كثيراً ما يسأله ان يغنّيه منها .[5] وقد رووا انه لما حجّ الوليد بن عبد الملك ، وقابل عمر ، قال عمر للوليد : ان عندي اجمل الناس وجهاً ، واحسنهم حديثاً ، فهل لك ان تسمعه ؟ قال : هاته ! فدعا به ، وغنّى الوليد بشعر عمر .[6]

وكان الغريض ايضاً — كابن سريج ، بل اكثر من ابن سريج — رفيق عمر في كثير من وقائع حبّه ورسوله في بعض الاحيان الى صاحباته ، حتى سماه الحارث بن خالد المخزومي

---

١) الاصبهاني ٢ : ١٢٩
٢) الاصبهاني ٢ : ١٢٩
٣) " ٢ : ١٣٠
٤) " ٢ : ١٣٠
٥) " ٦ : ٨٥
٦) " ٢ : ١٤٥

« فُوَيسِق عمر ».[1] ولقد روى ابو الفرج انه لما ارسلت سكينة وصاحباتها حين تشوقن الى رؤية عمر واستماع حديثه ، رسولاً وراء عمر ، اتى هو والغريض من مكة ، فحدثهن حتى وافى الفجر ، وانصرف عمر والغريض . فلما صار بمكة قال شعراً في وصف الليلة التي كان فيها فلحّنه الغريض ، وغنّاه عمر ، فسُرَّ به ، وامضـاه به الى النسوة ، فانشدهن اياه وفيه يقول :

الم بزينب ان البين قد افدا قلّ الثواء لئن كان الرحيل غدا

فقالت سكينة : فيا ويحه فما كان عليه ان لا يرحل في غده ... ثم غناه امامهن ، فقالت سكينة : احسنت والله واحسن ابن ابي ربيعة ! لولا انك سبقت فغنيته عمر قبلنا لاحسنّا جائزتك ، يا بنانةُ اعطه بكل بيت الف درهم . فاخرجت اليه بنانة اربعة آلاف درهم ، فدفعتها اليه ، وقالت سكينة : لو زادنا عمر لزدناك .[2]

وروي ايضاً ان نسوة من قريش واعدن عمر ابن ابي ربيعة الى العقيق ليتحدثن معه ، فخرج اليهن ، ومعه الغريض فتحدثوا ملياً ، ومطروا ، فقام عمر والغريض وجاريتان للنسوة فاظلّوا عليهن بطرفة وبردين له حتى استترن من المطر الى ان سكن ، ثم انصرفن . فقال له الغريض : قل في هذا شعراً حتى اغنّي فيه . فقال عمر :

الم تسأل المنزل المقفرا بيانًا فيكتم او يخبرا
ذكرت له بعض ما شجاك م وحق لذي الشجو ان يذكرا
مقام المحبين اذ ظاهرا كساء وبردين ان يعطرا[3] الخ

وروي ايضاً انه لما غضبت بنو تيم على عمر لذكره عائشة بنت طلحة في شعره ، امتنع عن التصريح بها ، وكره في الوقت نفسه اغفال ذكرها ، فنظم ابياتاً واعطـاها للغريض ، فلحنها . ثم قال له : ان ابلغتها هذه الابيات في غنائك فلك خمسة آلاف درهم . وقد ذهب الغريض برسالته فغنّى عائشة اولاً شعر الحارث بن خالد المخزومي فيها :

زعموا بان البين بعد غدٍ فالقلب ممّا احدثوا يجف

فقالت له : غنّني بشعر غيره . ولعلها كانت تتشوق الى سماع غناء الغريض بشعر عمر

---

١) الاصبهاني ٦ : ٨٥ ٢) الاصبهاني ٢ : ١٢٦
٣) " ١ : ٦٦

فيها ، وقد ادركت سبب مجيئه . فغناها الابيات التي نظمها عمر لهذا الغرض :

اجمعت خُلتي مع الفجر بينا جلَّلَ الله ذلك الوجه زينا
اجمعت بينها ولم تك منها لذَّةَ العين والشباب قضينا
فتولّت حمولها واستقلّت لم تُنل طائلاً ولم تقض دينا
فاصابت به فؤادي فهاجت حَزَنًا لي مبرّحًا كان حَينا
ولقد قلت يوم مكّة لمّا ارسلت تقرأ السلام علينا
انعم الله بالرسول الذي أُرسل م والمُرسل الرسالة عينا

قال : فضحكت عائشة ، ثم قالت : وانت يا غريض ، فانعم الله بك عينا ! وانعم بابن ابي ربيعة عينا ! لقد تلطفت حتى ادّيت الينا رسالته . وان وفاءك له لما يزيدنا رغبة فيك وثقةً بك .[1]

وكان الغريض فيما يظهر يحب الغناء في شعر صاحبه عمر . فقد رووا انه اجتمع مع جماعة من نساء اهل مكة ، وهو يغنيهن طول ليلتهن التي سهر بها بشعر عمر .[2] وكان عمر بدوره يحب غناء الغريض ويحرص على ان لا تفوته فرصة يسمع فيها صوت صاحبه .[3] وقد ذكره عمر كثيراً في شعره الذي نظمه في بعض وقائع حبه . من ذلك قوله :

ولقد قلت مخفيًا لغريضٍ هل ترى ذلك الغزال الأحمّا[4]

ولقد اتهم الغريض في اخلاقه كما اتهم ابن سريج ، فلقد زعموا انه كان يصنّع نفسه ويبرّقها وانه فتن اهل مكّة بحسن وجهه وحسن صوته ، ونسبوا اليه افعالاً شنيعةً نكتفي بالاشارة الى بعضها .[5]

وكان الغريض يحب ذكر اسمه في شعر عمر حتى رووا ان عمر نظم ذات يوم شعراً قال فيه :

هاج الغريض الذِكَرُ لما غدوا فانشمروا

فجعله الغريض لمّا غنّى فيه : هاج الغريض الذكر . يعني نفسه .[6]

---

١) الاصبهاني ٣ : ١٠٤—١٠٥ وابن ابي ربيعة (ع) ٥٤٦
٢) " ٣ : ١٢٥ ٣) الاصبهاني ٦ : ٨٥—٨٦
٤) " ١ : ١٣١ ٥) النويري ٤ : ٢٨٥ وانظر الاصبهاني ٣ : ١٢٩ و ١٣٣ و ١٣٥
٦) " ٣ : ١٤٥

الحارث بن خالد المخزومي

اما رفيق عمر الثالث فهو الحارث بن خالد المخزومي الشاعر ، ولنذكر ان الحارث كان اموياً الهوى مروانياً فيما يزعمون ، بينما كان اكثر المخزوميين مع ابن الزبير.[1] ولكن عمر لم يلتفت الى السياسة كثيراً ولم يكن يرى بأساً في ان يرافق اميراً شاعراً من بني قومه عُرف بميله الى آل مروان . وهناك رواية تذكر ان الحارث خرج مرةً يشيّع احد خلفاء بني اميّة فسار معه عمر ونفر من اصحابهما وتناشدوا الشعر جميعاً عند رجوعهم.[2] ولقد ولي الحارث مكّة لعبد الملك بن مروان وكان فيما يزعمون ذا قدر وخطر ومنظر في قريش .[3]

ولقد تنافس الحارث وعمر في حب عائشة بنت طلحة فكانا يتودّدان اليها ولقد زعم الرواة ان الحارث أخر الصلاة مرةً وهو والٍ حتى فرغت عائشة من طوافها ، فانكر اهل الموسم ذلك وشكوه الى عبد الملك فبعث اليه يؤنبه فيما فعل، فقال الحارث: ما اهون والله غضب عبد الملك اذا رضيت عائشة .[4] وكان ينظم فيها الاشعار وكذلك كان يفعل عمر ، واخذ الناس في زمنهما يفاضلون في اشعارهما فكادوا يتفقون على تفضيل شعر عمر .[5]

وكان الحارث كعمر يحب الغناء كثيراً ويظهر انه كان يتوسّل بصداقة عمر لاستماع بعض المغنين ، وللاجتماع مع بعض النسوة الشريفات . ولقد روى عن نفسه انه بلغه ان الغريض خرج مرة مع نسوةٍ مكيّات من اهل الشرف ليلاً الى بعض المتنزهات من نواحي مكة ، وكانت ليلة مقمرة جذّابة ، فتاقت نفسه الى مجالسة هاته النساء ومحادثتهن ، وخاف على نفسه لجناية كان يُطالب بها . قال : وكان عمر مهيباً معظّماً ، لا يقدم عليه سلطان ولا غيره ، وكان منّي قريباً ، فاتيته ، فقلت له : ان فلانةً وفلانةً حتى سميتهن كلّهن قد بعثنني ، وهن يقرأن عليك السلام ، وقلن : تشوقنا اليك في ليلتنا هذه لصوت انشدناه فويسقك الغريض . وكان الغريض يغني هذا الصوت فيجيده ، وكان ابن ابي ربيعة به معجباً . وكان كثيراً ما يسأل الغريض ان يغنيه به . قال الحارث : فلما اخبرته الخبر قال لقد ازعجتني في وقت كانت الدعة احبّ فيه اليّ ، ولكن صوت الغريض وحديث

---

١) الاصبهاني ٣ : ١٠٢
٢) الاصبهاني ١ : ٦٧
٣) " ٣ : ١٠٠
٤) " ٣ : ١٠٢
٥) " ٣ : ١٠١

النسوة ليس له مُتَّرك ولا عنه محيص . فدعا بثيابه فلبسها وقال: امض ! فمضينا نمشي العجل حتى قربنا منهن . فقال لي عمر خفِّض عليك مشيك ففعلت ، حتى وقفنا عليهن وهن في اطيب حديث واحسن مجلس ، فسلّمنا ، فتهيَّبّنا وتخفَّرن منا . فقال الغريض : لا عليكن ! هذا ابن ابي ربيعة والحارث بن خالد جاءا متشوقين الى حديثكن وغنائي . فقالت فلانة وعليك السلام يا ابن ابي ربيعة ، والله ما تمّ مجلسنا الاّ بك ، اجلسا . فجلسنا غير بعيد ، واخذن عليهن جلابيبهن ، وتقنعن بأخمرتهن ، واقبلن علينا بوجوههن ، وقلن لعمر : كيف احسست بنا وقد اخفينا امرنا ؟ فقال : هذا الفاسق جاءني برسالتكن ، وكنت وقيذاً من علّة وجدتها ، فاسرعت الإجابة . . . ثم اخذ الغريض يغنيهم بشعر عمر . قال الحارث : فلم نزل بانعم ليلة واطيبها حتى بدا القمر يغيب فقمنا جميعاً .[1]

ويظهر ان الحارث بن خالد المخزومي كان ينافس عمر في صحبة الغريض . وكان يسمّي الغريض كما قلنا فويسق عمر ، وكان الغريض فيما يظهر يؤثر عمر . فاذا طلبه الحارث واستدعاه ، لا يلبيه ولا يجيبه . فلما صارت ولاية مكة الى الحارث ، اراد ان ينتقم من الغريض ، فطرده ، فخرج هذا الى ناحية بالطائف . ثم رقّ له فردّه ، وقال له : لِمَ كنت تبغضنا ، وتهجر شعرنا ، ولا تقربنا ؟ ويظهر ان الغريض قد لان بعد نفيه ، او خشي الحارث في ولايته . فقال : كانت هفوة من هفوات النفس ، وخطرة من خطرات الشيطان . وغنّاه ثلاثة اصوات في شعره . رووا انه بلغ بالحارث الطرب الى ان قال له : لا لوم في حبّك ولا عذر في هجرك ، ولا لذّة لمن لا يروّح قلبه بك . يا غريض ! لو لم يكن لي في ولايتي مكة حظّ الاّ انت ، لكان حظّاً كافياً وافياً . يا غريض ! انما الدنيا زينة ، فازين الزينة ما فرّح النفس ، ولقد فهم قدر الدنيا من فهم قدر الغناء .[2]

ويظهر ان كلا الشاعرين الحارث وعمر اتفقا — في صداقتهما للغريض — على فهم قدر الدنيا وفهم قدر الغناء .

رفاق آخرون

ولقد كان لعمر من الرفاق في مكة غير هؤلاء ، منهم دلاّل المغنّي والابجر وغيرهم

---

١) الاصبهاني ٦ : ٨٥—٨٦ ٢) الاصبهاني ٣ : ١٠٧

ولعلنا نعرض لبعض اخبارهم مع عمر في مناسبة أخرى .

وكان له في مكة او المدينة قريب لا نعرف اسمه بينه وبينه شيء من الجفاء ، وليس في كل اخباره ما يشير الى هذا ، الاّ ان في شعره صورةً للألم الذي كان في نفسه من قريبه هذا . قال :

ومشاحنٍ ذي بغضةٍ وقرابةٍ ... يزجي لاقربه عقارب لُسَّمَا
يسعى ليهدم ما بنيت وانني ... لمشيّد بنيانه المتضَعْضِعا
واذا سررتُ يسوءه ما سرّني ... ويرى المسرّة مروتي ان تقرعا
واذا عثرت يقول اني شامتٌ ... واقول حين اراه يعثر دعدعا [٢]

---

١) ابن ابي ربيعة (ع) ٢٤٤

رحلاته

رأت رجلاً امّا اذا الشمس عارضت فيضحى وامّا بالعشيّ فيخصرُ
اخا سفرٍ جوّاب ارضٍ تقاذفت به فلواتٌ فهو اشعث اغبر

لم يكن عمر ، على تيهه ودلّه وغروره ، بالشاعر الكسل الذي يكره التنقل والسفر او يحجم عن السعي وراء الحبيب ، بل كان في كثير من الاحيان يجشم هول السُرى في سبيل الوصول الى حبيبه . أضف الى هذا ان حياته العائليّة ، وعلاقات القربى التي كانت تربطه مع اخوالٍ في اليمن ، واشتراك اخويه في الحياة السياسيّة — كل هذه او بعضها — قد اقتضته ان يقوم ببعض الرحلات الطويلة . ولست اعرف شاعراً في عصره تنقّل بين البلدان العربيّة تنقّله . وسنرى انه عرف اكثر بقاع الجزيرة العربيّة من عدن في الجنوب على الشاطىء الهندي الى الشام في الشمال الى اهم حواضر العراق في الشمال الشرقي .

ولم يخلُ شعره الذي غلب فيه التيه والعُجب والذي اظهر نفسه فيه بمظهر المحبوب المرغوب من ذكر الأسفار التي قام بها والمشقّات التي كابدها فيها . فهو لا يركن الى السكون ، ولا يقنع بنعيم الحياة الهادئة ، بل يشدّ الركاب وينصّ المطي وراء الحبيب حتى يفوز به .

وانصّ المطيَّ بالركب يطلبن م سراعاً بواكر الاظعانِ[1]

وله من قصيدة يقول فيها :

واشعث ان دعوت اجاب وهناً على طول الكرى وعلى الدؤوب
وكان وسادَه احناءُ رحلٍ على اصلاب ذعلبة نهوب
اقيم به سواد الليل نصّاً اذا حبّ الرقاد على الهُبوب[2]

وله في رائيته :

وليلةَ ذي دوران جشمتني السرى وقد يجشم الهول المحبّ المغرّرُ[3]

---

١) ابن ابي ربيعة (ع) ٥٦٧
٢) ابن ابي ربيعة (ع) ٤٦
٣) ابن ابي ربيعة (ع) ١٨١

وفيها يقول :

رأت رجلاً اما اذا الشمس عارضت فيَضحى واماّ بالعشيّ فيخصرُ
اخا سفرٍ جوّاب ارض تقاذفت به فلواتٌ فهو اشعث اغبرُ

وله في قصيدة أخرى :

رأت رجلا شاحباً جسمه مساري ارض اطال الوجيفا
اخا سفرٍ لا يجمّ المطيّ م بعد الكلالة الاّ خفوفا[1]

امّا اذا كان الحبيب على مسير ليلةٍ منه فهو عنده قريب الدار داني المزار وليس عنه مُتْرك ولا عن لقائه محيص.

أأترك ليلى ليس بيني وبينها سوى ليلة إني اذًا لصبورُ[2]

وهكذا فان عمر قد ألف السفر والتنقُّل ، فطاف اكثر اقطار العالم العربي . واكسبته هذه الرحلات اختبارات ظهرت آثار بعضها في خلقه وفي شعره . وكم كنّا نود لو اشارت المصادر الى الازمان التي قام فيها بهذه الاسفار حتى ندوّنها بترتيبها التوقيتي ، ونذكر اذا امكن الامر ، العوامل التي دفعته الى القيام بها . امّا الآن فسنذكرها بحسب الاقطار غير مهملين ما نعرفه عن الاسباب التي كانت وراءها .

في الحجاز

اما رحلاته في الحجاز فكثيرة . ولعله كان يقوم ببعضها في شبابه حين كان في المدينة ، وحين كانت الحياة السياسيّة في العالم العربي هادئةً في ظلّ معاوية الاكبر ، وحين كانت سبل اللهو في الحجاز ميسّرة لمن هم على شاكلته . ويظهر انه لم يفته ان يقضي بعض الزمن في مكة او الطائف حين كان يرتحل اليها ، ثم يعود الى المدينة . فلمّا انتقل الى مكّة ظلّت آثار هذه الحياة المرحة الناعمة التي قضاها في المدينة عالقةً في نفسه بحيث لم ينسها ، فكان اذا رأى حجّاج المدينة يعودون ، ورأى في مواكبهم ما يرغّبه في العودة معهم ، شدّ الرحال وازمع على السفر . بل كان في بعض الاحيان اذا سمع ان احدى صاحباته العراقيات ستحجّ وافى المدينة ليعرف خبرها ويرافقها الى مكّة . رووا انه لمّا حجّت سبيعة العراقيّة رآها فعلق

١) ابن ابي ربيعة (ع) ٢٦٦ مساري الارض طارقها ليلاً . يُجمّ المطي يريحها . الكلالة التعب . الخفوف سرعة السير .
٢) ابن ابي ربيعة (ع) ٢٢١

بحبّها ، فلما عادت الى العراق شيّعها ، حتى اذا كان العام الثاني سمع بعزمها على الحج ثانيةً فسار الى المدينة ليلاقيها ، ثم لمّا قضت حجّها وعادت ذهب معها الى المدينة .[1]

وحجّت عائشة بنت طلحة ثم عادت الى المدينة فنظم الشعر فيها واعداً اياها بزيارة المدينة :

سوف آتي زائراً ارضكمُ بيقين فاعلميه غير ظنّ
فاجابت هذه امنيّة ليت انّا نشتريها بثمن[2]

ولسنا ندري هل برّ بوعده ام لا . غير اننا نرى في قصيدة له قالها في عائشة ما يشير الى انه ظلّ حزيناً قلقاً منذ فارق المدينة . فهو يذكر حبّها ، ويتأوه لبعدها ، ويظهر جزعه وألمه لفراقها ويقول :

من لقلب أمسى حزيناً معنّى مستكيناً قد شفّه ما أجنّا
اثر شخصٍ نفسي فدت ذاك شخصاً نازح الدار بالمدينة عنّا

ثم يقول :

خبّرينا بما كتبت الينا اهو الحقّ ام تهزأت منّا
ما نرى راكباً يخبّر عنكم او يريد الحجاز[3] الاّ حزنا
ثم ما غت بعدكم من منام منذ فارقت ارضكم مطمئنا[4]

ولقد رووا في خبر وفود جميلة المغنية على مكّة حاجّة ان عمر سألها عند انقضاء حجّها مجلساً تجلسه اليه والى اصحابه ، فابت ان تخلط عملاً صالحاً بمثل هذا اللهو ، وأشارت عليهم ان يتبعوها الى المدينة اذا كانوا حقاً يرغبون في سماع غنائها . ويذكر الرواة ان هؤلاء تبعوها ، وانها جلست في المدينة للناس عامّة مجلس غناء ، ثم جلست لعمر ورفاقه مجلساً خاصاً .[5]

ورووا في موضع آخر ما يظهر ان عمر قد تشوق مرةً الى مجلس جميلة وسماع غنائها ، فقدم المدينة من مكّة ، وقابل الاحوص وابن ابي عتيق ، وساروا معاً ، ، فاتوا منزل جميلة،

---

١) الاصبهاني ٧ : ١٤٣ ٢) ابن ابي ربيعة (ع) ٥٤٤

٣) لا بد لنا من الاشارة ان كلمة « الحجاز » في شعر هؤلاء القدماء وفي اكثر الاصول القديمة كانت تطلق على المدينة وضواحيها وبعض البقاع الشماليّة من الحجاز الحالي . وعلى هذا فمكّة لم تكن من الحجاز بعرف القدماء بل من تهامة

٤) ابن ابي ربيعة (ع) ٥٥٢ و (ش) ق ١١٩ والاصبهاني ١ : ٨١—٨٢

٥) الاصبهاني ٧ : ١٣٤—١٣٦

واستأذنوا عليها ، فاذنت لهم ، فلما جلسوا سألت عمر عن حاله واحفت ، فقال لها عمر : اني قصدتك من مكّة للسلام عليكِ .[١]

وهناك خبر رحلة أخرى – اشرنا اليها سابقاً – قام بها عمر من مكّة الى المدينة اثر دعوة تلقّاها من سكينة بنت الحسين وصاحباتها . وقد قال في زيارته هذه شعراً ، فلما رجع الى مكّة اوعز الى الغريض ان يلحّنه ، فلحّنه ، ثم ارسل عمر مغنّيه هذا ليغنّيهن صوته في هذا الشعر ، ففعل ، واحسنت سكينة جائزته .[٢]

وقدم عمر المدينة مرةً من اجل امرأة من اهلها ، فاقام بها شهراً او اكثر ، ثم ملّ وخرج الى مكة ، وخرج معه الاحوص ، ونزلا بطريقهما على نصيبٍ الشاعر ، فذبح لهما واكرمهما ، ثم ذهبوا جميعاً فزاروا كُثيّراً ، وكان لهم معه قصة طريفة ربما نعرض لها في غير هذا الباب .[٣]

ويذكر الحصري ان عمر كان آخر حياته يسكن المدينة ، ويزعم انه كان في نسكه[٤].

الى الطائف

اما رحلاته الى الطائف فكثيرة فيما نزعم ، ولكن اخبارها قليلة . ولقد ذكر الاصبهاني ان الثريّا صاحبة عمر كانت تصيف بالطائف ، وان عمر كان يغدو (عليها)[٥] كل غداة على فرسه فيسائل الركبان الذين يحملون الفاكهة من الطائف عن الاخبار قِبَلهم .[٦] وتاقت الثريا ذات يوم لرؤيته ، فاوعزت الى بعض الركب ان يخدعوه ، فيزعموا له حين يسألهم عن الاخبار ان امرأة اسمها اسم نجم لا يذكرونه قد ماتت وقد سمعوا صوتاً وصياحاً عالياً عليها ، وخُدع عمر ، فوجّه فرسه على وجهه الى الطائف يركضه ركضاً شديداً سالكاً طريق « كداء » وهو اخشن الطرق واقربها ، حتى جَهَد جواده . وانتهى صاحبنا الى منزل الثريا

---

١) الاصبهاني ٧ : ١٣٣ ٢) الاصبهاني ١ : ٤٦ وابن ابي ربيعة (ع)١٣٤–١٣٧
٣) " ١١ : ١٧–١٨ والمبرّد ١ : ٢٣٠ والمرزباني ١٦٣
٤) الحصري ١ : ٢٠٠ ٥) هنالك اضطراب وتشويش في هذه الرواية ، ونرى انه اذا حذفت كلمة « عليها » من النصّ استقام المعنى ، اذ يستحيل على الفارس ان يقطع المسافة بين مكّة والطائف وهي تبلغ نحو خمسةٍ وسبعين ميلاً في اقل من يوم . فكيف يمكن لعمر ان يغدوَ كل غداةٍ على ثريّاه ؟
٦) الاصبهاني ١ : ٨٥

فالقاها سليمة عميمة تتوقعه وتتشوق للقياه ، فاخبرها الخبر ، فضحكت وقالت : والله انا امرتهم لاختبر ما لي عندك . فقال عمر في ذلك :

تشكّى الكميتُ الجري لما جَهَدْتُه ... وبيّن لو يستطيع انْ يتكلما
فقلت له ان القَ للعين قرةً ... فهان علينا ان تكلّ وتسأما
عدمت اذاً وفري وفارقت مهجتي ... لئن لم اقل قرناً اذا الله سلّما
لذلك ادني دون خيلي رباطه ... واوصي به ان لا يهان ويكرما
فما راعها الاّ الاغرّ كأنه ... عقابٌ هوت منقضّة قد رأت دما
فقلت لهم كيف الثريّا هبلتمُ ... فقالوا ستدري ما مكرنا وتعلما [1]

كذلك مرّ معنا ان ابن ابي عتيق زار عمر قادماً من المدينة ، ثم اخذه معه الى الطائف ليصلح بينه وبين الثريا بعد ان هجرته وضاق ذرعاً بذلك .

وكان عمر — لكثرة تردده الى الطائف — خبيراً بامورها وبقاعها ، حتى روى الرواة انه لمّا حجّ الوليد بن عبد الملك طلب رجلاً عالماً باموال الطائف يدلّه على احيائها ويخبره بشؤونها ، فلم يلقَ مثل عمر ، فركب معه من مكّة يحدثه في طريقه .[2]

وهناك رواية تشير الى انه لمّا حج سليمان بن عبد الملك — ويجب ان يكون ذلك قبل استخلافه — منع عمر من ان يحجّ مع الناس ، واقصاه في ذلك الموسم الى الطائف .[3]

وليس غريباً على شاب غنيّ مترف مثل عمر ان يتردد كثيراً الى الطائف مصيف الاغنياء من اهل الحجاز ، ويشهد مواسم الاصطياف مع اشراف ذلك العصر من فتيان وفتيات فيلهو كما يلهون ويمرح كما يمرحون ، وقد كانت الثريا وعائشة صاحبتاه تصيفان في كثير من السنين هناك .[4]

ولقد كانت الطائف بعيدةً عن اعين الرقباء والولاة فدلف اليها الكثيرون من طلّاب اللهو الذين كانوا يخشون شرّ ذوي السلطان .[5]

---

١) الاصبهاني ١ : ٨٥ وابن ابي ربيعة (ش) ق ٣٠٠ وكداء جبل باعلى مكة وقد ذكر الدكتور حسين هيكل في كتابه مترل الوحي ص ٣٠٨ طريق كداء في مُصوَّر لمكّة . ولكنه ذكر طريقاً آخر في ص ٣٤٣ يوصل بين مكة والطائف مارًّا بجبل كراء وبقرن المنازل وهذا هو الطريق الذي سلكه عمر كما يقول في البيت الثالث ، فهل كداء تحريف عن كراء ؟

٢) الاصبهاني ١ : ٥٠ و ٢ : ١٤٥ ٣) المرزباني ٣٠٢

٤) الاصبهاني ١ : ٨٩ و ٦ : ٣٠ ٥) راجع جبور (ع) ١ : ٩٩—١٠٣

الى بادية الحجاز وضواحي مدنها

وكان عمر يتردد ايضاً الى بادية الحجاز ، والى اراضي بني عذرة بنوع خاص ، فقد كان له اصدقاء من العذريين كجميل ونصيب وابي مسهر العذري وغيرهم ، وقد كان فيما يظهر من شعره يصف تتبّعه لبعض صاحباته في ضواحي هذه المدن الحجازية . بل قد كان له بين البدويّات صاحبات ذكر في اشعاره اخبار تسلّله الى خيامهن وسعيه وراءهن . وقد زعموا انه سعى مرة في ان يجمع بين شاب عذري وصاحبته ، فسار معه الى خيام اهل حبيبته وطلب من ابيها ان يزوجها حبيبها العذري ، فرضي ودفع عمر عن صاحبه هذا صداقها .[1]

وكان لعمر ابنة اسمها امة الواحد دفعها الى هذيل الى بيت رجل منهم يكنى بابي خالد ، لترتضع عندهم ، ثم سار مرة يطلبها وضلّ الطريق وكابد في مسيره مشقّات وهو يبحث عن بيت صاحبه هذا . وفي ذلك يقول :

لم تدر وليغفر لها ربُّها ما كلفتنا امةُ الواحد
جشمت الهول براذيننا نسأل عن بيت ابي خالد
نسأل عن شيخ ابي كاهل اعيا خفاء نشدة الناشد[2]

الى العراق

وقد كانت لعمر رحلات الى خارج الحجاز وباديته ، قام ببعضها الى العراق ، فزار الكوفة وزار البصرة .

اما عن زيارته الكوفة فقد رُوي في الاغاني ان عمر قدم اليها فنزل على عبدالله بن هلال الذي كان يقال له صاحب ابليس ، وكان لهذا قينتان حاذقتان في الغناء ، وكان عمر ياتيهما فيسمع منهما . وقد قال في ذلك :

يا اهل بابل ما نفست عليكم من عيشكم الاّ ثلاث خلال
ماء الفرات وطيب ليلٍ باردٍ وغناء مسمعتين لابن هلال[3]

---

١) الاصبهاني ١٠ : ٥٠—٥٢
٢) الاصبهاني ١ : ٣٤
٣) " ١ : ٦٧

وقد ورد في عنوان هذين البيتين في احدى نسخ الديوان الخطيّة ما يشير الى انه نزل على محمد بن الحجاج بن يوسف حين أتى الكوفة .[1] وقد كان الحارث اخو عمر كما ذكرنا عاملاً لابن الزبير على العراق ، ثم نحيّ عن العراق ، وعُين مُصعب فابقاه مصعب على الكوفة ، ويذكر لنا الطبري انه كان للحارث دارٌ في الكوفة في حي التمّارين وانها كانت معروفةً زمن الحجاج بن يوسف .[2] ولسنا ندري تماماً متى كانت رحلة عمر الى الكوفة ، غير انه يظهر انها كانت بعد ولاية اخيه على العراق ، ولعلها في ولاية الحجاج . وكان في الكوفة مخزوميون ، وكان لهم مسجد معروف في زمن المختار .[3]

واما زيارته للبصرة فقد وقعت على الراجح في خلافة معاوية ، والرواة يذكرون انه لما ضربته الثريا على ثنيتيه وكادتا ان تقلعا خاف ان تسقطا فقدم البصرة فعولجتا له فثبتتا واسودتا.[4] ولسنا ندري هل اطال الاقامة فيها وهل قام بغير هذه الزيارة الى البصرة ام لا . غير انه يظهر من الرواية الاولى انه يعرف البصرة من قبل ، او على الاقل يعرف ان فيها مهرة بطبابة الاسنان ، فلذلك قصدها حالاً خوفاً من ان تسقط ثنيتاه . وقد ذكر القالي في آماليه في صدد ضبط اسم البصرة ان التوزي انشد لعمر ابن ابي ربيعة وكان عمر قد قدم البصرة واقام بها اياماً :

حبذا البصرة ارضاً في ليالٍ مقمرات[5]

وليس هنا ذكرٌ لسبب قدومه الى البصرة او اقامته فيها هذه المدة ، ولعلّ هذه الرحلة غير تلك ، ومهما يكن من امرها فان الظاهر من شعر عمر ان ايامه في البصرة كانت ايام هناء ولهو كايامه في الكوفة .

وهناك في الاغاني ذكر لرحلة قام بها عمر الى العراق دون تعيين بلدٍ خاص . رووا انه بينما كان يطوف بالبيت اذ رأى امرأة من اهل العراق فاعجبه جمالها ، فمشى معها حتى عرف موضعها ، ثم اتاها فحادثها وناشدها وانشدته وخطبها ، فقالت : ان هذا لا يصلح ههنا ، ولكن ان جئتني الى بلدي وخطبتني الى اهلي تزوجتك . فلما ارتحلوا جاء الى صديق له

---

١) شوارز ٤ : ١٦ وراجع شرح اخبار القصائد في الديوان نشر المذكور تحت رقم ٢٠٣
٢) الطبري ٢ : ٢٩٠
٣) الطبري ٢ : ٧٣٤—٧٣٥
٤) الاصبهاني ١ : ٩١
٥) القالي ٣ : ٢١ ويروى هذا البيت في ياقوت ٣ : ٦٤١ باختلاف يسير لشاعر آخر

من بني سهم وقال له : انّ لي اليك حاجة ، اريد ان تساعدني عليها . فقال له : نعم ! فاخذ بيده ولم يذكر له ما هي ، ثم اتى منزله فركب نجيباً له واركبه نجيباً ، واخذ معه ما يُصلحه ، وسارا لا يشك السهمي في انه يريد سفر يوم او يومين ، فما زال يحفد حتى لحق بالرفقة ، ثم سار بسيرهم يحادث المرأة طول طريقه ويسايرها وينزل عندها اذا نزلت حتى ورد العراق ، فاقام اياماً ، ثم راسلها يتنجّزُها وعدها ، فاعلمته انها كانت متزوجةً ابن عم لها ولدت منه اولاداً ثم مات واوصى بهم وبماله اليها ما لم تتزوج ، وانها تخاف فرقة اولادها وزوال النعمة ، وبعثت اليه بخمسة الاف درهم واعتذرت ، فردها عليها ورحل الى مكة .[1]

وله رحلة أخرى الى العراق قام بها لاجل عراقية اسمها سبيعة من ولد عبد الرحمن ابن ابي بكرة ، وكانت فيما يظهر من اخبار ابي الفرج من اجمل النساء ، فابصرها عمر ، فلما انحدرت الى العراق اتبعها يشيّعها حتى بلغ معها موضعاً يقال له الخورنق ،[2] فقالت له : لو بلغت الى اهلي وخطبتني لزوجوك ، فقال لها : ما كنت لاخلط تشييعي اياك بخطبة ، ولكن ارجع ثم آتيكم خاطباً . فرجع ومرّ بالمدينة فقال فيها :

من البكرات عراقية تسمّى سبيعة اطريتها
ومن حبّها زرت اهل العراق واسخطت اهلي وارضيتها
اموت اذا شحطت دارها واحيا اذا انا لاقيتها
فاقسم لو ان ما بي بها وكنت الطبيب لداويتها

وعرض شعره على جميلة المغنيّة فصنعت فيه صوتاً ، ثم وجّه الى بعض مواليات ممن كانت تطلب الغناء ان تأتي جميلة وتأخذ الصوت منها ، فطارحتها اياه اياماً ، حتى حذقته ومهرت به ، فاخرجها عمر الى سبيعة لتغنيها شعره فيها ، وارسل معها رسالة لها ، فعادت الى عمر تنبئه بعزم سبيعة على الحجّ في تلك السنة .[3]

ويظهر انه رغم التقاء عمر بها مرةً ثانيةً فانه لم يبحث معها في امر الزواج . وهكذا فقد انتقم لنفسه — ربما دون قصد — من العراقيات ، فقد خيّبت امله الاولى فخيّب امل الثانية .

وحجّت بنت لمحمد بن الاشعث ، وكانت معها امها ، وسمعت الفتاة بعمر ابن ابي ربيعة

---

(١) الاصبهاني ١ : ٧١ ٢) في ياقوت ٢ : ٤٩٠ الخورنق موضع بالكوفة
٣) الاصبهاني ٧ : ١٤١ وراجع ابن ابي ربيعة (ع) ١١٣

فارسلت اليه ، فجاءها ، وكانت لما جاءها ارسلت بينها وبينه ستراً رقيقاً تراه من ورائه ولا يراها ، فجعل يحدثها حتى استنشدته ، فانشدها :

تشط غداً دار جيراننا وللدارُ بعد غدٍ ابعد

فاستخفها الشعر ، فرفعت السجف فرأى وجهاً حسناً في جسم ناحل ، فخطبها وارسل الى امها بخمسمئة دينار ، فابت وحجبته ، وقالت للرسول : تعود الينا . فكأن الفتاة غمّها ذلك فقالت لها امها : قد قتلك الوجد به فتزوجيه ! قالت : لا والله لا يتحدث اهل العراق خلفي اني جئت ابن ابي ربيعة اخطبه ، ولكن ان اتاني الى العراق تزوّجته . ويقال انها راسلته ووعدته ان تزوره ، فاجر بيته واعطى المبشر مئة دينار ، فاتته وواعدته اذا صدر الناس ان يشيّعها ، وجعلت علامة ما بينهما ان ياتيها رسوله ينشدها ناقة له ضلّت ، فلما صدر الناس فعل ذلك عمر وشيعها ونظم شعراً وفيه يعدها بانه سيزورها في العراق وكثيراً ما كان يعد صاحباته مثل هذا الوعد . قال :

عجباً لموقفنا وموقفها وبسمع ترْبَيْها تراجعنا
ومقالها سر ليلة معنا نعم فان البين فاجعنا
قلت العيون كثيرة معكم واظن ان السير مانعنا
لا بل تزوركم بارضكم فيطاع قائلكم وشافعنا
قالت أشيءٌ انت فاعله هذا لعمرك ام تخادعنا
بالله حدّث ما تؤمله واصدق فان الصدق واسعنا
اضرب لنا اجلاً نعدّ له اخلاف موعده تقاطعنا [1]

ولقد مرّ معنا انه لما قتل مصعب امرأة المختار رآها عمر وجزع لمقتلها . وهذا ان صح فهو يشير الى ان عمر كان في العراق في اوّل ولاية مصعب .

الى سورية

ولعمر رحلات الى سورية أشار الاصبهاني الى واحدة منها ذكر فيها التقاء عمر بزعيم الشعراء العذريين جميل بن معمر : قال خرج عمر يريد الشام ، فلما كان بالجناب لقيه جميل .

---

١) الاصبهاني ١ : ٤٣ وابن ابي ربيعة (ع) ٥٧٤

ويذهب ابو الفرج الى انهما تناشدا الاشعار فاستخذى جميل حين سمع شعر عمر الذي يقول فيه :

وقرّبن اسباب الهوى لتيّم يقيس ذراعاً كلما قسن اصبعا

وقال : الاّ ان النسيب اخذ من هذا . وما انشد بعد ذلك حرفاً .[1] وقد ذكر ابو الفرج ايضاً ان عمر زار بثينة صاحبة جميل وتحدثا قليلاً وانصرف . وأشار غير الاصبهاني الى ابيات من شعر قاله عمر في سفره الى الشام دون تعليق او شرح يجلو شيئاً من غوامض هذه الرحلات .

اما ديوان عمر فيحفظ لنا قصائد ثلاث فيها وصف لسفره الى فلسطين والشام ، وقد عُدّت بعض ابياتها في نظر مصعب الزبيري من الشعر الذي امتاز عمر فيه وفاق نظراءه :

قلت سيرا ولا تقيما ببصرى وحفير فما احب حفيرا
فاذا ما مررتما بحفير فاقلاّ بها الثواء وسيرا
انما قصرنا وان حسّر السير م بعيرًا ان نستفيد بعيرا[2]

والقصيدة في ستة عشر بيتاً يذكر عمر فيها اشفاق صاحبته عليه ساعة ودّعها وودّعته ودعاءها الى الله ان يرجع سالماً مأجورا :

وتذكرتُ قولها لي لدى الميل م وكفّت دموعها ان تمورا
اسأل الله عالم الغيب ان ترْ م جع يا حب سالماً مأجورا

ويظهر من هذه القصيدة ايضاً انه قالها عند رجوعه مارًّا بهذه المواضع التي ذكرها ، وانه يتشوق الى لقاء احبابه فهو لذلك يُغذّ السير ويتعب المطايا ، وماذا عليه ان حسّرها السير ؟ إنه لمستبدلها بغيرها :

يا خليليّ هجرا تهجيرا ثم روحا واحكما لي المسيرا
يا خليليّ ما تشيران اني فاعل ما امرتما فاشيرا
ضربا الامر ساعة ثم قالا قد رضيناك ما اصطحبنا اميرا
ان خطباً علي حقًّا يسيرا ان ارى منكما بعيرًا حسيرا
انما قصرنا وان حسّر السير م بعيرًا ان نستفيد بعيرا

---

١) الاصبهاني ٧ : ١٠٤ ٢) الاصبهاني ٢ : ٦١ وابن ابي ربيعة (ش) ق ٢٢

ولنلاحظ في هذه القصيدة دعاء حبيبته له في ان يرجع سالماً مأجورا . وأي أجر هناك ان لم يكن عمر في طريقه الى حرب ؟ وهل تطلب له صاحبته السلامة دون ان يكون هناك خطر ؟

ولكن اي حرب هناك ؟ لقد استولى العرب على هذه الاقطار الشاميَّة قبل ان يولد عمر ، ولم يكن من الطبيعي ان ياتي عمر وصحبه مدداً للامويين في حروبهم مع الروم في الشمال . ناهيك بان عمر في قصيدته هذه لم يتعدَّ وصف بلاد حوران وشرقي الاردن . لم يكن من الطبيعي ان ياتي مخزومي من اقرباء ابن الزبير لنجدة الامويين في حروب الشمال ، ولم يتعدّ وصف عمر اراضي سورية الجنوبية ، فاذا كانت هناك حرب في فلسطين او شرقي الاردن او حدود الشام ، فيجب ان تكون اذاً بين العرب انفسهم ، ويجب ان يكون عمر فيها خصماً للامويّين لا سنداً . والواقع ان اكثر المخزوميين كانوا خصوماً للامويّين . ولنذكر ان أخاه عبد الرحمن كان في وقعة الحرّة أحد الزعماء في الدفاع عن المدينة . وان الكثيرين من اقارب عمر واصحابه قد نكبوا وقتلوا في تلك الوقعة وان عبد الرحمن هذا نجا فمات بعدها . ولنذكر ايضاً ان عمر رثى موتى البقيع ، وقال شعراً آخر رجحنا انه في قتلى الحرّة يصف فيه ما عاينه من الهول الذي يشيب .

ونحن نعلم ايضاً كيف ان جيوش الشام سارت الى مكَّة تحارب الزبيريين في عقر دارهم ، وكيف حوصر عبدالله وضُيّق عليه الخناق ، حتى اذا اتى الخبر بوفاة يزيد وابنه بعده ، انفرجت الازمة وتنفّس الزبيريون وحلفاؤهم الصعداء . وهوذا القوم في الشام يختلفون في من يبايعون بعد موت يزيد ، وهوذا الضحاك بن قيس يعلن ولاءه لابن الزبير ، فيميل اليه جماعة من قيس ، ويمدّه النعمان بن بشير الانصاري من حمص بجماعة من رجاله ، ويأتيه زفر بن الحارث مع نفر من اعوانه ، وهوذا السيف يحكم في مرج راهط بين الامويين ومن والاهم من قبائل كلب وغيرها وبين الضحاك وجماعته ، وغلب الضحاك على امره ، وقتل ، وتشتت جماعته ، ولكن التاريخ لم يذكر انه كان بينهم نجدة من الحجاز ، بل لم يكن هناك متسع من الوقت لابن الزبير ان يرسل مدداً للضحاك . وهنا ذاعت الأخبار فبلغت الحجاز ، فتهيأ ابن الزبير للامر ، وكان مروان بالوقت نفسه قد سار الى مصر فاخضعها ، واستخلصها لنفسه من عاملها الذي كان يدعو الى ابن الزبير ، وعيَّن عليها اميراً من قبله ، ثم اقبل عائداً نحو دمشق ، حتى اذا دنا منها بلغه ان ابن الزبير قد بعث اخاه مصعباً نحو فلسطين ، فسرّح اليه مروان جيشاً يقوده عمرو بن سعيد بن العاص ، واستقبل عمرو مصعباً

وجماعته قبل ان يدخل الشام وقاتله فهزم اصحاب مصعب بعد عراك عنيف .[1] فاذا كان عمر قد سار حقًا الى حرب، وفي فلسطين ، فالغالب انه كان مع نسيبه مصعب ، وها هو في شعره يصف ما عاناه عند رجوعه مسرعاً متشوقاً الى الحبيب الذي دعا له ان يرجع سالماً مأجوراً . ولقد يبدو غريباً للبعض ان يكون عمر قد جدّ مثل هذا الجدّ في حياته ، ولكنّ الذي يتصفح ديوانه يرى فيه ما يغير هذا الاعتقاد . وهو القائل :

كُتب القتل والقتال علينا وعلى الغانيات جرّ الذيولِ

ولنذكر ان اخويه الحارث وعبد الرحمن اشتركا في المعارك والحروب في المدينة وفي العراق .

اما قصيدة عمر الثانية في وصف سفره الى الشام فهي بائية يذكر فيها محبوبة كناها بام زيد ، واشار الى ان خيالها المّ به وهو في عمّان فيقول :

ذكر القلب ذكرةً ام زيد والمطايا بالسهب سهب الركابِ
فاستجن الفؤاد شوقًا وهاج الشوق حزنًا لقلبك المطرابِ
وبذي الاثل من دوين تبوك ارقتنا وليلة الاحزابِ
وبعمّان طاف منها خيال قلت اهلاً بطيفها المنتابِ
هجرته وقربته لوعدٍ وتجنّ لهجرتي واجتنابي[2]

واما قصيدته الثالثة فدالية يذكر فيها وجده من حبّ فتاة من بني سعد في مكة وهو بعيد عنها في فلسطين :

يا صاحبيَّ تصدعت كبدي اشكو الغداة اليكما وجدي
من حب جاريةٍ كلفت بها حلّت بمكة في بني سعد
حلّت بمكة والنوى قذفٌ هيهات مكة من قرى لدّ
لا دارها داري فتسعفني هذا لعمرك من شقا جَدّي
والله لا انسى مقالتها حتى اضمّن ميتًا لحدي
ووداعها يوم الرحيل وقد زم المطي لبينهم تخدي
والعين واكفةٌ وقد خضلت مما تفيض عوارض الخدّ
اذهب فديتك غير مبتعد لا كان هذا آخر العهد[3]

---

١) الطبري ٢ : ٤٨١
٢) ابن ابي ربيعة (ع) ٤٩
٣) ابن ابي ربيعة (ش) ق ١٥٧

وظاهر من هذه الابيات انها تكاد تتفق بالمعنى مع ابيات القصيدة الاولى حيث يذكر وداع حبيبته له وبكاءها على فراقه ودعاءها الى الله ان يرجع سالماً وان لا تكون ساعة الوداع تلك آخر عهد بينه وبينها .

وفي الاغاني اشارة الى رحلة لا علاقة لها بما ذكرنا من الرحلات قام بها عمر الى ضواحي الشام وراء فاطمة بنت عبد الملك بن مروان ، ويقص راوي الخبر كيف تعرف عمر الى فاطمة بالحجاز ، فيروي رواية هي اقرب الى الخيال منها الى الحقيقة ، ثم يذكر كيف ان عمر تبعها بعد حجها لا يخالط موكبها حتى اذا صاروا على اميال من دمشق انصرف .[1] وقد سبق الجاحظ فذكر روايةً مثل هذه عن عمر واشار الى ان الفتاة هي رملة اخت عبد الملك بن مروان ، غير انه اشفق على عمر فلم يرجعه خائباً بل ذكر ان عبد الملك خرج للقاء اخته فابصر مضرب عمر فبعث وراءه وزوّجه اخته .[2]

الى اليمن

ومع ان اليمن هي موطن امّه كما رجحنا ، ومع ان اباه كان عاملًا في الجَنَد وكان لبيتهم علاقات تجارية مع اليمن واراضٍ فيها فاننا لم نرَ فيما بقي من اخباره ذكراً لرحلات كثيرة له الى تلك البلاد ، وكل ما في كتب الاخبار من هذا القبيل روايتان لم يكن الدافع الى السفر — فيما يظهر منهما — رغبة خاصة في نفس عمر ، بل كان هناك عامل خارجي ايضاً . فقد روى ابو الفرج ان الحارث ابن ابي ربيعة اخا عمر كان ينهى عمر عن قول الشعر فيأبى ان يقبل منه ، فاعطاه الف دينار على ان لا يقول شعراً ، فاخذ المال وخرج الى اخواله بلحج وابين مخافة ان يهيجه مقامه بمكة على قول الشعر .[3] ويروون انه طرب يوماً وهو في اليمن فقال قصيدته المشهورة :

هيهات من امة الوهاب منزلنا اذا حللنا بسيفِ البحر من عدنِ

قالوا : فسارت القصيدة حتى سمعها اخوه الحارث ، فقال : هذا والله شعر عمر قد فتك وغدر .[4]

---

١) الاصبهاني ١ : ٧٦—٧٨
٢) الجاحظ (م) ٢٤٣—٢٤٧
٣) " ١ : ٤٩
٤) الاصبهاني ١ : ٤٩

اما الرواية الثانية فتذكر ان عمر ابن ابي ربيعة كان قد الحَّ على الثريا بالهوى فشقّ ذلك على اهلها ، ثم ان مسعدة بن عمرو اخرج عمر الى اليمن في امر عرض له ، وزوّجت الثريا وهو غائب من رجل اسمه سهيل بن عبد الرحمن الزهري ، فبلغه تزويجها وخروجها الى مصر فقال :

ايها المنكح الثريا سهيلاً عمرك الله كيف يلتقيان
هي شاميّة اذا ما استقلت وسهيل اذا استقل يماني

وعاد الى المدينة ، ويقال انه كتب اليها من هناك وكتبت اليه .[1]

ويعلّق ابو الفرج على هذا الخبر بعبارة تظهر شكّه فيه ، قال : وهذا الخبر عندي مصنوع وشعره مضعّف يدل على ذلك . ولعلّ الذي حدا بأبي الفرج ان يشك في هذا الخبر هو جواب الثريا لعمر ، وقد وُضع شعراً . ولا نستطيع الآن قبوله وقد رفضه ابو الفرج ، انما لا نرى مانعاً من ان يكون القسم الاول من الرواية قد وقع حقّاً ، يعني خروج عمر الى اليمن في امر عرض لمسعدة بن عمرو المذكور .

وقد يجوز انه لما اخذ عمر المال من اخيه فكّر في تجارة يقوم بها فعزم على السفر الى اليمن حيث كان اخواله وحيث تجارة ابيه وعلاقاته ، فاتفق عزمه على السفر مع الغرض الذي كان يقصده مسعدة بن عمرو من اخراجه الى اليمن ، فسافر . ومهما يكن من الامر فالذي يظهر من شعره ان غرضه من السفر تجاريّ . قال في قصيدته :

ما انسَ لا انس يوم الخيف موقفها وموقفي وكلانا ثَمَّ ذو شجنِ
وقولها للثريا وهي باكيةٌ والدمع منها على الخدين ذو سنن
بالله قولي له في غير معتبةٍ ماذا اردت بطول المكث في يمن
ان كنت حاولت دنيا او رضيت بها فما اخذت بترك الحج من ثمن[2]

وفي شعر عمر اشارة الى مكثه باليمن مدة طويلة قضى معظمها او قسماً كبيراً منها على الاقل يعالج مرضاً يظهر من وصفه انه البرداء (الملاريا) وقد استمر هذا المرض يعاوده ثلاث سنين . قال :

ارقت ولم يُمسِ الذي اشتهي قربا وحمّلت من اسماء اذ نزحت نُصبا
لعمرك ما جاوزت غمدان طائفاً وقصر شعوب ان اكون بها صبّا

---

١) الاصبهاني ١ : ٩٣ ٢) الاصبهاني ١ : ٤٩ وابن ابي ربيعة (ش) ق ١٣٦

ولكنَّ حمَّى اضرعتني ثلاثةً مجرَّمة ثم استمرت بنا غبّا[1]

ولعله يشير الى مرضه هذا في شعره الذي يقول فيه :

سقى سدرتي اجياد فالدومة التي الى الدار صوب الساكب المتهلل
هنالك لو اني مرضت لعادني كرام ومن لا يأت منهنَّ يرسل[2]

ويصعب علينا ان نتصور ان علاقة بيت ابيه التجارية باليمن قد انقطعت بعد موته ، وكنّا ننتظر ان نسمع اخباراً عن حياة عمر التجارية واثرها في اليمن ، ولكن ليس في كل شعره ما يشير الى هذه الناحية سوى الابيات التي ذكرناها عند اشارتنا الى رحلته الى اليمن . ولسنا نعلم الزمن الذي قام فيه بكلٍّ من هذه الرحلات المختلفة في الحجاز او خارج الحجاز . ولعل رحلته الى اليمن كانت من اوليات رحلاته الى خارج الحجاز ، فقد ذكر في شعره فيها وقتذاك الثريا التي احبها وشبَّب بها في خلافة معاوية .[3]

وقل مثل هذا في رحلته الى البصرة لمعالجة ثنيتيه اللتين كادتا ان تقلعا حين ضربته الثريا . والغريب ان عمر لا يذكر في شعره في هذه الرحلات الطويلة ما ينفعنا جغرافيّاً او علميّاً ، ولا هو يشير الى وصف المواضع التي مرَّ بها او شاهدها ، ولا يذكر الا بعضها ، ولا هو يلتفت الى وصف البراري التي اجتازها او وصف ما يمكن ان يكون قد رآه فيها او تخيَّله ، وقلما كان يعنى في ذكر ما كان يحدث له ، الا اذا كان خاطر شوق الى محبوبته ، وكان اذا ذكر تعبه او اشار الى هذه الرحلة في جسمه فذاك لكي يظهر بُعد المكان عن الحبيب وينتقل الى مبتغاه وقصده — الحب والحبيب —

يا صاحبيَّ تصدعت كبدي اشكو الغداة اليكما وجدي
من حب جارية كلفت بها حلَّت بمكّة في بني سعدِ
حلَّت بمكّة والنوى قذفٌ هيهات مكّة من قرى لدِ[4]

وقال :

وتنوفة ارمي بنفسي عرضها شوقاً اليك بلا هداية هادي[5]

اما شعره في تنقلاته بارض الحجاز وفي ضواحي مدنها فانه لم يهمل فيه ذكر كثير من المواضع ووصفها ، ولكنه وصف مختصر لا يروي غليلاً .

---

١) ابن ابي ربيعة (ع) ٧٩
٢) ابن ابي ربيعة (ع) ٤٥٥ و (ش) ق ٣٣٥
٣) الاصبهاني ١ : ٨٥
٤) " " ١٥١
٥) ابن ابي ربيعة (ع) ١٧١

عمر والخلفاء

قال سليمان بن عبد الملك لعمر :
ما يمنعك من مدحنا ؟ قال :
اني لا امدح الرجال انما امدح النساء .

لقد مرّ معنا في الجزء الاول من هذا الكتاب ما كان من عناية خلفاء بني اميّة بامر الشعر ، وحبهم له ، ونشأة بعضهم على قرضه ، وعطف اكثرهم على اصحابه ، ورعايتهم لهم ، واحسانهم اليهم بالعطاء والهدايا ، وتألفهم اياهم بحيث يستميلونهم للدفاع عن سياستهم ، والتفاتهم اليهم والى ما كانوا يقولون حتى زعم الرواة ان عبد الملك كان يقول : انه ما من شاعر الاّ وقد سبق الينا من شعره قبل رؤيته .[1] فكان من الطبيعي ، والحالة هذه ، ان يكون لصاحبنا نصيبٌ من هذا الالتفات ، غير ان هناك امراً يجب الانتباه اليه ، ذلك ان عمر لم يكن كغيره من الشعراء مستجدياً او راغباً في عطاء بل كان ابن ثروة وشرف جعلاه في غنى عن مدح الملوك واستجداء اكفّهم للنوال . ثمّ لقد انقطع عمر او كاد الى شيء خاص — الى مدح النساء — بحيث قصر اكثر شعره عليهن ولم يشأ ان يتعداه الى غيرهنّ ، والرواة يزعمون ان سليمان بن عبد الملك قال لعمر : ما يمنعك من مدحنا ؟ قال : اني لا امدح الرجال انما امدح النساء .[2] اضف الى هـذا ان عمر كان يميل الى آل الزبير حيث كان هوى اكثر رجال عشيرته بني مخزوم . وكان ابناء عبدالله ابن ابي ربيعة بنوع خاص اقرب المقربين الى آل الزبير ، وكان الحارث اخو عمر كما بيّنّا من قبل عاملًا للزبيريين على العراق ، واتصلت اواصر القرابة بين هذين البيتين فكان عبـد الرحمن أخوه الأخر عديلًا للزبير نفسه ، اي زوجاً لخالة عبدالله بن الزبير (ام كلثوم) ، واشتدت هذه الاواصر وثوقاً حين زوّج عمر ابنته « امة الحميد » من محمد بن مصعب بن الزبير .[3] فكان على عمر بحكم هذه القرابة ان يظلّ بعيداً عن الاتصال بالخلفاء او الامراء من بني اميّة .

---

١) ابن قتيبة (ش) ٤٦٠ ٢) الاصبهاني ١ : ٢٥
٣) الاصبهاني ١ : ٦٨ وانظر الاصبهاني « د » ١ : ٦٥

ونستعرض كتب الادب والتاريخ فنجد اخباراً كثيرة عن وفود عمر على الخلفاء والتفات بعضهم اليه وانصراف البعض الآخر عنه . بل هناك من نسب اليه علاقات قربى مع نفرٍ منهم لا نستطيع تصديقها الآن . ونرى ان اكثر اخباره مع الخلفاء ملفّقة ومن اليسير اظهار بطلانها . فمن هذه الروايات ان مروانا زوّج من احدى بنات عمر ،[1] وليس هناك سوى نصٍّ واحد يشير الى هذا ، وليس من الامر الذي يسهل قبوله ان يكون عمر قد زوّج بنتاً لابن مصعب بن الزبير وأخرى الى خصم آل الزبير (مروان بن الحَكَم) ولنذكر ان مروانا كان شيخاً حين كان عمر في اواخر شبابه وقد مات مروان قبل ان يكون لعمر بنت فوق العشرين من عمرها .

ولقد زعم راوي الخبر ان بنت عمر هذه ولدت لمروان ام عمرو ، وقد كانت ام عمرو هذه كما نعلم من اخبار عمر وشعره احدى صاحباته ، وعلى هذا يكون عمر قد احبّ حفيدته ، وهذا منتهى السخف والخلط عند الرواة . والظاهر ان كنية عمر في هذا النص محرّفة عن كنية أخرى لرجل آخر .[2]

ومن هذه الروايات ان عمر زوّج من رملة اخت عبد الملك ، ولقد تفرّد الجاحظ بذكر هذا الخبر ، وسنعرض له عند بحثنا عن ازواج عمر . وهناك اخبار تشير الى وفوده على عبد الملك وعلى سليمان بن عبد الملك وعلى عمر بن عبد العزيز وهم خلفاء ، وليس من شك ان اكثرها مختلق ، الاّ اذا فرضنا ان التقاءه ببعض هؤلاء كان قبل ان يستخلفوا .

ونستعرض اخبار عمر مع الخلفاء فلا نرى انه وفد او اجتمع الى معاوية ، ولا الى يزيد ابنه ، غير ان الأخير فيما يزعمون تمثّل مرةً بشعر لعمر . قالوا : استعرض جيشه الذي سيّره الى المدينة بقيادة مسلم بن عقبة فرأى احدهم يحمل ترساً خرقاً ، فقال له : يا اخا اهل الشام ، مجنّ ابن ابي ربيعة خير من مجنّك . يشير الى قول عمر في رائيته المشهورة :

فكان مجنّي دون من كنت اتقي ثلاث شخوص كاعبان ومعصرُ[3]

ومن الغريب الاّ يكون هناك خبرُ اتصالٍ او شبهه بين عمر ويزيد في كتب المؤرخين والادباء . وقد كان عمر قبل وفاة يزيد قد احرز شهرته كشاعر غزليّ ، وكان يزيد مغرماً بالشعر والغناء ، ولم يكن بينهما اختلاف بيّن في السن ، فقد ولد يزيد قبل مولد عمر بنحو

١) الاصبهاني ٦ : ١١٣ ٢) يذكر البلاذري (ا) ٥ : ١٦٤ ان مروانا تزوج من زينب بنت عمر ابن ابي سلمة المخزومي ٣) المبرّد ١ : ٢٨٥ وابن عبد ربه ٣ : ١٧٧

سنتين فقط ، وزار الحجاز مرة او مرتين حول سنة ٥١ للهجرة وهو في حدود الثلاثين حاجًا بالناس .[1] ولم يكن بعد قد ظهر الخلاف او اشتدّ بين آل الزبير وبني امية . نقول من الغريب ان لا يتصل عمر بيزيد وهما على مشرب واحد ، وفي سنّ واحدة ، وقد هيأت لهم ظروف الحج ان يجتمعا ، وكان كلاهما صديقاً لعبدالله بن جعفر . ومن يدري فلعلّ هناك اموراً خاصة منعت مثل هذا اللقاء ، او لعلّ هذه الاخبار التي تروى عن عمر ويزيد ابن عبد الملك قد وقعت لعمر مع يزيد بن معاوية وليس مع يزيد بن عبد الملك إذ ان هناك ادلّة تنفي وقوعها مع الخليفة يزيد بن عبد الملك كما سيجيء بعد حين .

واما خلافة معاوية بن يزيد فقد كانت قصيرة ، ولم نسمع خبراً عن علاقة بينه وبين عمر ، وكذلك لا نرى اشارة الى اتصال عمر بمروان . ولعلّ هذا يؤيد ما ذهبنا اليه من انكار خبر المصاهرة بينهما .

واما عبد الملك بن مروان وابنه الوليد فهما في عرف الرواة اكثر الخلفاء اتصالاً بعمر . ويجب ان نلاحظ هنا ان هذه الصلة لم تعرف الاّ بعد زوال الفتن بين آل الزبير وآل مروان ، وبعد ان استطاع عبد الملك ان يقهر خصومه ، ويغلبهم على ملكهم في العراق والحجاز ، ويقتل زعيمي المعارضة مصعباً واخاه عبد الله .

ولقد حاول عبد الملك ان يتألف قلوب الحجازيين حتى اشياع آل الزبير ، والرواة يذكرون لنا انه صفح عن اكثرهم ، واستطاع ان يفوز بمدح بعض الشعراء منهم . فقد كان عبيد الله بن قيس الرقيّات شاعرُ مُصعب طريدَ عبد الملك فلاذ بعبد الله بن جعفر مستشفعاً به ، واستطاع عبد الله ان ينال له العفو من عبد الملك . فقال عبيد الله بن قيس :

ما نقموا من بني اميّة الاّ م انهم يحلمون ان غضبوا
وانهم معدن الملوك فلا تصلح الا عليهم العربُ [2]

والرواة يذكرون لنا ان عبد الملك ادنى الحارث ابن ابي ربيعة اليه بعد ان تغلّب على ابن الزبير ، واظهر اعجابه به .[3] ولما حجّ عام ٧٤ للهجرة كان معه الحارث وتحادثا في امر الكعبة وهدم ابن الزبير لها واصلاحها ونقض الحجّاج لما فعله ابن الزبير ، فلام الحارث الحجّاج ، وصوّب ما فعله ابن الزبير ، واستشهد بحديث سمعه عن عائشة . قالوا : فاقتنع

---

١) الطبري ٢ : ١٥٦ ٢) ابن قتيبة (ش) ٢٤٤
٣) ابن عبد ربه ١ : ٢٤

عبد الملك وقال : وددت والله اني تركت ابن الزبير وما تحمّل من ذلك .[1] هذا وقد كان عبيد الله بن قيس والحارث من انصار آل الزبير وممن ساهموا في الدفاع عن سلطتهم والتعرض لخصومهم ، فكيف باولئك الذين لم تعرف عنهم خصومة للبيت الاموي بمثل هذه الشدّة . واذاً فليس غريباً ان يكون عمر قد التقى بعبد الملك او وفد عليه حين كان الخليفة يزور الحجاز في موسم الحجّ .

ولقد روى ابو الفرج الاصبهاني ان عمر وفد على عبد الملك ،[2] فأُدخل عليه ، فسأله عن نسبه ، فانتسب له ، فقال عبد الملك :

لا انعم الله بعين عينا تحيّة السخط اذا التقينا

أأنت لا ام لك القائل :

نظرت اليها بالمحصب من منى ولي نظر لولا التحرج عازم
فقلت أشمس ام مصابيح بيعةٍ بدت لك خلف السجف ام انت حالم
بعيدة مهوى القرط إمّا لنوفل ابوهـا وامّا عبد شمس وهاشم
ورد عليها السجف حين لقيتهـا على عجل تباعها والخوادم

قاتلك الله ما الأمك ! اما كانت لـك في بنات العرب مندوحة عن بنات عمّك ؟ فقال عمر : بئست والله هذه التحية يا امير المؤمنين لابن العم على شحط الدار وتنائي المزار . ثم ينتهي الحديث في ان يعد عمرُ عبد الملك انه يتوب ويرتدع ، فيقبل عبد الملك توبته ، ثم يسأله ان يقص عليه خبر منازعته الفضلَ اللهبي في المسجد الجامع ، وخـذلانه امامه ، فيقصها عمر ، ويضحك عبد الملك ويرضى ويسأل عمر ان يرفع حوائجه ، فيرفعها ، ويقضيها عبد الملك ويحسن جائزته .[3] وهناك مجال كبير للشك في هذه الرواية ، لا سيا القسم الاخير منها وسنعرض لذلك في غير هذا الموضع . وقد اورد المرزباني خبر هذه الوفادة دون ان يذكر قصة المنازعة ، وزاد عليها في ان عمر لقي عبد الملك بالمـدينة لمّا حج ، وأشار الى ان عبد الملك استحيا من عتاب عمر وقضى حوائجه .[4] وكذلك ذكر ابن قتيبة ان هذا اللقاء وقع عام حجّ عبد الملك ، ولم يشر الى ان عبد الملك وصل عمر بمالٍ .[5] امّا الحصري فقد

---

١) النهروالي ٣ : ٨٤
٢) لم يُشر ابو الفرج الى سنة الوفادة او الى موضعها
٣) الاصبهاني ١٥ : ٧–٩
٤) المرزباني ٢٠٣
٥) ابن قتيبة (ش) ٢٥١

روى ان عمر أجاب عبد الملك حين روى له عبد الملك شعره بقوله : ان بعد هذا يا امير المؤمنين :

طلبن الهوى حتى اذا ما وجدنه صدرن وهنّ المسلمات الكرائم

فاستحيا منه عبد الملك وقضى حوائجه ووصله .[١]

وأشار ابو الفرج الى لقاء آخر جرى بين عبد الملك وعمر قال فيه عبد الملك لعمر : أأنت القائل :

أأترك ليلى ليس بيني وبينها سوى ليلة ، اني اذاً لصبور ؟

قال : نعم ! قال : فبئس المحب انت ! تركتها وبينك وبينها غدوة . قال : يا امير المؤمنين انها من غدوات سليمان ، غدوّها شهر ، ورواحها شهر .[٢] فضحك عبد الملك .

ويروي ابو علي القالي ان عمر وكثيّراً وجميلًا اجتمعوا بباب عبد الملك ، فاذن لهم ، فدخلوا ، فاستنشدهم ارقّ ما قالوا في الغواني ، فانشد كل واحد ثلاثة ابيات . وكان آخرهم انشاداً عمر ، فقال في آخر بيت من ابياته :

الا ليت ام الفضل كانت قرينتي هنا او هنا في جنّةٍ او جهنّم

فقال عبد الملك لحاجبه : اعطِ كل واحد منهم الفين ، واعطِ صاحب جهنم عشرة آلاف .[٣] ولسنا نطمئن الى هذه الرواية كثيراً لما يبدو عليها من مسحة الصنعة والتكلف .

وهناك رواية رواها الجاحظ سرد فيها ان عمر خرج وراء رملة اخت عبد الملك حين رجوعها من الحج حتى صار قريباً من الشام . وهنا يخرج عبد الملك ليلاقي اخته ، فيرى عمرَ ، ويعرض عليه ان يزوجه من رملة ، فيبتهج عمرُ ، ويجمع عبد الملك بين الاثنين ، وتصبح رملة زوجاً لعمر ، فيقول :

لعمري لقد نلت الذي كنت ارتجي واصبحت لا اخشى الذي كنت احذرُ
فليس كمثلي اليوم كسرى وهرمزٌ ولا الملك النعمان مثلي وقيصرُ[٤]

والرواية هذه في نظرنا اقرب الى روايات الف ليلة وليلة منها الى الحقيقة . والروح

---

١) الحصري ١ : ١٣٠
٢) الاصبهاني ١٨ : ١٣٣
٣) القالي ٣ : ٦٨—٦٩
٤) الجاحظ (م) ٣٤٣—٣٤٧

المسيطرة فيها هي روح الدعابة والمجون التي عرفت في كتب اخبار العصر العباسي . وراويها الكلبيّ وهو غير ثقة عند النقّاد المحققين . وسنعرض لهذه القصة في موضع آخر .

ولعلّ هذا كل ما بين ايدينا من اخبار عمر مع عبد الملك ، وهو كما يتبين امرٌ يسير قد يردّ — بعد حذف ما لم نقبله — الى اجتماعين لعلهما وقعا عام ٧٤ او ٧٥ للهجرة وهو العام الذي ذكروا فيه حجةً لعبد الملك .[١]

اما اخبار اتصال عمر بالوليد بن عبد الملك فهي اكثر وضوحاً . فهناك لقاآن وكلاهما في الحجاز ايام الحج . اما اللقاء الاول فالرواية فيه تذهب الى ان الوليد سأل عن خبير بامور الطائف فدُلّ على عمر ، فرفضه ، ثم سأل ثانيةً وثالثةً فلم يذكروا له غير عمر ، فارسل وراءه واستصحبه معه من مكة الى الطائف ، ورجعا معاً .[٢] ويذهب بعض الرواة انه استأذن الوليد بعد ذلك في استحضار الغريض مغنّيه ، وان هذا غنّى الخليفة شيئاً من شعر عمر ، فسرّ الوليد وقال : يا عمر هذه رقيتك ! ووصله وكساه وقضى حوائجه .[٣] ولعلّ هذا اللقاء وقع سنة ٧٨ للهجرة وهي السنة التي ذكر الطبري فيها حجّةً للوليد .[٤]

واما اللقاء الثاني فخبره ان عمر حج وهو شيخ ، فلما انصرف الفى الوليد وقد فُرش له على ظهر الكعبة ، فجاءه وسلم عليه وجلس معه ، فقال له : انشدني شيئاً من شعرك . فاعتذر عمر وقال : انا صرت شيخاً كبيراً ، وقد تركت الشعر ، ولي غلامان هما عندي بمنزلة الولد ويحفظان كل ما قلته من الاشعار ، واني اهديهما لك . فقال الوليد : ائتني بهما ! فأُتي بهما ، وانشداه رائية عمر وغيرها ، فاجزل الوليد صلة عمر وردّ الغلامين اليه .[٥] ولا نسمع بعد هذا سوى خبر وفود الثريّا على الوليد في دمشق وسؤاله اياه عن شعرٍ لعمر وترحيمها عليه .[٦]

وحجّ سليمان بن عبد الملك ، فلما قدم مكة ارسل فيما يزعمون وراء عمر ابن ابي ربيعة فقال له : ألست القائل :

وكم من قتيلٍ لا يباء به دم ... ومن غلقٍ رهناً اذا ضمّه مِنى
وكم مالئٍ عينيه من شيء غيره ... اذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى
فلم أرَ كالتجمير منظر ناظر ... ولا كليالي الحج افلتن ذا هوى

---

١) الطبري ٢ : ٨٥٦ و ٨٨١ والاصبهاني ٤ : ٥٣ والنهروالي ٣ : ٨٤
٢) الاصبهاني ١ : ٥٠
٣) الاصبهاني ٢ : ١٤٥—١٤٦
٤) الطبري ٢ : ١٠٣٥
٥) " ١ : ٥٣
٦) الاصبهاني ١ : ٩٣

قال : نعم ! قال : لا جرم والله لا تحجّ مع الناس العام . واخرجه الى الطائف حتى قضى الناس حجهم .[١] ويلوح لنا ان هذه الحادثة اذا كانت قد وقعت حقًا فقد وقعت وسليمان امير ، اي قبل استخلافه . ولعلّ سليمان انتقم لنفسه من عمر بعد لقائه الاول الذي عاتبه فيه لانه لم يمدحه فقال عمر : انما انا امدح النساء لا الرجال .[٢]

والراجح عندنا ان اتصال عمر بالخلفاء قد انقطع بعد اواخر خلافة الوليد ، ولكنّ الرواة قد اشفقوا الاّ تكون هناك صلة بين عمر وسميّه عمر بن عبد العزيز فأحبّ بعضهم ان يتوب عمر الفاسق على يدي عمر الصالح ، كما ولد عمر الفاسق يوم مات عمر الصالح فزعموا فيما يروي الاصبهاني ان عمر بن عبد العزيز لما تولّى الخلافة لم تكن له همّة الاّ عمر ابن ابي ربيعة والاحوص ، فكتب الى عامله بالمدينة يذكر له خبثهما وشرّهما ، ويسأله ان يحملهما اليه ، فلما صارا اليه اقبل الى عمر فقال له : هيه !

فلم ار كالتحسير منظر ناظر ولا كليالي الحج افلتن ذا هوى
وكم مالئ عينيه من شيء غيره اذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى

فاذا لم يفلت الناس منك في هذه الايام فمتى يفلتون ؟ اما والله لو اهتممت بامر حجّك لم تنظر الى شيء غيرك ! وامر بنفيه . فاعتذر عمر عن نفسه ، والتمس من الخليفة خيراً من ذلك ، وعاهده فيما يزعمون الاّ يعود الى مثل هذا القول ولا يذكر النساء في شعرٍ ابداً ويجدّد التوبة على يديه ، فقبل ذلك منه وخلّاه ، بينما نفى الاحوص الى دهلك ولم يقبل شفاعةً فيه .[٣]

اما ابن قتيبة فكأنه لم يقنع بمثل هذه التوبة بل اراد ان يعاقب عمر على يدي هذا الامام الصالح ، فزعم انه نفاه الى دهلك مع الاحوص ، وهناك تطوّرت حياته فاذا بخاتمتها خير خاتمة ، واذا بعمر يغزو في البحر مجاهداً ، فتحترق السفينة فيه ويموت ويختم له بالشهادة . ويعود ابن قتيبة فيتورط مرةً أخرى ويزعم ان عبد الله بن عمر قال : فاز عمر ابن ابي ربيعة بالدنيا والآخرة .[٤] ونحن نعلم من ابن قتيبة نفسه ومن غيره ان عبد الله بن عمر قد فارق الدنيا في خلافة عبد الملك بن مروان . اي قبل خلافة عمر بن عبد العزيز بنحو عشرين سنة .[٥]

١) الاصبهاني ٨ : ٥٨ والمرزباني ٣٠٢
٢) الاصبهاني ١ : ٣٥
٣) " ٨ : ٥٦
٤) ابن قتيبة (ش) ٢٤٩
٥) ابن قتيبة (م) ٩٣ والازرقي ١ : ٤٣٣

ولم يكتف الرواة بهذه المقابلة بل ذكروا ان عمر وفد على عمر بن عبد العزيز هو وجماعة من الشعراء ، وزعموا ان الخليفة أبى ان يقابل احداً منهم غير جرير .[1]

بقي من الخلفاء الـذين زعم الرواة ان لعمر خبراً معهم يزيد بن عبد الملك ويظهر ان هذا النفر من الرواة اشفقوا ايضاً الاّ يكون هناك اتصال بين هذا الخليفة الماجن وبين عمر الفاسق فجمعوا بينهما ، وزعموا ان يزيد حجّ بالناس سنةً ، وكان عمر وابن سريج قد خرجا الى الحجّ ، فجعلا يعترضان الحجّاج ويتعرضان للنساء حتى اظلم الليل فعرّجا الى كثيب عالٍ واخذا يشرفان على المواكب المارة ، وانهما لكذلك والقمر يطلع فيضيء بسناه طريق قوافل الحجاج وابن سريج يغني عمر بشعره :

نظرت اليها بالمحصب من منى ولي نظرة لولا التحرج عازم

اذا برجل على فرس كريم يطلع عليهما من أسفل الكثيب ، فيسلّم من بعيد ، ثم يقف ويسأل ابن سريج ان يعيد الغناء ، فيعيده ، فيطرب ويعلمها انه عرفهما وانهما ابن سريج وعمر .[2] ولهذه القصة حواشٍ فضفاضة وذيول طويلة ليس هنا موضع سردها ، ولكنها تؤيد ما سنذهب اليه من انه لا يمكن ان يكون هذا الاجتماع قد وقع حقّاً بين يزيد ابن عبد الملك وعمر ، فقد كان يزيد ابن اربع وعشرين سنة حين استخلف ، وكان عمر فيما سنرى قد مات قبل ذاك بثماني سنوات . ولو فرضنا ان هـذه المقابلة وقعت قبل استخلاف يزيد ، فيجب ان يكون يزيد في السادسة عشرة او دونها ، وعمر شيخ عجوز ، وليس بوسعنا ان نتصور مثل هذا اللقاء — بين شيخ تقدمت به السنّ كعمر وبين غلام طرير كيزيد — يجري في مثل هذا السبيل الذي رواه الرواة .

وليلاحظ في كل اخبار عمر مع الامراء او الخلفاء من بني اميّة ان الصلة بينه وبينهم لم تكن وثيقة ، وان اكثرهم كان ناقماً عليه لا يقابله الا بشيء من الجفاء او البرودة ، وان عمر نفسه لم يقصدهم وهم في الشام ، بل كان اجتماعه بهم على الغالب في ارض الحجاز . ولعلّ مصدر هذا الجفاء منهم ، او الاحجام من ناحية عمر ، يرجع الى ميل عمر السياسي والى انه كان يتعرّض لبعض النساء الامويّات بشعره . ومن الممتع ان نلاحظ ايضاً ان ابياته التي رويناها سابقاً والتي فيها :

---

١) ابن عبد ربه ١ : ١٥٤—١٥٦ والابشيهي ١ : ٧٨ والسيوطي (ش) ٧١

٢) الاصبهاني ١ : ١٠٠—١٠١

فلم أرَ كالتجمير منظر ناظر ولا كليالي الحج افلتن ذا هوى

كانت السبب الظاهر لنقمة هؤلاء الامراء عليه ، وقد قالها عمر في احدى الاميرات الامويّات من بنات مروان بن الحكم .[1]

عمر والاشراف من معاصريه

ونريد قبل ان نفرغ من هذا الفصل ان نذكر ان عمر قد اتصل بالكثيرين من الامراء والاشراف في ذلك العصر من غير الامويين . ولعلّ القارئ قد لاحظ اواصر القربى التي جمعت بين عمر وآل الزبير وبنوع خاص مُصعب . وقد كان محمد بن مُصعب كما اسلفنا صهر عمر ، وكان عمر يتردد الى بيته ، وله وقائع واخبار عند بنته روتها مولاةٌ لصهره المذكور . وكذلك اتصل عمر باشهر الصحابة والتابعين من معاصريه ، وكان بعضهم يستنشده الشعر في المسجد كما مر معنا ، ويدافع عنه منافسيه . ولعلّ الامام عبدالله بن عباس والامام سعيد بن المسيّب كانا اشدّ الائمة حبًّا له ودفاعاً عنه . وكانت له دالّة على كليهما . وانشد عمر مرةً الامير طلحة بن عبدالله بن عوف رائيته ، وكان طلحة راكباً ناقته ، فوقف وظلّ شانقاً الناقة حتى كُتبت القصيدة له .[2] وكان عمر صديقاً لمحمد بن الحجاج بن يوسف ، ولعل عمر تعرّف الى ابن هذا الامير بعد زوال سلطة آل الزبير . وقد زار عمر العراق مرةً ونزل عند محمد ضيفاً . وكان عمر فوق هذا كله مهيباً معظماً حتى زعم الحارث بن خالد المخزومي ان عمر لم يكن يقدم عليه سلطان ولا غيره . وان هذه المكانة التي احرزها عمر ، وهذه الصداقة التي كانت بينه وبين هؤلاء الامراء والائمة ، وشرف العائلة التي تحدر منها ، والغنى الذي كان فيه ، وفنه الشعري ، كل هذه الامور ساعدت على ان يسلم عمر من شر الولاة واذى المتحرجين .

---

١) المبرّد ١ : ٢٧٠ والعيني ٣ : ٥٢١

٢) الاصبهاني ١ : ٢٨

عمر وازواجه واولاده

ولقد كان لعمر ازواج لم تشر المصادر التي بين ايدينا الى شيء مفصل عن حياته معهن ومعاملته لهن ، ولهذا فلسنا نعلم الآن مَن منهنّ كانت اولى نسائه ، ومتى كان زواجه منها ، او مَن منهنّ كانت احظاهن في عينه ، ولماذا ، حتى شعره الذي تحدّر الينا فانه قد خلا من تبيان شيء هام في هذا السبيل ، وليس فيه سوى قصيدة واحدة يشير فيها الى زواجه من احداهن دون ان يذكر مَن هي ، ولعله لم يكن ليذكر امر هذا الزواج لولا وقع خبره على احدى صاحباته وغيظها منه وجزعها امام اترابها فيما زعم . قال :

خبّروها بانني قد تزوّجت م فظلّت تكاتم الغيظ سرّا
ثم قالت لأختها ولأخرى جزعاً ليته تزوّج عشرا
واشارت الى نساء لديها لا ترى دونهن للسر سترا
ما لقلبي كأنه ليس مني وعظامي إخال فيهن فترا
من حديث نمى اليّ فظيع خلت في القلب من تلظّيه جمرا [1]

وهناك قصيدة اخرى فيها اشارة الى معاتبة زوجته له وتجنّيها عليه الذنوب . ويظهر من الابيات التي وردت فيها ان عمر قد ودّع الشباب آسفاً لانه لم يقضِ منه وطراً ، فهو يتمنى رجوعه ويتحسر على ايامه :

ليت الشباب بنا حلّت رواحله واصبح الشيب عنّا اليوم منتقلاً
اودى الشباب وامسى الموت يخلفه لا مرحباً بمحلّ الشيب اذ نزلا
ما بال عرسي قد طالت مطالبتي امست تجنّى عليّ الذنب والعللا [2]

وجلّ ما نستطيع استقاءه من ديوانه ومن المصادر القديمة المختلفة ان عمر تزوّج من بضع نساء فكان له من بعضهن ابناء خلفوه .

كلثم بنت سعد المخزومية

وكانت كلثم بنت سعد المخزومية احدى هاته النساء . وكان له معها قبل زواجها وقائع

---

١) ابن ابي ربيعة (ع) ٣٠٩

٢) ابن ابي ربيعة (ع) ٤٢٩

طريفة سناتي على ذكرها حين نبحث حبّه . ولقد ولدت كلثم منه ابنين وماتت عنده [١]

ومن الغريب ان ديوان عمر لا يحفظ لنا شيئاً عن حياة عمر معها بعد زواجهما ، بل ليس هناك إشارة فيه الى موتها عنده . وكل ما فيه اشعار تدور على حبه لها قبل ان تصبح زوجاً له . والرواة يذكرون انها كانت متمنعة تأبى ان تلين فكانت تطرد رُسَله اليها حتى احتال عليها بطريقةٍ جذّابة اغواها فيها ، فرضيت ان تقبله في مجلسها ، فزارها ، ولم يخرج من لديها الا وقد عقد زواجه معها .[٢] غير انه يظهر من شعره في كلثم انها كانت تكاتبه وتحبّه .[٣]

جُوان واخوه

ولكلثم من عمر ولدان احدهما اسمه جوان والثاني لا نعرف عنه شيئاً . اما جُوان فقد نشأ نشأةً صالحة ، وعرف بحسن السيرة .[٤] ولقد عيّنه احد ولاة مكة عاملًا له على تبالة فحمل على خثعم في صدقات اموالهم حملًا شديداً ولم يتساهل في شيء من ذلك ، فجعلت خثعم سنة حكمه عليهم تاريخاً ، وقال شاعرهم :

ولو شهدتني في ليالٍ مضين لي لعامين مرًّا قبل عام جوانِ [٥]

وكان جُوان صادقاً في قوله ، عادلاً في شهادته حتى ضرب فيه المثل . واستغل هذا الامر « العرجي » احد شعراء الحب فذكره في شعره على انه شاهد حبّه ، فقال :

شهيدي جُوان على حبها اليس بعَدْلٍ عليها جُوان

قالوا : فجاء جُوان الى هذا الشاعر وعاتبه . فقال له : يا هذا ما لي وما لك تشهدني في شعرك ؟ متى اشهدتني على صاحبتك هذه ؟ ومتى كنت انا اشهد في مثل هذا ؟ [٦]

وزعموا ان جُواناً هذا شهد بشهادة عند زياد بن عبدالله الحارثي امير الحجاز فتمثل هذا بشعر العرجي وأجاز شهادة جوان .[٧]

---

١) الاصبهاني ١ : ٨٣—٨٣
٢) الاصبهاني ١ : ٨٣—٨٣
٣) ابن ابي ربيعة (ع) ٤٧٦—٤٧٧
٤) " ١ : ٣٣
٥) الاصبهاني ١ : ٣٤
٦) " ١ : ٣٣
٧) " ١ : ٣٣

وقد أعقب جوان وعُرف عن ابنه انه كان يغنّي .[١] ولعل هذا خير موضع نصحح فيه خطأ ابن قتيبة حين يزعم ان الحارث ابن ابي ربيعة قد أعقَب وان عمر لم يكن له عَقِب .[٢]

فتاة جمحية ؟

وهناك امرأة اخرى زعم الرواة ان عمر تزوج منها ، وقالوا انها جمحية ولم يذكروا اسمها ، وأشاروا الى ان عمر رآها في الحج فاحبها وقال فيه نونيته المشهورة التي مطلعها :

اصبح القلب في الحبال رهينا مقصداً يوم فارق الظاعنينا

ولم يزل بها حتى تزوجها وولدت له .[٣] غير ان هنـاك مجالاً للشك في صحة هذه الرواية لأنَّ فريقاً آخر من الرواة زعم ان هذا الشعر قـاله عمر في رملة بنت عبدالله بن خلف الخزاعية . قالوا فبلغت الابيات كُثَيِّراً الشاعر، فغضب لذلك وساءه ان يذكر ابن ابي ربيعة فتاةً من عشيرته ، ونظم شعراً يذكر به نِسوةً من قريش حاجّات ، ثم ساقهن في شعره حتى بلغ بهن الى ملل ، ثم اشفق فجاز ولم يزد على ذلك .[٤]

رملة اخت عبد الملك بن مروان ؟

وهناك رواية تشير الى ان عمر قد زوّج من رملة اخت الخليفة عبد الملك بن مروان ، والخبر فيها مسندٌ الى عمر نفسه ،[٥] ولكن الاختراع بيّن في هذه القصة والصناعة ظاهرة . وسنعرض لها بالتفصيل في دراستنا لحبّه .

عمر يخطب عراقية فتعتذر

ورأى عمر عراقيَّة في الحج ، ثم حادثها فأحبَّها وأحبَّته ، فخطبها ، فوعدته ان تتزوجه اذا جاءها الى بلدها وخطبها الى اهلها ، فسار عمر وراءها الى العراق ، ثم راسلها يتنجَّزها وعدها ، فاعتذرت .[٦]

---

١) الاصبهاني ٤ : ٨٣
٢) ابن قتيبة (ش) ٣٤٩
٣) " ١ : ٨٨
٤) الاصبهاني ١ : ٨٦—٨٨
٥) الجاحظ (م) ٣٤٣—٣٤٧
٦) الاصبهاني ١ : ٧١

هل انتقم عمر لنفسه ؟

ولعلّ الدرس الذي القته عليه صاحبتنا كان قاسياً ، فانه عَلِق عراقيّة اخرى اسمها فاطمة بنت محمد بن الاشعث وكانت تحجّ فراسلها وقابلها وانشدها شعره فاستخفها فاحبته وزارته في بيته خطبها فاشترطت مثل ما اشترطت تلك . ولسنا نعلم ما الذي تمّ بعد ذلك .[١]

بنته أمة الواحد

وكان لعمر بنت اشرنا الى شيء من اخبارها في الفصول السابقة اسمها أمة الواحد . ولعلها هي التي زوّجت من محمد بن مصعب بن الزبير . وكان عمر يزورها بعد زواجها ويقضي في بيتها بعض اوقات لهوه . وله مقطوعة قالها في مغنيتين وهو عند ابنته هذه .[٢]

حياة زوجية هادئة

ويظهر ان حياة عمر الزوجية كانت هادئة هنيئة فليس هناك اشارة الى اختلاف بينه وبين احدى ازواجه او بينه وبين احد اولاده ، فقد كان يحبهم وله مقطوعة ذكرناها سابقاً يشير فيها الى بُعده عنهم مرّةً وحزنه وألمه لذلك . وكان له عبدان يحبهما ويقول : هما عندي بمنزلة اولادي .[٣] وقد تمنّت احدى محبوباته ، فيما زعم عمر نفسه ، ان تكون زوجاً له ، قال :

ليتني مُتّ يوم الثم فاها ... اذ خشينا في منظرٍ أهوالا
اذ تمنيتِ انني لك بعلٌ ... قلت بل ليتني بخدّك خالا[٤]

ولعلّ هذه المحبوبة هي الثريّا فقد كانت تريد ان تستأثر بقلبه وحبّه فسارت الاقدار على غير ما يشتهيان ، وتزوج من اخرى — لعلها كاثم — فغضبت الثريّا حين بلغها الامر وحزنت ثم تزوجت من آخر وارتحلت الى مصر .[٥]

---

١) الاصبهاني ١ : ٤٠—٤٣
٢) الاصبهاني ١ : ٦٨
٣) الاصبهاني ١ : ٥٣
٤) ابن ابي ربيعة (ع) ٤٤٣
٥) البغدادي ١ : ٣٣٨

سبل اللهو التي سلكها

عمر والسماع

يا اهل بابلَ ما نفست عليكمُ ... من عيشكم الاَّ ثلاثَ خلالِ
ماء الفراتِ وطيبَ ليلٍ باردٍ ... وغناء مسمعتين لابن هلالِ

لقد مرَّ معنا ان صاحبنا قضى شطراً غير يسير من شبابه في المدينة . وكانت المدينة كما سبق فاشرنا بلد الغناء والطرب ، فمنها ظهرت القافلة الاولى من اهل هذا الفن ، وفيها نشأ اشهرهم ، واليها وفد اكثر الطلّاب يقصدونها دون غيرها فيستمعون الى المغنين فيها ويأخذون عنهم ويتعلمون منهم حتى اشتهرت في هذا المضمار وذاع صيتها . رَوَوا ان ابن سريج والغريض المكّيين قدما المدينة يتعرضان لمعروف اهلها ويزوران من بها من اصحابها ، فلما شارفاها تقدما ثقلهما ليرتادا منزلاً حتى كانا بالمِغسلة ، وهي موضع باطراف المدينة ، اذا هما بغلام بيده حبالة يتصيد الطير وهو يتغنى ويقول :

القصرُ فالنخل فالجمّاء بينهما ... اشهى الى النفس من ابواب جَيرونِ

فلما سمعاه مالا اليه واستعاداه ، فاعاد الصوت ، فسمعا شيئاً لم يسمعا بمثله قط ، فاقبل احدهما على صاحبه فقال : هل سمعت كاليوم قط ؟ قال : لا والله ! فما رأيك ؟ قال ابن سريج : هذا غناء غلام يصيد الطير ، فكيف بمن في الجَوْبة ؟ يعني المدينة . قال : امّا انا فثكلته والدته ان لم ارجع فكرًا ! راجعين .[1]

وكان فيها من مغنّي الجيل الاول سائب خاثر ، ونشيط ، وعَزّة الميلاء ، وجميلة . ومن غيرهم هيت ، وطُويس ، والدلّال ، وبَرْدُ الفؤاد ، ونَومة الضحى ، وفِنْد ، ورحمة ، وهبة الله ، ومَعبد ، ومالك ابن ابي السمح ، وابن عائشة ، ونافع بن طُنبورة ، وبُديح المليح ، ونافع الخير . ومن النساء المغنّيات — عدا عزّة وجميلة — خُليدة ، ورُبيحة ،

---

١) الإصبهاني ١ : ٣٢

وعُقيلة ، والشماسيَّة ، وفَرعة ، وبُلبلة ، ولذَّة العيش ، وسُعيدة ، والزرقاء . ومن المتأخرات سلَّامة وحَبابة .[١] ويكني المدينة فخراً في الغنـاء ان يكون معبد وهو امام المغنين وزعيمهم منها ، قال الشاعر :

اجاد طويسٌ والسُريجيُّ بعده وما قصبات السبق الاَّ لمعبدِ[٢]

وكان معبد هذا يعلّم بعض الجواري الغناء ويُعنى بتخريجهن ثم يبيعهن .[٣]

وكان السماع ضرباً من ضروب اللهو التي الفهـا الناس في المدينة ، أجازه الفقهاء ولم يروا فيه حرجاً حتى زعم الرواة ان اهل الحجاز عامةً يجيزون الغناء واهل المدينة (بنوع خاص) يستحسنونه ويستسيغونه .[٤]

ولاحدهم يقول :

لا تسألن مدينياً فتكفره الاَّ عن البمّ والمثنّى والزير[٥]

ولقد سُئل عبدالله بن جعفر (رفيق عمر) عن الغنـاء فقال : انه لا يصلح الا بالمدينة .[٦]

وكان للغناء تأثير عظيم في نفوس المدينيين والمدينيات حتى رووا ان احدهم اتى المدينة يبيع خُمُرًا فباعها كلّها الا السود فلم تنفق ، وزعموا ان صاحبها لم يستطع بيعها الا بحيلة احتالها له مديني معروف نظم شعراً فيه ذكرٌ للخمار الاسود وقد ارتدته الفتاة المليحة :

قل للمليحة في الخمار الاسودِ ماذا فعلتِ بزاهد متعبّدِ

واعطاه لمغنٍّ يغنّي فيه ، فشاع الغناء في المدينة ولم تبق مليحة الا اشترت خمـاراً اسود ، وباع التاجر جميع ما كان معه .[٧] وظلت هذه الشهرة في الغناء ملازمة لاهل المدينة حتى زمن ابن عبد ربه الاديب الاندلسي فنظم شعراً يذكر فيه انه يشرب الشراب على مذهب العراق ويستمع الى الغناء على مذهب اهل المدينة :

ديننا في السماع دين مدينيٍّ م وفي شربنا الشرابَ عراقي[٨]

---

١) الاصبهاني ٧ : ١٢٤ و ١٢٥
٢) الاصبهاني ١ : ٣٠
٣) " ١ : ٢٤
٤) ابن عبد ربه ٣ : ٢٣١ و ٢٤١
٥) ابن عبد ربه ٣ : ١٢٣
٦) " " ١ : ١٤٦
٧) " " ٣ : ٢٣٥
٨) الثعالبي ١ : ٣٦٣

وكذلك كان دين عمر في السماع دين مديني يُقبل عليه أنّى وجده وحيثما وقع عليه وكان يقصد مجالسه حتى في مرضه . ولعل القارئ لا يزال يذكر قول عمر الى صديقه الحارث بن خالد المخزومي حين أتاه يدعوه الى مجلس غناء : يا حارث لقد ازعجتني في وقت كانت الدعة احب فيه اليّ ، ولكن صوت الغريض وحديث النسوة ليس له مُتَرَك ولا عنه محيص !

وليس غريباً ان ينشأ على هذا في مثل ذلك الجوّ وقد كان صديقه عبدالله بن جعفر يشتري الجواري الحسان ويأتيهن بمعلمين يدربوهن على الغناء.[1] حتى شهر بالسماع وعابه عليه ابو صفوان الجمحي ،[2] ولامه فيه معاوية وعبد الملك ثم عذراه .[3] وكان صديقه الآخر ابن ابي عتيق كما تصوّره كتب القدماء. وكيلَ دفاع للمغنين والمغنيات يدافع عنهم لدى المتحرجين ويسعى لدى الولاة ان يكفّوا عن ملاحقتهم ويشيد بذكرهم في كل نادٍ ومكان .[4] وقد روى الرواة ان احد الولاة بعث الى عزة المغنية يسألها ان تترك الغناء لانها قد فتنت به الرجال والنساء ، ووافق وقتذاك وجود عبدالله بن جعفر وابن أبي عتيق عندها ، فردَّ ابن جعفر الرسول وقال له : ارجع الى صاحبك فقل له عني اقسم عليك ألاّ ناديت في المدينة ايما رجل فسد او امرأة فتنت بسبب عزة الا كشف نفسه بذلك لنعرفه ويظهر لنا ولك امره ، فنادى الرسول بذلك فما اظهر احدٌ نفسه .[5] وكان هذا الثالوث من عمر وعبدالله وابن ابي عتيق اعظم عامل في تشجيع فنّ الغناء في المدينة والحجاز .

اما المواضع التي كانوا يجتمعون فيها للسماع وهم في المدينة فهي كثر . وكان العقيق وهو متنزه المدينة ابهج بقعة يأوي اليها طلّاب هذا اللهو . فاذا هطلت الامطار وسال واديه هرعوا اليه وعقدوا على ضفافه ورياضه حلقات الانس والطرب . ويندفع المغنون في انشادهم فتتجاوب في ارجاء ذلك الوادي اصداء اصواتهم مع خرير المياه وهمسات النسيم وتمايل النخيل .

وكان بعض الاشراف قد بنوا قصوراً لهم فيه فصار من الممكن لابنائهم ان يقضوا اياماً متتابعةً في لهوهم مع نسائهم وجواريهم . وربما انتحى بعضهم ناحية بعيدة عن اعين

---

١) ابن عبد ربه ٣ : ٢٥٧
٢) ابن عبد ربه ٣ : ١٥٣
٣) " " " ٣ : ٢٢٦—٢٢٧
٤) " " " ٣ : ٢٥٤
٥) الاصبهاني ١٦ : ٢٠

الرقباء فجلسوا على احدى ضفافه ومالوا بارجلهم الى السيل يبتردون وهم يستمعون الى مغنّيهم ينشدهم اطيب الالحان .[١] ولم يفت عمر ان يصوّر بعض هذه المواقف التي شهدها مع رفاقه وصاحباته في العقيق حين كان يسيل او حين كانوا يمطرون في لهوهم وطربهم . ولقد خشي مرةً ان تتبلل النسوة اللاتي كنّ معه من ماء المطر فنهض وخلع مطرفه وبرديه وأمسكَ بهما هو ومغنّيه الغريض ليظلّا عليهنّ كي يستترن من سقوط المطر . وفي ذلك يقول :

ألم تسأل المنزل المقفرا بيانًا فيكتم او يُخبرا
ذكرت له بعض ما قد شجاك م وحقّ لذي الشجو ان يذكرا
مقام المحبين اذ ظاهرا كساءً وبردين ان يمطرا

الى ان يقول :

غفلن عن الليل حتى بدت تباشير من واضح أسفرا
وقمن وقلن لوَ انّ النهار م مُدّ له الليل فاستأخرا
قضينا به بعض أشجاننا وكان الحديث به اجدرا[٢]

وكان عمر يتردد مع رفاقه الى مجالس الغناء فيغشون عزّة الميلاء ومنزل جميلة . والرواة يزعمون ان نفراً منهم وفدوا على عزة مرةً فعقدت لهم مجلس غناء ، ثم اندفعت تغني لحناً لها بشعر عمر فطرب وشقّ ثيابه وصاح صيحة عظيمة صعق معها ، فلما أفاق قال له القوم : لغيرك الجهل يا ابا الخطاب ! قال : اني سمعت والله ما لم املك معه نفسي ولا عقلي .[٣]

وكان هناك مغنٍّ في المدينة يعرف بالدلاّل ، وكان يرافق عمر وابن جعفر ويغنيهما ، وقد صنع عمر له ابياتاً واعطاه مئة دينار وسأله الغناء فيها ففعل وأجاد .[٤]

واستمر عمر في هذا اللهو حين انتقل الى مكّة ، وليس ادلّ على هذا من اختياره اثنين من اعظم مغني مكّة في ذلك العصر ليكونا مغنّييه ورفيقيه الى اكثر مجالس العبث والطرب ، هما ابن سريج والغريض اللذان تقدم ذكرهما .

وكان له موليات يدرّبن على الغناء ، وكان يرسل بعضهن ليغنين محبوباته اشعاره فيهن ،

---

١) راجع اذا شئت التوسع في هذا الصدد بحثنا عن العقيق جبّور (ع) ١ : ٩٣–٩٩
٢) الاصبهاني ١ : ٦٦ ٣) الاصبهاني ١٦ : ١٤
٤) " " ٤ : ٧١

وقد ارسل مرةً مولاة له الى المدينة لتأخذ صوتاً عن جميلة المغنية في شعر قاله في احدى صاحباته حتى اذا حذقته هذه الجارية ارسلها الى صاحبته تغنيها فيه .[١]

ولم ينس عمر وهو في مكة مجالس جميلة في المدينة فكان يتردد اليها كثيراً فتحتفي بقدومه وترحب بمجيئه وتغني له فتطربه .[٢] ولقد غنّته مرةً فاهتزّ من الطرب وقال : لله درُّك يا جميلة ماذا اعطيت ! انت اول الغناء وآخره .[٣]

ولقد حاول الرواة ان يصفوا هذه المجالس الغنائية التي كان يتردد اليها عمر فبالغوا في ذلك حتى كادت تظهر صورة الحياة فيها مماثلةً لتلك في العصر العباسي . ولعلّ من الخير ان ندع ابا الفرج يقصّ علينا بعض هذه الاخبار ، ولنحترس في قبولها كما هي حيث ان اثر الصنعة فيها ظاهر بيّن . قال ابو الفرج :

وحدثني الحسن بن عتبة اللهبي قال : حدثني من رأى ابن ابي عتيق وابن ابي ربيعة والاحوص بن محمد الانصاري وقد اتوا منزل جميلة فاستأذنوا عليها فاذنت لهم جميعاً ، فلما جلسوا سألت عمر واحفت ، فقال لها عمر : اني قصدتكِ من مكة للسلام عليك . فقالت له : اهل الفضل انت . قال : وقد احببت ان تفرّغي لنا نفسكِ اليوم وتُخلي لنا مجلسكِ . قالت : افعل . قال لها الاحوص : احب الاّ تغنّي الاّ ما أسالكِ . قالت : ليس المجلس لك ، والقوم شركاؤك فيه . قال : اجل . قال عمر : ان تُردْ ان تفعل ذلك بك يكن . قال الاحوص : كلا ! قال عمر : فاني ارى ان نجعل الخيار اليهـا . قال ابن ابي عتيق : وفقك الله . فدعت بالعود وغنّت :

تمشي الهوينا اذا مشت فُضُلا ... مشي الظريف المخمور في الصُّعُدِ
تظل من زَور بيت جارتها ... واضعةً كفّها على الكبدِ
يا من لقلب متيّمٍ سدمٍ ... عانٍ رهينٍ مكلّمٍ كَمِدِ
ازجُره وهو غير مزدَجرٍ ... عنها وطرفي مكحّلُ السَّهَدِ

فلقد سُمعت للبيت زلزلةٌ وللدار همهمة . فقال عمر : لله درك يا جميلة ! ماذا اعطيت ! انت اول الغناء وآخره ! ثم سكتت ساعة واخذوا في الحديث ، ثم اخذت العود وغنّت :

شطّت سعاد وامسى البين قد افدا ... واورثوك سقاماً يصدَع الكبدا
لا استطيع لها هجراً ولا تِرةً ... ولا تزال احاديثي بها جُدُدا

١) الاصبهاني ٧ : ١٤١
٢) الاصبهاني ٧ : ١٣٥ و ١٤١
٣) " ٧ : ١٣٤

. . . . . فاستخف القوم اجمعين ، وصفقوا بايديهم وخصوا بارجلهم وحركوا رؤوسهم ، وقالوا : نحن فداؤك من السوء ووقاؤك من المكروه ، ما احسن ما غنّيت وما اجمل ما قلت ! واحضر الغداء فتغدّى القوم بانواع من الاطعمة الحارة والباردة ومن الفاكهة الرطبة واليابسة ، ثم دعت بانواع من الاشربة . فقال عمر : لا اشرب . وقال ابن ابي عتيق مثل ذلك ، فقال الاحوص : لكني أشرب ، وما جزاء جميلة ان يُمتنع من شرابها ! قال عمر ليس ذلك كما ظننته . قالت جميلة : من شاء ان يحملني بنفسه ويخلط روحي بروحه شكرناه ، ومن ابى ذلك عذرناه ، ولم يمنعه ذلك عندنا ما يريد في قضاء حوائجه والانس بمحادثته . قال ابن ابي عتيق : ما يحسن بنا الا مساعدتك . قال عمر : لا اكون اخسكم ، افعلوا ما شئتم تجدوني سميعاً مطيعاً ، فشرب القوم اجمعون فغنّت صوتاً بشعرٍ لعمر :

ولقد قالت لجارات لها كالها يلعبن في حُجرتها
خذن عني الظلّ لا يتبعُني ومضت تسعى الى قُبّتها
لم تعانق رجلاً فيما مضى طفلةٌ غيداء في حُلّتها
لم يطش قط لها سهم ومن ترمه لا ينجُ من رميتها

فصاح عمر : ويلاه ! ويلاه ! ثلاثاً ثم عمد الى جيب قميصه فشقه الى اسفله فصار قباء ، ثم آب اليه عقله فندم واعتذر وقال : لم املك من نفسي شيئاً . قال القوم : قد اصابنا كالذي اصابك واغمي علينا ، غير انا فارقناك في تخريق الثياب . فدعت جميلة بثياب فخلعتها على عمر ، فقبلها ولبسها ، وانصرف القوم الى منازلهم . وكان عمر نازلاً على ابن ابي عتيق ، فوجه عمر الى جميلة بعشرة الاف درهم وبعشرة اثوابٍ كانت معه ، فقبلتها جميلة ، وانصرف عمر الى مكة جذلان مسروراً .[1]

وكان للغناء تأثير عظيم في نفس عمر ، ولعلّ القارئ قد لمس هذا في خبر وفوده على عزة الميلاء وقبوله لدعوة الحارث ، وطربه في مجلس جميلة ، ويذهب الرواة الى ان جميلة غنّته بشعر له في حفل آخر فدمعت عيناه حتى جرى الدمع على لحيته وثيابه ، ويزعمون انه ما رُؤي عمر كذلك في محفل ولا غيره قط .[2]

---

١) الاصبهاني ٧ : ١٢٣ — ١٢٤ و « د » ٧ : ٢٠٧ — ٢٠٨

٢) الاصبهاني ٧ : ١٢٦

ولم يفت عمر ان يطلب الغناء في رحلاته الى الاقطار التي لم تألف هذا الفنّ كما ألفته الحجاز . والرواة يذكرون انه قدم الكوفة فنزل على صديقٍ له كان لديه مغنّيتان فكان يأتيها ويسمع منهما فاعجب بغنائهما وكاد يحسد اهل الكوفة عليهما . وفي ذلك يقول :

يا اهل بابل ما نفست عليكم ... من عيشكم الاّ ثلاث خلالِ
ماء الفرات وطيب ليلٍ باردٍ ... وغنـاء مسمعتين لابن هلالِ [١]

ولم يخلُ شعرهُ من اظهار حبّه للغناء والمغنّيات وما كان لهذا الفنّ من تاثير في نفسه - قال :

يذكّرناها كل تغريد قينةٍ ... وقمريّة ظلّت على الايك تسجع [٢]

وقال وقد سأل احدى النساء ان تجلس اليه مجلساً خاصاً :

اني لسائل ام الربيع م قبل الوَداع متاعاً طفيفاً

الى ان يقول :

فحورٍ كمثل ظباء الخريف م أُخرجن يمشين مشياً قطوفا
تَضوّعُ اردانُهن العبير م والرند خالط مسكا مدوفا
يهيّجن من بردات القلوب م شوقاً اذا ما ضربن الدفوفا
اذا ما انقضى عجبٌ لم يزلن م يدعون للّهو قلباً ظريفـا [٣]

وله يداعب فتاةً مغنّية فيتهمها بسوء الظن ويظهر عتبه عليها وحبّه لها :

اصبح القلب مستهاماً معنّى ... بفتاةٍ من أسوأ الناس ظنّا
قلت يوماً لها وحرّكت العود م بضرابها فغنّت وغنّى
ليتني كنت ظهر عودك يوماً ... فاذا ما احتضنتني كنت بطنا
فبكت ثم اعرضت ثم قالت ... من جذا أتاك في اليوم عنّا
لو تخوّفت جفوةً وصدوداً ... ما تطلّبت ذا لعمرك منّا
قلت لما رايت خلّك منه ... بابي ما عليك ان اتمنّى [٤]

وجديرٌ بنا في الختام ان نلاحظ انه قد كان لهذه النهضة الغنائية تاثير عظيم في شعر عمر

١) الاصبهاني ١ : ٦٧
٢) ابن ابي ربيعة (ع) ٢٢٨
٣) ابن ابي ربيعة (ع) ٢٦٧
٤) ابن ابي ربيعة (ع) ٥٨٥

نكتفي بالتنبيه اليه الآن حيث سنعرض له في شيء من التفصيل عند درسنا الشعر نفسه ، فقد كان عمر يشجّع الغناء ويغذّيه بمنظومات راعى في اكثرها اوزاناً وتعابير خاصة بحيث اختلفت عن سائر شعره . وكان الغناء بدوره عاملاً على تنمية هذا الفن الجديد من الشعر عند عمر وواسطةً لنشر اسمه والدعاية له في مختلف الاقطار .

عمر والشراب

وسار مع الغناء ضرب آخر من اللهو هو الشراب . ونتساءل الآن هل أَلِف صاحبنا هذا اللهو ام لا فلقد راينا في دراستنا لعصره ان الكثيرين من شباب ذلك العصر قد شربوا المسكر رغم منع الاسلام له ورغم الحدود التي وضعها على شاربيه ، ولاحظنا ان الخمرة كانت شائعة الى حد ما في اكثر مدن الحجاز ، وان الدين الجديد ومنفذي حدوده ما استطاعوا منع كل الناس من تعاطيها بحيث ظلّ الكثيرون من مختلف الطبقات يشربونها حتى في ايام الاسلام الاولى ، وكان بينهم أشرافٌ وامراء واولاد خلفاء .[1] حُدّ بعضهم في شربها ولم يتوبوا . وقد لاحظنا ايضاً ان هذه الخمرة كانت تحتسى في بعض مجالس الغناء ، او في بعض دور الامراء ، او في المتنزّهات العامة في مواسم المرح واللهو كواسم العقيق وغيره ، بحيث يكون الشاربون بعيدين شيئاً ما عن عيون الرقباء ، وربما كمل حظ امثال هؤلاء في ان يكون معهم الامير نفسه او قريب الامير او غيرهما من اصحاب النفوذ فيكفّ عنهم الحدّ والقصاص .[2]

وقد كان عمر يتردد الى اكثر هذه المواضع ، فهل كان يشرب الخمرة فيها ، ام كان يستنكف عن الاشتراك مع شاربيها ؟

ولم يكن من المستغرب لشاب شاعر مثل عمر شهر في اكثر كتب الادب باللهو والفسق ان يشترك في شربها مع الكثيرين من الشبان الذين كانوا من طبقته ، بل كان من الطبيعي ان نحكم لاول وهلة انه قد كان يشترك مع امثاله من هؤلاء او انه قد الف تعاطيها وادمانها . غير ان الواقع هو غير هذا كما سنرى ، او على الاقل ان شعره وكتب الادب

---

١) ابن عبد ربه ٣ : ٤٠٦ و ٤٠٧ و ٤١٦ والبلاذري ١ : ٢٨٥ وابن هشام ٣٠٥ وابن قتيبة (م) ١٢١ والاصبهاني ١ : ١١ و ٢ : ٨٠ والجاحظ (ت) ١٥١ — ١٥٣

٢) اطلب بحثنا عن الشراب في الجزء الاول من هذا الكتاب ص ٦٠—٧١

التي تصدت لذكر شيء عن حياته لا تؤيد ما يظن لاول وهلة انه طبيعي . فهو ان يكن قد شرب الخمرة في ذلك العصر فليس الى الدرجة التي يصح عندها ان يوسم بها ، وربما من الخير هنا ان نذكر كل الروايات التي المحت الى شيء من هذا ، ثم نستعرضها بشيء من النظر والنقد ، ثم نستعرض بعد ذلك شعره علنا نصل الى نتيجة مرضية .

ولنبدأ بخبر ذكره ابو الفرج عن سواد ثنيتي عمر ملخصه ان السواد نتج عن ضربة من يد احدى صاحباته على فمه اصابت ثنيتيه فنغصتا وكادتا ان تقلعا ثم زار عمر احد اطباء البصرة فثبتهما له واسودتا . ولكن ابا الفرج يذكر بعد هذا ان الحزين الكناني الشاعر الهجاء رأى عمر فعيّره ببيتين من الشعر ، هما :

ما بال سنّيك ام ما بال كسرهما اهكذا كسرا في غير ما باس ؟
انفحة من فتاة كنت تألفها ام نالها وسط شرب صدمة الكاس ؟ (١)

ومع ان ظاهر الكلام فيهما استفهام من الحزين عن امر ثنيتي عمر فاننا نرى مما الفناه من كلام العرب ان هذين البيتين هجوٌ موجه الى عمر وتعيير له في لهوه مع النساء وشربه الخمر مع من يتعاطونها .

ثم هناك خبر آخر في الاغاني فيه ذكر لشرب عمر الخمرَ ونشوته لا نرى بدّاً من تدوينه كما ورد . والخبر يقع في قصة عن موقف لعمر في مِنى يوم التروية من مواقفه التي كان يتعرض فيها للنساء الحاجات قال راويه :

حجّ عمر بن ابي ربيعة في عام من الاعوام على نجيب له مخضوب بالحناء مشهر الرحل بقراب مُذهب ، ومعه عُبيد بن سُريج على بغلة له شقراء ، ومعه غلامه جنّاد يقود فرساً له ادهم اغرّ محجلاً ، وكان عمر بن ابي ربيعة يسمّيه « الكوكب » في عنقه طوق ذهب ، وجنّاد هذا هو الذي يقول فيه :

فقلت لجناد خذ السيف واشتمل عليه برفق وارقب الشمس تَغرُب
وأسرج لي الدهماء واعجَل بمطري ولا تعلمن خلقاً من الناس مذهبي (٢)

ومع عمر جماعة من حشمه وغلمانه ومواليه وعليه حلّة مَوشيّةٌ يمانية ، وعلى ابن سريج ثوبان هَرَويّان مرتفعان ، فلم يمروا باحد الاّ اعجب من حسن هيئتهم ، وكان عمر من اعطر

١) الاصبهاني ١ : ٩١
٢) المطر ثوب يتخذ لتوقي المطر

الناس واحسنهم هيئة ، فخرجوا من مكة يوم التروية بعد العصر يريدون منى ، فمرّوا بمنزل رجل من بني عبد مناف بمنى قد ضربت عليه فساطيطه وخيمه ، ووافى الموضع عمر فابصر بنتاً للرجل قد خرجت من قبتها ، وستر جواريها من دون القبة لئلا يراها من مرّ ، فاشرف عمر على النجيب فنظر اليها وكانت من احسن النساء واجملهن ، فقال لها جواريها : هذا عمر بن ابي ربيعة ، فرفعت رأسها فنظرت اليه ، ثم سترتها جواريها وولائدها عنه وبطّن دونها بسجف القبة حتى دخلت ، ومضى عمر الى منزله وفساطيطه بمنى ، وقد نظر من الجارية الى ما تيّمه ومن جمالها الى ما حيّره فقال فيها ابياته التي مطلعها :

نظرت اليها بالمحصب من منى ولي نظر لولا التحرج عازم

ثم قال عمر لابن سريج : يا ابا يحيى ، اني تفكرت في رجوعنا مع العشية الى مكة مع كثرة الزحام والغبار وجلبة الحاج فثقل عليّ ، فهل لك ان نروح رواحاً طيّباً معتزلاً ، فنرى فيه من راح صادراً الى المدينة من اهلها ونزى اهل العراق واهل الشام ونتعلّل في عشيتنا وليلتنا ونستريح ، قال : وانّى ذلك يا ابا الخطاب ؟ قال : على كثيب ابي سَحْوة المشرف على بطن يأجج بين منى وسَرف ، فنبصر مرور الحاجّ بنا ونراهم ولا يَرَوْنا قال ابن سريج : طيّب والله يا سيدي ، فدعا بعض خدمه فقال : اذهبوا الى الدار بمكة ، فاعملوا لنا سفرةً واحملوها مع شراب الى الكثيب ، حتى اذا أبردنا ورمينا الجمرة صرنا اليكم . قال — والكثيب على خمسة اميال من مكة مشرف على طريق المدينة وطريق الشام وطريق العراق ، وهو كثيب شامخٌ مُستدقٌ اعلاه منفرد عن الكثبان — فصارا اليه فاكلا وشربا ، فلما انتشيا اخذ ابن سريج الدفّ فنقره وجعل يغنّي وهم ينظرون الى الحاجّ ، فلما امسيا رفع ابن سريج صوته يغني في الشعر الذي قاله عمر ، فسمعه الركبان فجعلوا يصيحون به : يا صاحب الصوت اما تتقي الله ! قد حبست الناس عن مناسكهم ! فيسكت قليلًا ، حتى اذا مضَوا رفع صوته وقد اخذ فيه الشراب فيقف آخرون ، الى ان مرّت قطعة من الليل ، فوقف عليه في الليل رجل على فرسٍ عتيق عربي مَرِحٍ مُستنٍّ[1] فهو كأنه ثَمِل ، حتى وقف باصل الكثيب وثنى رجله على قَرَبُوس[2] سرجه ، ثم نادى :

---

١) يقال استن الفرس : اي جرى في نشاطه على سننه في جهة واحدة . والعتيق هو الكريم

٢) القَرَبُوس مقدم السرج ومؤخره

يا صاحب الصوت ايسهل عليك ان تردّ شيئاً مما سمعته ؟ قال : ونعمة عين ، فايها تريد ؟ قال : تعيد عليّ :

الا يا غراب البين ما لك كلما ... نَعَبت بفقدان عليَّ تحومُ
ابالبين من عفراء انت مخبّري ... عدمتك من طير فانت مَشومُ

— قال : والغناء لابن سريج — فاعاده ، ثم قال له ابن سريج : ازدد ان شئت ، فقال : غنّني :

امسلم اني يا ابن كل خليفةٍ ... ويا فارس الهيجا ويا قمر الارض . الخ

فغناه ، فقال له : الثالث ولا استزيدك ، فقال : قل ما شئت فقال : تغنيني

يا دارُ أقوت بالجزعِ فالكثب ... بين مسيل العُذيبِ فالرُّحبِ
لم تتقنّع بفضل مئزرها ... دَعدٌ ولم تسقَ دعد في العُلبِ

فغنّاه ، فقال ابن سريج : ابقيت لك حاجة ؟ قال نعم ، تنزل اليَّ لاخاطبك شفاهاً بما اريد ، فقال له عمر : انزل اليه ، فنزل ، فقال له : لولا اني اريد وَداع الكعبة وقد تقدمني ثقلي وغلماني لأقمت المقام معك ولنزلت عندكم ، ولكنّي اخاف ان يفضحني الصبح ، ولو كان ثقلي معي لما رضيت لك بالهوينى ، ولكن خذ حُلّتي هذه وخاتمي ولا تخدع عنهما ، فان شراءهما الف وخمسمائة دينار .[1] ومضى يركض حتى لحق ثقله ، فجاء بهما الى عمر فاعطاه اياهما وقال له : ان هذين بك اشبه منهما بي ، فاعطاه عمر ثلثمائة دينار وغدا فيهما الى المسجد ، فعرفهما الناس وجعلوا يتعجّبون ويقولون : كانهما والله حلّة يزيد بن عبد الملك وخاتمه ، ثم يسألون عمر عنهما فيخبرهم ان يزيد بن عبد الملك كساه ذلك .[2]

وهناك خبر ثالث ورد في سياق مناقضة جرت بين عمر والفضل بن العباس اللهبي نرى لزاماً علينا ان نذكره ايضاً بنصّه . ولا بد لنا من الاشارة ان عمر قصّه عن نفسه حين وفد على عبد الملك فيما يزعمون ، قالوا : سأله هذا عن امر هذه المناقضة ، فقال : « بينا انا جالس

---

١) الاصبهاني ١ : ١٠١ — ١٠٢ والاصبهاني « د » ١ : ٢٥٩ — ٢٦٤ وهناك روايتان وقد نقلنا الرواية الثانية كلها ويقول ابو الفرج في آخرها : « وذكر (الضمير يعود الى راوي القصة) باقي الخبر مثل ما ذكره حمّاد بن اسحق . » وقد نقلنا آخر الخبر عن رواية حمّاد بحيث كملت الرواية .

٢) الاصبهاني ١ : ١٠١ والاصبهاني « د » ١ : ٢٥٩

في المسجد الحرام في جماعة من قريش اذ دخل علينا الفضل بن عباس بن عتبة فسلّم وجلس ووافقني وانا اتمثّل بهذا البيت :

واصبح بطن مكة مقشعرا كأن الارض ليس بها هشام

فاقبل علي فقال : يا اخا بني مخزوم والله ان بلدة تبجح بها عبد المطلب وبعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسفرت وبها بيت الله عز وجلّ لحقيقة ان لا تقشعر لهشام ، وانّ اشعر من هذا البيت واصدق قول من يقول :

انا عبد مناف جوهر زيّن الجوهر عبد المطلب

فاقبلت عليه فقلت : يا اخا بني هاشم ان اشعر من صاحبك الذي يقول :

ان الدليل على الخيرات اجمعها ابناء مخزوم للخيرات مخزوم

فقال لي : اشعر والله من صاحبك الذي يقول :

جبريل اهدى لنا الخيرات اجمعها اذ امّ هاشم لا ابناء مخزوم

فقلت في نفسي غلبني والله ، ، ثم حملني الطمع في انقطاعه عني فخاطبته فقلت : بل اشعر منه الذي يقول :

ابناء مخزوم الحريق اذا حركتّه تارة ترى ضرما
يخرج منه الشرار مع لهب من حاد عن حدّه فقد سلما

فوالله ما تلعثم ان اقبل علي بوجهه فقال : يا اخا بني مخزوم اشعر من صاحبك واصدق الذي يقول :

هاشم بحر اذا همى وطمى اخمد حرّ الحريق واضطرما
واعلم وخير القول اصدقه بان من رام هاشماً هشما

قال فتمنيت والله يا امير المؤمنين ان الارض ساخت بي ، ثم تجلدت عليه فقلت : يا اخا بني هاشم اشعر من صاحبك الذي يقول :

ابناء مخزوم انجم طلعت للناس تجلو بنورها الظلما
تجود بالنَيل قبل تسأله جودًا هنيئًا وتضرب البهما

فاقبل علي باسرع من اللحظ ثم قال : اشعر من صاحبك واصدق الذي يقول :

هاشم شمس بالسعد مطلعها اذ بدت اخفت النجوم معا
اختارنا الله في النبيّ فمن قارعنا بعد احمد قرعا

فاسودّت الدنيا في عيني و ... فانقطعت فلم احر جواباً ثم قلت : يا اخا بني هاشم ان كنت تفخر علينا برسول الله صلى الله عليه وسلّم فما تسعنا مفاخرتك . فقال : كيف لا ام لك ! والله لو كان منك لفخرت به عليّ . فقلت : صدقت واستغفر الله انه لموضع الفخار . وداخاني السرور لقطعه الكلام ولئلا ينالني خور عن اجابته فافتضح ، ثم انه ابتدأ المناقضة فقال فافكر هنيهةً ثم قال : قد قلت فلم اجد بدّاً من الاستماع . فقلت هات . فقال :

نحن الذين اذا سما بفخارهم ذو الفخر اقعده هناك القعدد
افخر بنا ان كنت يوماً فاخراً تلق الاولى فخروا بفخرك افردوا
قل يا ابن مخزوم لكل مفاخر منا المبارك ذو الرسالة احمد
ماذا يقول ذوو الفخار هنالكم هيهات ذلك هل ينال الفرقد

فحصرت وتبلدت وقلت له : ان لك عندي جواباً فانظرني . فافكرت ملياً ثم انشأت اقول :

لا فخرَ الاّ قد علاه محمدٌ فاذا فخرتَ به فاني اشهدُ
إن قد فخرت وَقَفْتَ كل مفاخرٍ واليك في الشرف الرفيع المقصد
ولنا دعائمُ قد تناهى أوّلٌ في المكرمات جرى عليها المولد
من ذاقها حاشى النبيّ واهله في الارض غطغطه الخليج المزبد
دع ذا ورح بفناء خود بضةٍ مما نطقت به وغنّى معبد
مع فتيةٍ تندى بطون اكفّهم جوداً اذا هرّ الزمان الانكد
يتناولون سُلافةً عانيّة طابت لشاربها وطاب المقعد

فوالله يا امير المؤمنين لقد اجابني بجواب كان اشدّ علي من الشعر . قال لي : يا اخا بني مخزوم اريك السما وتريني القمر ... وتخرج من المفاخرة الى شرب الراح وهي الخمر المحرّمة . فقلت له : اما علمت اصلحك الله ان الله عزّ وجل يقول في الشعراء « وانهم يقولون ما لا يفعلون » ؟ قال : صدقت ثم استثنى الله قوماً منهم ، فقال « الاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات ». فان كنت منهم فقد دخلت في الاستثناء واستحققت العقوبة بدعائك اليها ، وان لم تكن منهم فالشرك بالله اشد عليك من شرب الخمر . فقلت : اصلحك الله لا اري للمستجدي شيئاً اصلح من السكوت . فضحك وقال استغفر الله . وقام عني . قال

فضحك عبد الملك حتى استلقى وقال : يا ابن ابي ربيعة أما علمت ان لبني عبد مناف السنةً لا تطاق ؟ ارفع حوائجك ! قال فرفعتها فقضاها واحسن جائزتي وصرفني . واللفظ في هذا الخبر لمحمد بن العباس . »[1]

بقي موضع رابع في الخبر الذي اوردناه عن وفود عمر مع الاحوص وابن ابي عتيق على جميلة المغنية ، فان هناك اشارةً كما رأينا الى ان هذه دعت الى ضيوفها بشراب فشربوا، وامتنع عمر اول الامر ، ولكنه رأى من اللياقة ان يجاري اصحابه ففعل ، وانثنى من من شربه .[2]

هذا كل ما في المصادر التي بين ايدينا فيما يتعلق بامر شربه الخمر او ما اليها من المسكرات . وهي اخبار قد يستنتج منها لاول وهلة ان عمر كان اخا نشوة مولعاً بالشراب يفخر بمعاقرته ، ولكننا اذا تدبرنا الامر وعمدنا الى هذه الاخبار نفسها ندرسها وننقدها نرى غير ما ذكرنا ، لا سيما اذا عرضناها على شعره الذي يجب ان يكون من خير المصادر لدرس هذه الناحية .

فالقصة التي راينا فيها تعيير الحزين الكناني لعمر ليس فيها ما يثبت شرب عمر للخمرة . والشعر فيها هجاء ، ونحن نعلم ان الهجاء يتناول المهجو في اكثر الاحيان بالافك والزور والبهتان . ويظهر من البيتين ان الحزين الكناني لا يهمه غير هجو عمر ، وسواء عنده اكانت ثنيّتا عمر قد اسودتا من نفحة من فتاة او من صدمة من كاس . وهو لذلك قد وضع كلامه بهذا القالب الاستفهامي :

أنفحة من فتاة كنت تألفها ام نالها وسط شرب صدمة الكاس؟

فغايته اذاً ان يحشر عمر في هذا الهجو مع السفهاء . وظاهر من الامر ان الكناني يجهل ان الثنيتين لم تكسرا بل اسودّتا عند تثبيتهما ، ولكنه يقول في شعره :

ما بال سنّيك ام ما بال كسرهما اهكذا كسرا في غير ما باس

ثم نحن نعلم ان السبب في سواد ثنيتي عمر هو ضربة من يد حبيبته ، ولعل الحزين لم يكن يجهل ذلك عندما قال : « انفحة من فتاة كنت تألفها » ولكنه اراد ان يبالغ في

---

١) الاصبهاني ١٥ : ٨ وراجع ابن ابي ربيعة (ع) ١٥٧ و (ش) ق ٢٧١

٢) الاصبهاني ٧ : ١٣٤

الهجو فعيّره بالشراب بقوله : « ام نالهـا وسط شرب صدمة الكاس » واذا عدنا ندرس اخبار الحزين نرى انه هو نفسه كان سكّيراً خمّيراً حُدّ في الخمر وحُبس ،[1] وكان هجّاء خبيثَ اللسان ساقطاً يُرضيه اليسير ويتكسب بالشعر وهجاء الناس ،[2] حتى ان عبد الملك ابن مروان اوصى ابنه عبدالله لما حجّ ان يُرضي الحزين اذا اتاه ، فانه ذَرِبُ اللسان .[3] واذاً فانّا لا نرى بعد هذا كله كبير قيمة لتعيير الحزين ولتهمته هذه بل ان عمر نفسه مرّ بهذا الهجو مرّ الكرام واكتفى بقوله له عندما اعترضه وانشده هجوه هذا : اذهب ! اذهب ويلك ! فانك لا تحسن ان تقول :

ليت هنداً انجزتنا ما تعد وشفت انفسنا مما تجد
واستبدت مرةً واحدة انما العاجز من لا يستبد[4]

ولعلّه اراد ان ينبهه انه لا يقدر الاّ على الهجو والشتم .

اما الرواية الثانية فانك اذا قرأتها تدرك لاول وهلة الصناعة القصصية فيهـا ، ويظهر لك الاختراع ، وليس من شك في انها — بشكلها هذا — رواية قصصية موضوعة اكثر منها حقيقية ، ففيها مفاجئات ومصادفات وحوادث غريبة ومشاهد جذّابة قد تحتمل الوقوع كلٌّ لذاتها في مناسبات مختلفة ولكننا نستبعد وقوعها متتابعة متلاصقة على هذا الشكل . فمن فتاةٍ جميلةٍ تسترها ولائدها وجواريها في قبة والدها وفساطيطه ، الى موكب عمر يسير فيه بين حشمه وغلمانه ومواليه ، قاصداً منزله وفساطيطه ، على نجيب له مخضوب بالحناء ، مشهر الرحل ، بقراب مذهب ، ومعه غلامه جنّاد يقود له فرساً اغر محجّلاً في عنقه طوق ذهب ؛ الى ابن سريج في هيئته ولباسه الخاصين بحيث لم يمرّ احد بهؤلاء الاّ اعجب من حسن هيئتهم ؛ الى هذا الخاطر من عمر في ان يبعد عن الزحام والغبار والجلبة فيعتزل الى كثيب ، ويرى ولا يُرى ، ويتعلل ليلته ويستريح ؛ الى اوامره يصدرها الى الخدم في ان يهيئوا له سفرة وشراباً من مكة ، ويخرجوها الى الكثيب الذي عيّنه ، وهو يبعد خمسة اميال عن مكة ، اي ما يقرب الساعتين ؛ الى غناء ابن سريج يوقف الحجاج فيصيحون : اما تتقي الله يا صاحب الصوت ؟ الى مرور يزيد بن عبد الملك ووقوفه على صاحبينا ، وسؤاله ابن سريج ان يعيد له اصواتاً عيّنها ، وهو منفرد عن حاشيته وثقله وغلمانه ؛ ثم يعطيه

---

١) الاصبهاني ١٤ : ٨٠
٢) الاصبهاني ١٤ : ٧٦ و ٨٣
٣) " ١٤ : ٧٧
٤) " ١ : ٩١

بُردَه وخاتَمه ملمحاً الى انه الخليفة وقتذاك ، او ابن الخليفة على الاقل . وقد اشرنا في فصل سابق الى ان يزيد بن عبد الملك لم يعتلِ عرش الخلافة الاّ بعد ان أُدرج صاحبنا عمر في اكفانه وكادت تصبح ذراتُ جسمه هباءً منثوراً. زد على هذا ان عمر قد كان في حدود السبعين من عمره عندما كان يزيدُ في العشرين وكان عاجزاً آخر ايامه كما سنرى يتوكأ على مولىً له ولم يكن موقفه بهذه القصة لينتظر من رجل فوق الستين . واذاً ففي الرواية تشويشٌ واضطراب ، ولعلّ هذا يحلّنا من قبولها كما هي .

اما خبر مناقضة عمر للفضل بن عباس اللهبي فان الاختراع ظاهر فيه والصنعة بيّنة في حواشيه . ولعلّ الرواية كلها اسطورة سطرتها اقلام بني هاشم او اقصوصة اختلقوها تفاخراً في بيتهم ومجدهم ليس اكثر . ولنذكر قبل شيء ان اللفظ فيها لرجل اسمه محمد بن العباس . وكان من بلاهة الراوي ان زعم ان مخزومياً مثل عمر يتورّط في الوقوع في مثل هذه المفاخرة فيخذل هذا الخذلان ثم يرضى ان يقص القصة عن نفسه في سمع امويّ ينافس آل هاشم هو عبد الملك بن مروان ، يذكر فيها فضل خصومه في حضرته وهو مُصغٍ كائناً هو راضٍ عن ذاك ، بل ان الراوي ليذهب فيها الى ابعد من هذا فيزعم ان عبد الملك ضحك حتى استلقى وقال لعمر : اما علمت ان لبني عبد مناف السنةَ لا تطاق ؟ واين هذا مما نُسب الى احد عمّال بني اميّة حين عرّض بآل هاشم وقال : الى كم يغلب باطلنا حقكم اما آن لربكم ان يغضب لكم ؟[1] ولو فرضنا ان وقائع الرواية صحيحة فانّا نشك في ان هذا الشعر قد صدر عن عمر فذِكرُ معبدٍ فيه يدلّ على شيء من الوضع لان معبداً كان غلاماً حينما كان عمر فوق الاربعين .[2] ولم يكن من مغنّي عمر او من رفقائه ليذكره دون غيره . وليس الشعر نفسه ممّا اثبت في نسخ الديوان الخطيّة بل هو من المنسوب الى عمر . ومن حسن حظّنا ان بعض القدماء قد فطن لهذا الامر ففي كتاب بدائع البدائة ذكر للرواية كلها ثم يقول صاحب الكتاب في آخرها قال علي بن ظافر : واحسب الحكاية مصنوعة لان اشعارها ضعيفة .[3] ومن الخير ان نذكر هنا ان الكثيرين من المؤرخين القدماء الذين ذكروا خبر وفادة عمر على عبد الملك لم يشيروا الى هذه القصة .[4]

---

١) الاصبهاني ١٩ : ٥٩ — ٦٠ ٢) الاصبهاني ١ : ٣٠

٣) علي بن ظافر ١ : ٢٧ وقد شك فيها المستشرق الالماني بول شفارز في بحثه عن عمر [شفارز ٤ : ١٩]

٤) المرزباني ٢٠٣ وابن قتيبة (ش) ٢٥١ والحصري ١ : ٣٠

وكأن الرواة احبّوا ان يجعلوا من الفضل منازعاً للكثيرين من رجال ذلك العصر فزعموا انه تنازع مع الاحوص ومع الحزين الكناني ومع الفرزدق[١] ومع الحارث بن خالد المخزومي[٢] وتعرّض لسخط سليمان بن عبد الملك وهو امير لانه مدح امامه عليّاً ابن عبدالله ابن عباس.[٣] بل انه عارض مرة حادي عبد الملك حين كان يحدو به فحدا بعلي بن عبدالله ابن عباس ومدحه وعبد الملك نفسه يسمع فنظر عبد الملك الى علي وقال : هذا محتور آل ابي لهب .[٤]

ولو سلمنا جدلاً ان الرواية صحيحة فان في آخرها ما يفيد ان عمر عندما عوتب في امر شرب الخمرة وقال له الفضل : اريك السها وتريني القمر وتخرج من المفاخرة الى شرب الحرام ، رجع عن كلامه فقال : اما علمت اصلحك الله ان الله عزّ وجلّ يقول في الشعراء « وانهم يقولون ما لا يفعلون . »

اما الرواية الاخيرة فظاهر منها ان عمر لم يكن من هؤلاء الذين كانوا يشتاقون الى الخمر فيقبل عليها كلما سنحت له فرصة لشربها اذ نرى فيها ان عمر امتنع اول الامر ولكنه لما رأى رفاقه يشربون مجاراة لجميلة ابى ان يكون اقلّهم لياقة ومجاملة لجاراهم .

واذا تركنا هذه الاخبار وهي كل ما في ايدينا عن هذا الموضوع وعدنا الى ديوانه الذي يجب ان يكون خير مرجع لهذا الامر نرى انه لا يوجد فيه كلّه اشارة صريحة الى ان عمر قد شرب الخمر ، او افتخر في انه ممّن يشربون ، او دعا الى شربها ، وكل ما في الديوان من ذكر للخمر قد ورد على سبيل التشبيه كأن يقول : ريق الحبيبة كالخمر او كأن فلاناً اخو نشوة . ولنذكر بعض الامثلة على ذلك . قال :

وكأن فاها بعدما رقدت ... تجري عليه سلافة الخمر[٥]

وقال : ذكرت به هندًا وظلت كأنني ... اخو نشوة لاقى الحوانيت فاغتبق[٦]

وقال : كأن فاها اذا ما جئت طارقها ... خمرٌ ببيسان او ما عتقت جدرُ[٧]

وقال : فبت أسقى عتيق الخمر خالطه ... شهد مشارٍ ومسك خالص ذفِرُ[٨]

---

١) الاصبهاني ١٥ : ٢
٢) الاصبهاني ١٥ : ٦
٣) " ١٥ : ٦
٤) " ١٥ : ٦
٥) ابن ابي ربيعة (ع) ٢٦٩
٦) ابن ابي ربيعة (ع) ٢٧١
٧) " " " ٢٣٠
٨) " " " ٢٠٨

وقال : حوراء آنسة مقبلها عذب كأن مذاقه خمر [١]

وقال : فاذاقتني لذيذاً خلته ذوب نحلٍ شيب بالماء الخصرْ
ومُدام عتّقت في بابلٍ مثل عين الديك او خمر جَدَرْ [٢]

واذا عدنا الى اخباره نرى فيها ان امرأة استسقاها فقالت له اي الشراب احب اليك ؟ قال : الماء.[٣]

ويظهر بعد هذا كله انه لا يجوز لنا ان نحشر عمر بين طبقة السكيرين من الشعراء ، بل لا يجوز لنا ان نزعم انه كان يشرب الخمر بحيث يشهر فيها او يعرف امره .

ولعل مرجع هذا يعود الى رغبته في ان يظلّ في نظر صاحباته — وهن كثر — رجل الحديث والسمر وزين المجالس فلا يشوب حديثه هذر او ثرثرة ويظلّ محتشماً في مجالس الشريفات منهن مالكاً قياد نفسه فلا يخرج عن طور الادب الى السفه والفجور .

عمر والصيد

لم يلهُ عمر في الصيد كثيراً ، ولم يشتهر بهذا الضرب من اللهو كما اشتهر صاحبه العرجيّ من بعده . ولعلّ سبب ذلك ان عمر قد قضى قسماً كبيراً من حياته في مكة ، ومكة حرم لا يصاد فيها ، بينما كان العرجيّ يسكن الطائف وعرجها حيث لا يحرّم الصيد ، وكان له في العرج — عرج الطائف الذي نُسب اليه — بستان فيه شجر رمّان كان يبري السهام من قضبانه .[٤] ولهذا فقد عُرف العرجيّ بالبأس في الحرب وبحسن الرماية كما عرف بالغزل ، بينما كاد عمر يقصر حياته على الحبّ والغزل .

ولكنّ صاحبنا قد سكن الطائف ايضاً وقضى في المدينة اكثر شبابه وكان اهل المدينة مولعين بالصيد وكان لهم في بقيع العقيق متصيّد[٥] يكاد يضارع عرج الطائف ولم تكن هذه البقاع حرماً للصيد ، فتصيدوا ، والرواة يزعمون ان الحجاج بن يوسف شاركهم

---

١) ابن ابي ربيعة ٢٧٣ ٢) ابن ابي ربيعة (ع) ٢٦١ وانظر ايضاً ٢٠٥ و٢٢٨ و٢٣١ و ٢٤٤ و ٢٩٩ و ٣٠١ و٣١٣ و ٣٥٧ و ٣٦٨ و ٣٩٩ و ٤٠٩

٣) الاصبهاني ١ : ٧١ ٤) الاصبهاني ١ : ١٦٠

٥) البكري ١٧٠

وهو امير في صيدهم .[1] واذاً فكان من الطبيعي لعمر ان يأخذ نصيبه من هـذا اللهو . وقد فعل ، وتفرّد وحده بالاشارة الى هذه الناحية من حياته في قصيدة مطلعها :

يا صاحبيَّ قفا نستخبر الدارا اقوت فهاجت لنا بالنَّعف أذكارا

يذكر فيها اجتماع هند وصاحباتها في موضع سمّاه في ضواحي المدينة ثم يزعم انهن تمنّينَ وهنَّ في خلوتهنَّ ان يحظين بعمر لينشدهنَّ من شعره ، فيقول :

فلم يرعهن الاَّ العيس طـالعة يحملن بالنعف ركّاباً واكوارا
وفارس معه البازي فقلن لهـا هاهم اولاء وما اكثرن إكثارا[2]

ويظهر من البيت الاخير ان عمر كان يستعين بالبازي في صيده ويذهب الى الصيد راكباً جواده شأن الاشراف اذا طلبوا الصيد .

وقد اورد ابو الفرج الاصبهاني لعمر ابياتاً بينها بيت لا يوجد في ديوان شعره فيه إشارة الى الصيد يقول فيه :

فنصيد الغرير من بقر الوحش م ونلهو بلذّة الفتيان[3]

ومهما يكن من امرٍ فالظاهر ان عمر لم يفته ان يلهو — ولو قليلاً — في الصيد حين كانت تسنح له الفرص وذلك اثناء اقامته في المدينة والطائف وتنقله في ضواحيها .

عمر في الحج

يقصد الناس للطواف احتساباً وذنوبي مجموعة في الطوافِ

وكان لعمر في مواسم الحج فرصة للهو ، فاذا حجّ الناس يبغون احتساباً فانما عمر يحجّ طلباً للهو .[4] انه امرؤ قد وكِل بالجمـال ، فهو يتبعه أنّى وجده ، وهل هناك معرض يستطيع ان يستعرض فيه الجمال خيراً من الحجّ ؟ وهل هناك موسم تحشد فيه هذه الخلائق

---

١) ابن عبد ربه ٢ : ١٢٢ ٢) الاصبهاني ١ : ٧٤ وابن ابي ربيعة (ش) ق ١٠
٣) الاصبهاني ١ : ٦١ وانظر ابن ابي ربيعة (ش) ق ١٣١ وراجع شرح اخبار القصائد في المصدر الاخير تحت رقم ١٣١ صفحة ٥١ ٤) ابن قتيبة (ع) ٤ : ٢٠٧ والاصبهاني ٢ : ٧٣

البشرية من نساء ورجال خيراً من موسم الحج ؟[١] فَلْيَسِرْ اذاً الى الحجّ ! وليرقب صاحباته في الحج ! وليرصد هذه المواكب القادمة ! وليتصفح هذه الوجوه الباسمة ! وليهيّ لذلك الامر عدّته ! انه موسم لقاء الحبائب .[٢]

أومت بعينيها من الهودج لولاك هذا العامُ لم احجج
انت الى مكّة اخرجتني ولو تركت الحج لم اخرج[٣]

وهوذا هو يقدم فيعتمر في ذي القعدة ، ويحل ويلبس تلك الحلل والوشي، ويركب النجائب قد خضبت بالحناء ، والقيت على ظهورها القطوع والديباج، قد ارسل لمّته ، وزيّن هيئته، وحثّ ركابه في طريق ذات عرق ليلقى العراقيات محرمات ، او في طريق الكديد ليتلقى الشاميّات ، او يعرّج على المرو ليقابل المدنيّات .[٤]

انه الآن في طريق الكديد يرصد الشاميّات وقد بلغه مقدم اميرة أمويّة معهن كان له معها شأن في بعض المواسم السابقة فيما يزعمون .[٥] انها الآن لفي موكب يلفت الانظار ، فيه من الجواري ما لم تر الاعين مثلهن .[٦] وان موكبها ليضغط مواكب الكثيرين من الحجاج فيفرّقهم ذات اليمين وذات اليسار ، فلا يكاد الناس يتساءلون من تكون حتى تسمع اسمها يتردد على افواه الركبان . انها فاطمة ابنة عبد الملك بن مروان ، وان عمر ليعلم ذلك وفي نفسه حسرة وخوف . لقد كتب اليه الحجاج بن يوسف هذا العام يتوعده ان ذكرها او عرض باسمها .[٧] وها عمر يرى الجمال ولا يجرؤ ان يدنو منه . لقد تهيأ باجمل ما يقدر عليه من الحلل والثياب ، واخذ يرقبها حتى استقرت في قبتها التي ضربت لها في المسجد الحرام . انه يدور حولها ويخشى ان يقول فيها الشعر او يذكرها باسمها فَرَقاً من عبد الملك والحجاج .[٨] ولعل فاطمة لا تعلم بتهديد الحجاج لعمر، ولعلها ترغب ان يذكرها عمر . قال الجاحظ : فكانت تتطلع الى عمر كثيراً وكانت تسأل من دخل عليها عنه

---

١) الازرقي ١ : ٣٣٦ و ٣٤٠ والاصبهاني ١ : ٧٩– ٨١ و ٦ : ٣٧ و ١٠ : ٦٠ و ١١ : ٤٩
٢) العمري ١١٥ وفيه عن منى : وكانت في قديم الاسلام موسم لقاء الحبائب .
٣) ابن ابي ربيعة (ش) ق ٣٥٣
٤) الاصبهاني ١ : ٨٨
٥) الاصبهاني ١ : ٧٧
٦) الاصبهاني ٢ : ١٣٨
٧) " ١ : ٧٨
٨) " ١ : ٧٨

رجاء ان يكون قد قال شيئاً ، فلم يفعل حتى قضت الحج .[1] لقد ارتحلت الآن فلم يستطع عمر ان يملك نفسه اكثر مما فعل فيقول فيها الشعر ولكنه لا يذكر اسمها :

كدت يوم الرحيل اقضي حياتي ليتني مت قبل يوم الرحيل
لا اطيق الكلام من شدة الخوف م ودمعي يسيل كل مسيل[2]

وكيف تعلم فاطمة ان عمر قال فيها الشعر ؟ زعم الجاحظ انها حين رحلت نزلت من مكة على اميال ، فاقبل راكب من مكة ، فسألته : من اين اقبلت ؟ قال : من مكة . قالت : عليك وعلى فرقة انت منها لعنة الله ! قال : ولِمَ يا ابنة عبد الملك ؟ قالت : قدمنا مكة فاقمنا شهراً فما استطاع الفاسق عمر ابن ابي ربيعة ان يزوّدنا من شعره ابياتاً كنا نلهو بها في سفرنا هذا . قال : فلعلّه قد فعل . قالت : فاذهب اليه واسأله ولك في كل بيت تاتيني به منه عشرة دنانير . فاقبل الرجل واتى عمر ابن ابي ربيعة فاخبره الخبر . فقال له : قد فعلت ، ولكن احب ان تكتم علي . قال : افعل . ثم انشده :

راع الفؤاد تفرّق الاحباب يوم الرحيل فهاج لي اطرابي

وفيها يقول :

وعصيت فيك اقاربي فتقطعت بيني وبينهم عرى الاسباب
فبقيت كالمهريق فضلة مائه في حرّ هاجرة للمع سراب

ثم اتى اليها بالابيات فاعجبت بها وامرت جواريها بحفظها ووفت له بما وعدت .[3]

ويتنقل عمر بين المواكب يتصفح الوجوه الجديدة ، وهوذا فتاة من اجمل نساء زمانها . زعم بعضهم انها حجيّة ، وقال آخرون بل خزاعيّة ، قد اعتدلت في هودجها ، واستظهرت في هيئتها وحسرت بُردها ، فلفتت نظر عمر ، ووقعت في قلبه ، فمال اليها يحادثها ويسائلها ويتعرف اليها عسى ان يجرّ شأن شؤوناً . فلم يلبثا ان تحاباً وهوذا هو يقول فيها نونيته المشهورة :

اصبح القلب في الحبال رهينا مقصداً يوم فارق الظاعنينا[4]

---

١) الجاحظ (م) ٢٢٥
٢) الاصبهاني ١ : ٧٨
٣) الجاحظ (م) ٢٢٦
٤) الاصبهاني ١ : ٨٦—٨٨

ويطوف عمر في موسم آخر بين مواكب الحجّاج ، وهي ذي عائشة بنت طلحة تحج ، واذا حجّت عائشة فانما تسير في موكب يلفت الانظار ، رواحل عليها القباب ، وبغال عليها الهوادج ، وخدم وحشم وموالٍ ، وهي على بغلتها الشهباء وامامها حادٍ يحدو بها :

عائشَ يا ذات البغال الستين لا زلت ما عشت كذا تحجّين [١]

وها هي ذي قد هيأت نفسها للطواف ، وها هو يرقبها لكي يوافقها وهي ترمي الجمار . انه يطوف حولها ليرى وجهها ، وهي تداريه وترفق به خوفاً من ان يتعرّض لها ، ولكنه يباغتها عند رميها الجمار سافرةً ، فينظر اليهـا ، فتقول : اما والله لقد كنت لهذا منك كارهةً يا فاسق ! فينصرف عمر ليقول فيها :

يا ام طلحة ان البين قد افدا قلّ الثواء لئن كان الرحيل غدا
امسى العراقي لا يدري اذا برزت من ذا تطوّف بالاركان او سجدا [٢]

ويراها في وقت آخر وهي تريد الركن تستلمه فتبعث اليه بجاريتها تقول له : اتقِ الله ولا تقل هجراً فان هذا مقام لا بدّ فيه مما رايت . فيقول للجارية : اقرئيها السلام وقولي لها ابن عمك لا يقول الاّ حسناً .[٣]

وتمر ايام الحج سراعاً وقلبه مقسوم بكل مكان ، لا يكاد يترك جميلة حتى يتلقى أخرى ، ولا يكاد يشيّع حبيبة حتى يعلق أخرى ، يتحدث مع هذه ، ويتودد الى تلك ، ويضرب موعداً مع ثالثة ، ثم تنقضي هذه الايام وهو لم يرتو منها ، وقد قضى وقته بين لقاء ووداع ، وسلام واجتماع ، وحديثٍ وعبثٍ ولهو ، فما تكاد تتفرق مواكب الحجاج ويسير كل غريب عائداً الى وطنه حتى تراه وقد جزع وتحسر على فراقهم ، وتلهف على كل لحظة فاتت ولم يتمتع بها بذلك الجمال الذي كان يقصده ، او يهنأ بذلك الحب الذي كان ينشده ، فيصرخ من اعماق قلبه :

ايها الرائح المجدّ ابتكارا قد قضى من تهامة الاوطارا
من يكن قلبه صحيحاً سليماً ففؤادي بالخيف امسى معارا
ليت ذا الدهر كان حتماً علينا كل يومين حجّة واعتمارا [٤]

١) الاصبهاني ١ : ٨١ و ١٠ : ٦٠ وراجع جبّور (ع) ١ : ١١٠
٢) الاصبهاني ١ : ٨٠—٨١ ٣) الاصبهاني ١ : ٨٠
٤) ابن ابي ربيعة (ع) ٣٦٦

فيجيبه صاحبه ابن ابي عتيق : الله ارحم بعباده ان يجعل عليهم ما سألته ليتمّ لك فسقك .[١]

ويعود عمر الى نفسه — وقد غمرتها روعة تلك الايام — فاذا بها تذوب شعراً رقيقاً ينثره وراء الغانيات فينتشر في مواكب الحجيج ويتغلغل بين الركبان ، فلا يكاد يصل هؤلاء الى المواطن التي وفدوا منها حتى يروا هذه النفثات السحرية قد وصلت قبلهم اليها واستقرّت فيها . وهو في بعض هذا الشعر يحاول ان يتعزى ويتأسى فلا يرى ما يسلّي به عن نفسه او يردّ اللوم على عاذله سوى الامل بلقاء الاحبّة في الموسم القادم :

فقلت له ما من عزاء ولا أسىً ... بمسلٍ فؤادي عن هواها فاقصرِ
وما من لقاء يرتجى بعد هذه ... لنا ولهم دون التئاف المجمّرِ
فهاتِ دواء للّذي بي من الجوى ... والاّ فدعني من ملامك واعذر[٢]

وكانت النساء تعرف ميل عمر الى العبث ايام الحج ، فكان منهنّ من تخشاه وتنفر منه اذا هو الحّ في ملاحقته لها ، فقد حجّت مرةً امرأة[٣] رآهـا عمر وهو يطوف فاعجبه جمالها ، فدنا منها يكلمها ، فلم تلتفت اليه ، فلما كان في الليلة الثانية جعل يطلبها حتى اصابها ، فعرض لها ، فقالت : اليك عني يا هذا ! فانك في حرم الله وفي ايامٍ عظيمة الحرمة . فالحّ عليها يكلمها حتى خافت ان يشهّرها ، فلما كان في الليلة الاخرى قالت لاخيها :[٤] اخرج معي يا اخي فارني المناسك فاني لست اعرفها . فاقبلت وهو معها ، فلما رآها عمر اراد ان يعرض لها ، فنظر الى اخيها معها ، فعدل عنها ، فتمثلت المرأة بقول جرير :

---

١) الاصبهاني ١ : ٦٩ ٢) ابن ابي ربيعة (ع) ١٩٤ وراجع طه حسين ٢ : ١٤٤—١٤٥

٣) في الاصبهاني ١ : ٦٥ انها امرأة ابي الاسوَد الدؤلي ، وانها اخبرت زوجها بامر عمر فاتى يطلبه ، فرآه في المسجد ، وهو جالس مع قوم ، فعاتبه بابيات شعريّة ، فوعده عمر انه لا يعود لكلامها ، ولكنه حنث بوعده ، فعادت المرأة وشكته الى زوجها ، فعاتبه مرة ثانية ، ثم خرجت المرأة وخرج معها ابو الاسود مشتملاً على سيف ، فلما رآها عمر اعرض عنها ، فتمثل ابو الاسود بالشعر المذكور في آخر القصة . ومن الغريب ان ابا الفرج يذكر اخبار ابي الاسود في باب خاص فلا يذكر بينها قصته هذه مع عمر ، ويذكر في هذا الباب بعض الابيات الشعرية التي عاتب فيها ابو الاسود عمر ولكنه ينسبها لحادثة وقعت بين ابي الاسود وجار له من بني حلبس بن يعمر كان يتعرض له ويؤذيه [الاصبهاني ١١ : ١١٦—١١٧] كذلك تنسب الابيات الاخرى لابي العباس الاعمى مولى بني الديل [الاصبهاني ١٥ : ٦٣]

٤) في الدميري ١ : ٣٢٦ « انت محرمٌ لها » وفي ابن قتيبة (ع) ٤ : ١٠٩ انها امرأة من كلب حجّت مع زوجها .

تعدو الذئاب على من لا كلاب له وتتقي صولة المستأسد الضاري[١]

وكان منهن من كانت تجزع اذا رآها خوفاً ان يفضحها في شعره وقد مر بموكب فتاة فاذا بعجوز تناديها : يا نوار استتري لا يفضحك ابن ابي ربيعة .[٢]

وكان منهنّ من سمعت باسم عمر فاستهواها ، فلم تر باساً في ان تقابله ايام الحج وتتحدث معه . ولقد روَوا ان بنتاً لمحمد بن الاشعث كندية حجّت ومعها امها ، وكانت الفتاة قد سمعت بعمر فارسلت اليه فجاءها ، فارسلت بينها وبينه ستراً رقيقاً تراه من ورائه ولا يراها ، فجعل يحدثها حتى استنشدته ، فانشدها قصيدته :

تشط غداً دار جيراننا والدارُ بعد غدٍ ابعدُ

فاستخفها الشعر ، فرفعت الستر ، فرآها عمر واعجبه جمالها ، فخطبها وارسل الى امها بخمسمئة دينار ، فابت وحجبته وقالت للرسول : تعود الينا . وكأنّ الامر غمّ الفتاة فقالت لها امها : قد قتلك الوجد به فتزوجيه ! قالت : لا والله ! لا يتحدث اهل العراق خلفي اني جئت ابن ابي ربيعة اخطبه ، ولكن ان اتاني الى العراق تزوجته . وتذهب الرواية الى انه سار يشيعها عند عودتها من الحج ، وقال فيها الاشعار .[٣]

وكان عمر حريصاً على الاّ تفوته فرصة تيسّر له الالتقاء بصاحبة يعرفها ، او غانية حُدّث عن جمالها ، فيدنو من هذه متعرفاً اليها ، ويتقدم من تلك مجدداً معها قديم العهود . وكان يضن على نفسه ان يمرّ الموسم دون ان ينال حظّه من اللهو فيه .

والرواة يحدثوننا ان امرأة محرمةً مرّت به فهاجه الشعر فدعا بكتفٍ وكتب الشعر عليه وبعث به اليها وكان ابن ابي عتيق معه فقال له ماذا تريد الى امرأة مسلمةٍ محرمة تكتب اليها بمثل هذا الشعر ؟ قالوا فلما كان بعد مديدة اتى عمر جوابها فدعا بابن ابي عتيق وقرأه له .[٤]

وكان اكثر ما يعرض للحواجّ في الليالي ، مظلمةً كانت او مقمرة :

ما نلتقي الاّ اذا نزلت منى بقبابها
في النفر او في ليلة م التحصيب عند حصابها[٥]

---

١) الاصبهاني ١ : ٣٧
٢) الاصبهاني « د » ١ : ١٥٨
٣) " ١ : ٤١—٤٢
٤) الوشّاء ١ : ٤٥ والمبرد ١ : ٤١٣
٥) ابن ابي ربيعة (ع) ٥٣ و٢٩٤

على ان نور النهار لم يكن ليمنعه من ان يدور حولهن ليتعرف اليهن ، فكان يرقبهن عند سعيهن وطوافهن وكان يرصدهن اذا رمين الجمار ، ويزاحمهن عند تقبيل الحجر الاسود .[1]

وقال يصف حواراً بين فتاتين من صواحبه يذكر فيه ان احداهما نصحت رفيقتها ان تستلم الحجر حين يدنو عمر منه ، وان تُشفَّ بردها كي تشوقه اذا نظر اليها :

وارى شوقي سيقتلني وحبيب النفس ان هجرا
ان نومي ما يلائمني اجلّه يا اخت ان ذكرا
فاجابت في ملاطفة اسرعت فيه لها الحورا
انني ان لم امت عجلاً ارتجي ان راح او بكرا
فاذا ما راح فاستلمي ان دنا في طوفه الحجرا
واشفّي البرد عنك له كي تشوقيه اذا نظرا
فارتني مسفرًا حسنًا خلته اذ اسفرت قمرا

الى آخر الابيات .[2]

ولسنا نغالي اذا زعمنا ان شعره يعجّ بوصف هذه الحياة التي كان يحياها في موسم الحج . ويظهر من هذا الشعر ان لهوه كان على نوعين : احدهما لهوٌ بريء لم يتعدَّ النظر والحديث ، وكان صاحبنا حريصاً على ان يصف هذا العبث البريء كما هو ، فيذكر فتاته ويصف جمالها ويشير الى ان غايته من التعرّض لها انما هي التعرّف اليها والتحدث معها ، بل انه كان يذكر في بعض الاحيان انه لم يحظ من فتاته باكثر من نظرة تركته بعدها قلقاً مضطرباً يعد نفسه الحول ليراها ثانيةً حين يوافي مكة الحجيج :

فلما رايت الحبس في رسم منزل سفاهاً وجهلاً بالفؤاد الموكّل
فقلت لهم سيروا فان لقاءها توافي الحجيج بعد حول مكمّل[3]

وكان يكتفي في بعض الاحيان بوصف الفتاة ومدحها وذكر نسبها الكريم :

---

١) قال ابن قتيبة (ش) ٣٤٨ « كان عمر فاسقاً يتعرض للنساء الحواج في الطواف وغيره من مشاعر الحج ويشبب بهن » وانظر البغدادي ١ : ٣٤٠

٢) ابن ابي ربيعة (ع) ٢٨٠–٢٨١ ٣) ابن ابي ربيعة (ع) ٤٥٠

طافت بنا شمس عشاء ومن رأى من الناس شمساً بالعشاء تطوفُ
ابو امّها اوفى قريشٍ بذمّة واعمامها امّا نسبت ثقيفُ[١]

ولنذكر ان اكثر بنات الاشراف في ذلك العصر لم يرين حرجاً في ان يتحدثن الى شاعرٍ مثل عمر يستنشدنه الاشعار ويسألنه ان يقصّ عليهن بعض اخباره ، ولم يكن يطمح عمر ان ينالَ منهن اكثر من نظرة او حديث او ابتسامة رضى واستحسان. اضف الى هذا ان عمر كان احياناً يحفظ للمكان حرمته وللموسم جلاله ومهابته فيرتدع عن بعض غيّه :

نظرت اليها بالمحصب من مِنى ولي نظر لولا التحرج عازم[٢]

والنوع الآخر لهوٌ فيه دعابة وفسق ومجون ، ويظهر ان شيطان الاثم كان يلمّ به فيزيّن له ان موسم الحج خير فرصة تيسر له اللهو ، وانها ايام وتمرّ ، فينسى انه في حرم الله وانه في موسم يبغي الناس فيه اجراً وحسبةً ، فلا يكاد يعزم على ان يكون حجّه مبروراً حتى يصرفه عن عزمه شيطان الغواية فيعود مثقلاً بالاوزار :

وخرجت ابغي الاجر محتسباً فرجعت موفوراً من الوزر[٣]

وهل يستطيع ان يصبر عمر عن اللهو والجمالُ ماثلٌ امامه ؟ اسمعه يقول :

فلم أر كالتجمير منظر ناظر ولا كليالي الحج افلتن ذا هوى
وكم مالئٍ عينيه من شيء غيره اذا راح نحو الجمرة البيضُ كالدُمى[٤]

ويقول :

دار التي صادت فؤادك اذ بدت بالخيف لما التفّ اهل الموسم
قالت لآنسة رداحٍ عندها كالرئم في عقد الكثيب الاجم
هذا الذي منح الحسان فؤاده وشركنه في مخّه والاعظم ؟
قالت : نعم ! فتنكبي بي ، انه ذرب اللسان إخاله لم يسلمِ[٥]

ولم تكن كل النساء اللواتي تعرّض لهن عمر من بنات الحسب والشرف ، او من ذوات المكانة والعفة والاخلاق ، بل كان بعضهن يتصدين له احياناً فيسهلن له سبل الغواية :

---

١) ابن ابي ربيعة (ع) ٣٦٤–٣٦٥
٢) ابن ابي ربيعة (ع) ٤٧٨
٣) الاصبهاني ٢ : ٧٣
٤) الاصبهاني ٨ : ٥٦
٥) ابن ابي ربيعة (ع) ٤٩٧

ما زال طرفي بحار اذ نظرت حتى التقينا ليلاً على قدر
ابصرها ليلةً ونسوتها يمشين بين المقام والحجر
بيضاً حساناً نواعماً قطفاً يمشين هَوناً كمشية البقر
قالت لترب لها مُلاطفَةً لَتُفسدِنَّ الطواف في عمر
قومي تصدَّي له ليعرفنا ثم اغمزيه يا اخت في خفر
قالت لها قد غمزته فابى ثم اسبطرت تسعى على اثري [1]

ويذكر عمر في بعض هذا الشعر المواضع التي كان يلتقي فيها بصواحبه ، او يعيّن الزمن بحيث يكاد يشعر القارئ الآن ان هذه الحوادث واقعية :

قد هاج حزني وعادني ذكري يوم التقينا عشيّة النفر
بالفجّ من نحو دار عقبة والحجّ م سريع الطواف والصَّدَرِ

الى ان يقول :

قالت لترب لها منعّمةٍ كالرئم يقرو نواعم الشجر
هل من رسول يكمي حوائجنا بحاجةٍ تشتهي الى عُمَرِ
فجاءني ناصح أخو لطُفٍ فقال في خفية وفي سَتَرِ
تقول ان لم نزرك من حذرٍ م الكاشح والحاسدين لم تزر
لما أتاني خرجت في لطُف بقاطع الشفرتين ذي اشَرِ [2]

ويقول في اخرى :

قادت العينُ اليها قلبه عقب التشريق من يوم الاضاح [3]

وله في اخرى :

ولست بناس مقال الفتاة غداة المحصب اذ جمّروا
الست ملمّاً بنا يا فتى اذا نام عنا الاولى نحذر
فقلت بلى اقعدي ناصحاً ينفّض عنا الذي ينظرُ

الى ان يقول :

فبتّ وليلي كلا او بلى لدبها وبل ليلتي اقصرُ [4]

---

١) ابن ابي ربيعة (ع) ٢٥٠ و (ش) ق ٢٨ والاصبهاني ١ : ٧٠
٢) ابن ابي ربيعة (ع) ٢٥٨ ٣) ابن ابي ربيعة (ع) ١٣٦
٤) " " " " ٢٩٦ وفي هذه القصيدة اشارة صريحة الى فسقه

وله يصف عبثه مع فتاة كانت في الحج لعلّه لم يعرفها من قبل :

هاج فؤادي موقفُ ذكّرني ما اعرفُ
ممشاي ذات ليلةٍ والشوق مما يشغفُ

الى ان يقول :

قلت لها من انتم لعلَّ دارًا تسعفُ
فابتسمت عن واضحٍ غرّ الثنايا ينطفُ
واومضت عن طرفها يا حسنها اذ تطرف
وارسلت فجاءني بناتها المطرَّف
ان بت لدينا ليلةً نحيي بها ونلطف

الى ان يقول :

لما دنا تقاربٌ من ليلنا ومصرفُ
قالت لنا ودمعها وجدًا علينا يذرف
لهفًا وليس نافعي عليكم التلهّف
قالت ولم تسالنا والدار عنك تصرف
والدار عنك غربة ونأينا مستشرف
نحن حجيج ضمّنا فمن يُرى المعرّف[1]

وهكذا فقد انتهى امره مع بعضهن الى الاثم والفساد ، والرواة يحدثوننا ان نسوةً من جواري بني اميّة حججن فتعرّض لهن عمر وحادثهن وناشدهن مدة ايام الحج ، ثم كان له معهن شأن ان صحت التفاصيل فيه فهو غايةٌ في المجون .[2] ولكن اكثر هذا العبث او الفسق الذي عرف به عمر وقع بعد انتهاء موسم الحج فمن الخير ان نفرد له باباً خاصًا عند درسنا اخلاقه ، ومن يدري فلعل عمر كان يتخذ الحج وسيلةً يتعرف بها الى صاحباته ، حتى اذا انقضى الموسم سعى في تمكين هذه العلاقات ليصل الى مبتغاه وليتم له لهوه . ومهما يكن من امر فقد كان يشعر عمر في ارتكابه الاثم في الحج حين قال :

يقصد الناس للطواف احتسابًا وذنوبي مجموعة في الطواف[3]

---

١) ابن ابي ربيعة (ع) ٣٥٥–٣٥٨ ٢) الاصبهاني ١ : ٧٠
٣) ابن قتيبة (ع) ٤ : ١٠٧

اخلاقه

دلّ واعجاب بنفسه

واذا ما عثرت في مرطها غضت باسمي وقالت يا عمر

لست اذكر اين قرأت في صغري ان حفيداً لملكةٍ لعلها الملكة فكتوريا كان يرى – وهو صبيّ – انه اعزّ شخصٍ في العالم ، ذلك انه كان يحسب ان مملكة جدته هي اعظم مملكة في العالم ، وان المملكة باسرها هي تحت امرة جدته تستطيع ان تتصرف في امورها كيف تشاء ، وكانت جدته تحبه فكان يرى انه اعزّ شخص لديها ، له دالّة عندها يستطيع بها ان ينال ما يشاء او يفعل ما يشاء في مملكتها ، واذاً فهو يزعم انه اعزّ شخص في العالم. ولعلّ شيئاً من هذا قد كان بنفس صاحبنا عمر . إنه من قريش ، وقريش اسياد العرب ، وهو من مخزوم ، ومخزوم ريحانة قريش ، وهو بعد من بني المغيرة رؤوس بني مخزوم وموضع فخارهم ، وقد أوتي فوق هذا النسب الكريم حظاً عظيماً من الغنى والجمال والفصاحة والشعر ، ونال حظوةً في اعين النساء ، واذاً فليُدلَّ على اقرانه ، وليعجب بنفسه ، وليكن تيّاهاً ، فهو من قوم كرام النِجار لاقدامهم صيغت رؤوس المنابر :

فاني من قوم كرام نجارهم لاقدامهم صيغت رؤوس المنابر[1]

والواقع انه نشأ تيّاهاً مغروراً فخوراً بنفسه وبآبائه وبقبيلته ، شاعراً بمكانتهم وعزّهم بين العرب . لا يرى احداً يستطيع ان ينال منهم :

أبى لي عرضي ان أُضام وصارم حسام وعز من حديث واوّل
مقيم باذن الله ليس ببارح مكان الثريّا قاهر كل منزل
اقرّت معدٌّ انّا خيرها جدّى لطالب عرف او لضيف محمّل
مقاويل بالمعروف خرس عن الخنا قضاة بفصل الحقّ في كلّ محفل
اخوهم الى حصن منيع وجارهم بعلياء عزّ ليس بالمتذلّل

---

١) ابن ابي ربيعة (ع) ٣١٧

وفينا اذا ما حادث الدهر اجحفت نوائبه والدهر جمٌّ التنقّل
لذي الغرم اعوان وبالحق قائل وللحقّ تبّاع وللحرب مصطل
وللخير كسّاب وللمجد رافع وللحمد اعوان وللخيل معتل
نبيح حصون من نعادي وحصننا اشمُّ منيع حزنه لم يسهّل
نقود ذلولاً من نعادي وقرمنا ابيّ القياد روقه لم يفلّل
اولئك آبائي وعزّي ومعقلي اليهم اثيلُ فاسألي اي معقل[1]

ولعلّ القارىء قد لمس هذه الناحية من خلق عمر في خبر مفاخرته للفضل بن عتبة اللهبي في المسجد الجامع ، ومع اننا قد ابدينا شكّنا في صحة هذا الخبر فاننا نجيز لانفسنا الآن قبول ما تمثّله من شعور بني مخزوم عامّة وعمر خاصّة او شعور الرواة على الاقلّ في عزّ هؤلاء القوم ومجدهم وكرمهم ، واعجاب عمر بآله ، بحيث اختاره هؤلاء الرواة في قصصهم ليفاخر هاشميًا يفخر بالنبيّ وآله .

وليس ادلّ على هذه الظاهرة في خلق عمر من اخباره مع الخلفاء او الامراء حين كان يراهم في الحجاز . انه يرد على عبد الملك تحيّته الساخطة بتحيّة مثلها . ويقول لسليمان ابن عبد الملك : اني لا امدح الرجال انما امدح النساء . ويتحدث مع الوليد وهو يرافقه الى الطائف تحدّث الندّ الى الندّ ، ويرى الناس ضحك الوليد اثناء الحديث فيسألون عمر عن الامر ، فيقول : والله ما زلنا في حديث الزنا حتى رجعنا .[2] ويقصده امير مكة الحارث بن خالد راجيًا اياه ان يرافقه الى حلقة لهو وغناء ، فيتكلّف عمر التعب والمرض والعناء ، ولم ينهض الاّ بعد ان اغراه بحديث النسوة وصوت الغريض .[3]

ومن يقرأ شعر عمر يشعر بروح الدلّ والتيه فيه . فعمر يزعم ان النساء هن اللواتي يطلبنه ، فهو البغية والامل والمنى ، وهو القمر المشرق بنوره في سمائهن ، يقصدنه اذا تخلف عنهن ، ويطلبن رضاه اذا عتب عليهن . انه قرّة العين وهمّ النفس ، يتجشّمن طول السهر من اجله ، ويشققن الجيوب لبعاده . واذا كان شيء من هذا صحيحاً ، واذا كانت النساء ترغب في لقياه حقًا ، وتتنافس في التقرب اليه ، وتحبّ التحدث واللهو معه ، افلا يحق له ان يُفتن ويتيه ؟ بلى ! اسمعه يصف مجلساً لصاحباته تخاطب فيه احداهنّ اترابها ، فيقول :

---

١) ابن ابي ربيعة (ع) ٤٥٣
٢) الاصبهاني ١ : ٥٠
٣) الاصبهاني ٦ : ٨٥

قد خلونا فتمنين بنا — اذ خلونا اليوم نبدي ما نسر
فعرفن الشوق في مقلتها — وحباب الشوق يبديه النظر
قلن يسترضينها مُنيتنا — لو اتانا اليوم في سرٍّ عمر
بينما يذكرني ابصرتني — دون قيد الميل يعدو بي الاغرّ
قلن تعرفن الفتى قلن نعم — قد عرفناه وهل يخفى القمر ؟ (١)

واسمعه يقول :

قالت لتربيها لعمركما — هل تطمعان بان نرى عمرا
اني كأن النفس موجبة — ولذاك اطمع انه حضرا
فاجابتاها في مهازلة — واسرّتا من قولها سخرًا
انّا لعمرك ما نخاف وما — نرجو زيارة زائر ظهرا
لو كان ياتينا مجاهرةً — فيمن ترين اذًا لقد شهرا
قالت لها الصغرى وقد حلفت — بالله لا ياتيكما شهرا
فتنفست صعدًا لحلفتها — وهوت فشقت جيبها فطرا
وجرت مآقيها بادمعها — جزعًا وقالت حبّ من ذكرا
يا ربّ اني قد شغفت به — اعقب فؤادي منهم صبرا (٢)

ويقول واصفاً قدوم حبيبته اليه وقد تطيبت بالمسك :

لم يرعني بعد اخذي هجمة — غير ريح المسك منها والقطر
قلت من هذا فقالت هكذا — انا من جشمته طول السهر (٣)

ويقول واصفاً حبّ صاحبته له وتعلقها به :

وانها حلفت بالله جاهدةً — وما اهلّ له الحجاج واعتمروا
ما وافق النفس من شيء تسرّ به — واعجب العين الاّ فوقه عمرُ (٤)

ويقول :

تقول وعينها تذري دموعاً — لها نسقٌ على الخدّين يجري
الست اقرّ من يمشي لعيني — وانت الهم في الدنيا وذكري (٥)

وله يصف تالّم صاحبته لصدوده وهجره ويذكر عزمها على استرضائه :

---

١) ابن ابي ربيعة (ع) ٣٦٤
٢) ابن ابي ربيعة (ع) ٣٧٢
٣) " " " " ٣٦٠
٤) " " " " ٢١٤
٥) " " " " ٣٣٨

للتي قالت لجارات لها ويح قلبي ما دهى عمرا
فِيمَ امسى لا يكلمنا واذا ناطقته بسرا
ابه عتبي فاعتبه ام به صبر فقد صبرا [١]

انه يرى نفسه مُنى صاحبته وموضوع حديثها ، تردد ذكره ، وتهذي به ، وتلهج بحبّه ، وتتقرب اليه :

قالت نشدتك يا لبابُ الم يكن كبر المنى وبه حديثي اجمع [٢]

وقال :

قالت موكلة بحفظ كلامها لمعلّم حاط النعيم شبابه
اخشى عليه العين ان بصرت به وترى صبابتنا به فتهابه [٣]

وقال :

تلك التي قالت لجارات لها حور العيون كواعب اتراب
هذا المغيريّ الذي كنّا به نهذي وربّ البيت يا اترابي [٤]

واسمعه يقول ايضاً :

مرحباً ثم مرحباً بالتي قالت م غداة الوداع يوم الرحيلِ
للثريّا قولي له انت همّي ومُنى النفس خالياً والجليلِ
فالتقينا فرحّبت ثم قالت عمرك الله ايتنا في المقيلِ
في خلاء كيما يرينك عندي فيصدقنني فداك قبيلي
لم يرعهن عند ذاك وقد جئت م لميادهن الاّ دخولي
قلن هذا الذي نلومك فيه لا تحجّي من قولنا بفتيلِ
فصليه قلن تُلامي عليه فهو اهل الصفاء والتنويلِ
قالت انصتن واستمعن مقالي لست ارضى من خلّتي بقليلِ
قد صفا العيش والمغيريّ عندي حبّذا هو من صاحب وخليلِ [٥]

أرايتَ الى اي حدّ كان تيهه ودلّه ؟ أرايت كيف انه يرى نفسه معشوق الغانيات ومناهن ؟ انهن يتهالكن عليه ، ويستبقن الى حبّه ، ويتنافسن في اصفائه الودّ والصبابة ،

---

١) ابن ابي ربيعة (ع) ٢٨٠
٢) ابن ابي ربيعة (ع) ٢٣٤
٣) " " " " ٦٤
٤) " " " " ٧٣
٥) " " " " ٤١٥

وانّ صاحبته لتفتخر امام اترابها بحبه وتزعم لهن انّ لها مكاناً في قلبه ثم تدعوه ان يزورها ليرينه عندها فيصدقنها . وهل بعد هذا العجب من مزيد ؟ انه يزعم ان صاحبته كابدت عناء السفر الى مكة في الحج لتراه ، ولولاه لم يكن لها حج ذلك العام ولا طواف :

اومت بعينيها من الهودج لولاك هذا العام لم احجج
انت الى مكة اخرجتني ولو تركت الحج لم اخرج [1]

بل قد غلا في تيهه حتى زعم ان صاحبته اذا عثرت في ازارها نهضت هاتفة باسمه مستنجدةً به .

واذا ما عثرت في مِرطها نهضت باسمي وقالت ياعمر [2]

ولقد احس القدماء من معاصري عمر والمتأخرين عنه بهذه الظاهرة في خلقه وشعره ، فقال الحارث بن خالد المخزومي عنه : كان عمر مهيباً معظماً لا يقدم عليه سلطان ولا غيره .[3] وسمع ابن ابي عتيق وهو صديقه الحميم ابياته التي يقول فيها : « قد عرفناه وهل يخفى القمر » فقال له : انت لم تنسب بها وانما نسبت بنفسك ، انما كان ينبغي ان تقول : قلت لها ، فقالت لي ، فوضعتُ خدّي ، فوطئتْ عليه .[4] وزار عمر مرةً الشاعر كثيّر عزّة ، وكان مع عمر جماعة من اصحابه ، فجلسوا وتحدثوا قليلاً ، ثم اقبل كثيّر على ابن ابي ربيعة ، فقال له : يا اخا قريش والله والله لقد قلت فاحسنت في كثير من شعرك ، ولكنك تخطىء الطريق ، تشبب بها ثم تدعها وتشبب بنفسك ، اخبرني عن قولك :

قالت لتربٍ لها تحدّثها لتُفسدنّ الطواف في عمر

— الى آخر الابيات — اردت ان تنسب بها فنسبت بنفسك ، والله لو وصفت بهذا هرّة اهلك كنت قد اسأت صفتها . أهكذا يقال للمرأة ؟ انما توصف بالخفر وانها مطلوبة ممنّعة .[5]

---

١) ابن ابي ربيعة (ع) ١٢٢ ٢) الاصبهاني ١ : ١٠٥ و ١٠٦
٣) الاصبهاني ٦ : ٨٥ ٤) المرزباني ٢٠٤ وفي الاصبهاني ١٦ : ٩٥ ان بنتاً للجودي بن عدي بن ابي عمرو الغساني كانت ذات حسن وجمال ودل وتيه وكان لها ولائد وجوارٍ فاذا حلفت احداهن حلفت بابنة الجودي واذا عثرت احداهن قالت يا ابنة الجوديّ .
٥) المرزباني ١٦٣ — ١٦٤ وانظر ابن عبد ربه ٣ : ١٦٣

وأنشد المفضل بن سلمة ابيات عمر التي يقول فيها :

عاود القلب بعض ما قد شجاه من حبيب امسى هوانا هواه
ما ضراري نفسي بهجرة من م ليس مسيئاً ولا بعيداً نواه
واجتنابي بيت الحبيب وما م الخلد باشهى اليّ من ان اراه

فاخذ يضع من شعر عمر في الغزل ويقول : انه لم يرقّ كما رقّ الشعراء ، لانه ما شكا قط من حبيب هجرا ، ولا تألم لصدّ ، واكثر اوصافه لنفسه وتشبيبه بها ، وان احبابه يجدون به اكثر مما يجد بهم ، ويتحسرون عليه اكثر مما يتحسر عليهم ؛ الا تراه في هذا الشعر — وهو من ارق اشعاره — قد ابتدأه بذكر حبيب هواه هواه ، ووصف انه هو هجره من غير اساءة ، واجتنب بيته مع قربه ، وفي غير ذلك يقول : « قد عرفناه وهل يخفى القمر » يصف وصفهن اياه بالحسن ، ويقول :

قالت لفيّمها واذرت عبرةً ما لي ومالك يا ابا الخطّاب
اطمعتني حتى اذا اوردتني حلأتني ولم أستتمّ شرابي[1]

وشرح البغدادي رائية عمر حتى اذا بلغ الى قول عمر :

قفي فانظري أسماء هل تعرفينه اهذا المغيريّ الذي كان يذكر
اهذا الذي اطريت ذكرًا فلم اكن وعيشك انساه الى يوم أقبر

قال : وهذا على طريقته فانه كثيراً ما يتغزّل بنفسه زعماً منه ان المخدّرات يعشقنه لحسنه وجماله وقد عيب عليه.[2] غير ان الاصبهاني روى ان الزبير بن بكار قال : ادركت مشيخةً من قريش لا يزنون بعمر ابن ابي ربيعة شاعراً من اهل دهره في النسيب ، ويستحسنون منه ما يستقبحون من غيره من مدح نفسه والتحلّي بمودّته والابتيار في شعره.[3]

وكانت النساء تعرف هذا التيه في عمر ، فينكر بعضهن على البعض الآخر افتتانهن به ، فقد رووا ان احداهن قالت فيه : اما والله لو كنت كبعض من يواصل لما رضيت منه بما يرضين.[4]

---

١) المرزباني ٢٠٤ — ٢٠٥ ٢) البغدادي ٢ : ٤٣٠
٣) الاصبهاني ١ : ٥٣ وفيه : والابتيار ان يفعل الانسان الشيء فيذكره ويفخر به
٤) الاصبهاني ١٢ : ٧٨

وغاضبته الثريا مرةً فقالت: والله لئن سامت له لاردنّ من شأوه، ولاثنينّ من عنانه، ولاعرفنّه قدر نفسه.[١]

سهولة خلقه

وكان عمر على تيهه ودلّه واعجابه بنفسه سهل الطبع، دمث الخلق، حسن المعشر. ولعلّ هذا هو الذي دفع هؤلاء القدماء ان يستحسنوا منه ما يستقبحونه من غيره. ولست اعرف حادثة واحدة تعرض فيها عمر لاحد بخصام او نزاع. وكان يتجنّب — وهو مع اصحابه — الظهور بمظهر المتسامي عليهم. ولعلّ هنا خير موضع نقرّر فيه ان عمر لم يكن متكبّراً قطّ، فالدلّ والاعجاب شيء والكبرياء شيء آخر.

والرواة يذكرون انه لما انطلق عمر من المدينة راجعاً الى مكة في احدى رحلاته خرج معه الاحوص مشيعاً له، ثم مرّا على وَدّان وبها منزل نصيب فعارضها وصار معها، حتى اذا نزلوا موضعاً يقال له الجُحفة او عُسفان خرج الاحوص لحاجة فرأى كثيراً، فرجع فاخبرهما، فقال عمر: ابعثوا اليه ليصير الينا. فقال الاحوص: اهو يصير اليك؟ هو والله اعظم كبراً من ذلك وأتيهُ قال: فاذا نصير اليه. فصاروا اليه. وكان كثيّر سيء الادب في استقبالهم، فقد زعموا انه لم يوسع لعمر ابن ابي ربيعة، وما وقف لاحد، وكان فظّاً في حديثه معهم، فاخذ ينقد اشعارهم، ولكن عمر لم يرد عليه ولم يتعرض له بل اكتفى في ان قال لرفاقه لما خرجوا: هذا أخبث مدخول عليه في العرب.[٢]

وتعرض لعمر شاعر آخر هو الحزين الكناني فعيّره بامور نسبها اليه وهجاه، ولكن عمر كان شريفاً لبقاً في ردّه عليه، وكان جوابه جِدّ مفحم لمثل هذا الوقح الذي كانت الناس تتقي هجاءه فانه قال له: اذهب! اذهب ويلك! فانك لا تحسن ان تقول:

ليت هنداً انجزتنا ما تعد ... وشفت انفسنا مما تجد
واستبدت مرةً واحدة ... انما العاجز من لا يستبد[٣]

كذلك يجب ان نذكر انّ شعره لم يخل من بعض المواقف التي كان يتودد لصاحباته فيها

---

١) الاصبهاني ١ : ٨٦
٢) المرزباني ١٦٣ — ١٦٤
٣) الاصبهاني ١ : ٩١

طالباً رضاهنَّ ، مظهراً شيئاً من الخضوع والانكسار والتذلل للحبيبة التي علقها . قال :

انت الاميرة فاسمعي لمقالتي ... وتفهمي من بعض ما لم تفهمي
اني اتوب اليك توبة مذنب ... يخشى العقوبة من مليك منعم
حتى انال رضاك حيث علمته ... بطريف مالي والتليد الاقدم

الى ان يقول :

لو كفّي اليمنى سألتك قطعتها ... ولذقت بعد رضاك عيش الاجذم[1]

وله ايضاً :

قد تراضيناه عدلاً بيننا ... وجعلناه اميرًا وحكم
فعليه الآن ان ينصفنا ... ويجد اليوم ما كان حرم
او يردّ الحكم عنه بالرضا ... فعلينا حكمه فيما احتكم
وله الحكم على رغم العدى ... لا نبالي سخط من فيه رغم[2]

وله :

ارحمينا يا نعم مما لقينا ... وصلينا فانعمي او دعينا
عنك ان تسألي فدى لك نفسي ... ثم تاتين غير ما تزعمينا

الى ان يقول :

فلئن كنت قد تغيرت بعدي ... ورضيت الغداة ان تصرمينا
ونسيت الذي عهدت الينا ... في امور خلون ان تعلمينا
لا تزالين آثر الناس عندي ... فاعلمي ذاك في الهوى ما حيينا[3]

وله ايضاً :

اعبدة ما ينسى مودتك القلب ... ولا هو يسليه رخاء ولا كربُ
ولا قول واش كاشحٍ ذي عداوة ... ولا بعد دار ان نأيت ولا قربُ
وما ذاك من نعمى لديك اصابها ... ولكن حبًّا ما يقاربه حبُّ
فان تقبلي يا عبد توبة تائبٍ ... يتب ثم لا يوجد له ابدًا ذنبُ
اذلّ لكم يا عبد فيما هويتم ... واني اذا ما رامني غيركم صعب

---

١) ابن ابي ربيعة (ع) ٥٠٠
٢) ابن ابي ربيعة (ع) ٥١٧
٣) " " " " ٥٧٨

واعذل نفسي في الهوى فتعوقني ويأصرني قلب بكم كلف صبّ
وفي الصبر عمّن لا يؤاتيك راحة ولكنه لا صبر عندي ولا لبّ [1]

وله :

بنفسي من اشتكي حبه ومن ان شكا الحب لم يكذبِ
ومن لا سلاح له يتقى وان هو نوزل لم يغلب
ومن لا ابالي رضا غيره اذا هو سرّ ولم يغضب
ومن لا يطع بنا اهله ومن قد عصيت له اقربي
ومن لو نهاني عن حبّه من الماء عطشان لم اشرب
ومن ان تسخّط اعتبته وان يرني ساخطاً يعتب [2]

ولعلّ القارىء لاحظ كيف ان عمر يعود الى بعض تيهه ودله بنفسه حتى في ابياته هذه التي يتذلل بها الى صاحبته ، فاذا قال :

ومن ان تسخط اعتبته . عاد فقال : وان يرني ساخطاً يعتب

واذا قال :

بنفسي من اشتكي حبه . عاد فقال : ومن ان شكا الحب لم يكذب

فهو يذلّ ويتيه ، ويخضع ويمتنع ، وينكسر فيتجبر . ويجب ان نذكر ان كثيراً من هذا الشعر الـذي اذلّ نفسه به لا يمثل طبيعته تماماً ، ولعلّ قسماً منه قد وضع على سبيل الفنّ ، او ارضاء لهؤلاء الذين نعوا عليه تيهه ودلّه في غزله فقالوا له : ما هكذا توصف الفتاة . وقالوا له : كان يجب ان تقول وضعت لها خدي فوطئت عليه .

وسنختم هذه الكلمة ببيت شعر له يمثل حالتيه في ذلّه ودلّه ، او ان شئت فقل يمثل فتنه في هذا الباب :

قلت يا سيدتي عذبتني قالت اللهم عذبني اذن [3]

الخاتمة

فـاذا نعجة تراعي نعـاجاً ومهاً ججّ المنـاظر عِينا
قلت : من انتم ؟ فصدّت وقالت : أمبدٌ سؤالك العالمينا ؟

١) ابن ابي ربيعة (ع) ٢٣
٢) " " " ٢٥
٣) " " " ٥٦٦

وبلغ الثريا هذا البيت الاخير
فقالت : انه لسأل مُلحّ .

إنه لسأل ملحّ ملحفٌ فيما يحاول او يسعى اليه ، يكاد لا يعرف اليأس ولا الملل ، يواظب على الشيء الذي يحاوله حتى ينال مبتغاه منه ، ويجدّ وراء غرضه حتى يُقضى ، ويُلحّ في طلب حاجته حتى تُدرك .

وقد يبدو لاول وهلة ان هذه الظاهرة من خلقه لا يمكن ان تجتمع مع تيهه ودلّه وغروره ، ولكنّ من ينعم النظر يرَ انها اقرب ما يكون الى هذا الدلّ او الغرور ، بل لعلّها اثرٌ من آثاره ، فهو اذا طلب حبيبه فتمنّع عليه أبت عليه نفسه المفتونة العنيدة ان يخذل في هذا السعي ، فلا يزال وراء حبيبه مُلحًّا ملحفاً حتى ينال وطره منه ، وهناك يعاوده تيهه وغروره فيفخر في أنه اخضع هذا المتمنّع وقد جاء دوره ليدلّ ويتيه .

ونلمس هذه الناحية من خلقه في اكثر الاخبار التي ذكرها الرواة عنه ، وفي القصص التي تنسب وقائعها اليه فيما يتعلق بحبه ولهوه مع صاحباته وسواهن .

ولعلّ القارىء لا يزال يذكر خبر عمر مع تلك المرأة المحرمة التي كانت تردُه كلما عرض لها ، فان الرواة يزعمون انه ظلّ يلحّ عليها حتى استنجدت برجلٍ من ذويها يدفع عنها شرّ عمر ، فلما طاف قريبُها معها عدل عمر عنها .

ولم يكن زواجه من كلثم بنت سعد المخزومية الاّ نتيجة الحاحه وسعيه الحثيث وراءها ، فقد كان يرسل اليها رسله فتضربهم وتؤذيهم وتحلفهم الاّ يعاودوا ، فيتحامونها ، فيعود عمر ويرسل غيرهم حتى افلح في مهمّته . وقد احسّت هي نفسها هذا الامر وادركت هذا الخلق فيه فقالت للجارية بعد أن قرأت رسالة عمر اليها : انه خدّاع مَلِقٌ[1] وليس لما شكاه اصل . فقالت الجارية : وما عليكِ يا مولاتي من امتحانه ؟ قالت : قد اذنت له وما زال حتى ظفر ببغيته .[2]

ولعمر قصة أخرى روى الرواة انها وقعت له مع رملة اخت عبد الملك بن مروان ، وزعم عمر فيها ، وهو يقصُّها عن نفسه ، انه عندما زارت رملة الحجاز رغبت في ان ترى عمر وتحادثه دون ان يعرفها ، ولكنّ عمر استطاع بمهارته ان يعرف انها رملة . وتذهب الرواية الى انها ارتحلت عائدةً الى الشام فارتحل هو الآخر معها ، وجعل ينزل بنزولها ويركب

---

١) يعطي بلسانه ما ليس بقلبه ٢) الاصبهاني ١ : ٨٣

بركوبها حتى كادوا يبلغون الشام . ولم يرجع عنها عمر الّا بعد ان اخذ منها قيصاً يذكرها به .[1] والرواية في رأينا مخترعة ولكن المخترع قد استعار فيها ما يدل على هذه الظاهرة من خلق عمر خير دلالة .

وشيء مثل هذا رويناه عن عمر وفاطمة بنت عبد الملك ، فانها حين حجت بعث الحجّاج اليه يتهدّده ان ذكرها بشعره ، ولكنّ عمر جعل يدور حولها حتى رآها ، وقال فيها الشعر دون ان يذكر اسمها .

ولعلّ زواج عمر من الفتاة الجمحيّة لم يتم لولا الحاحه في طلبها وسعيه المتواصل وراءها حتى بلغ الى ما يريد .

ويذهب بعض الرواة الى ان نونيّة عمر المشهورة :

اصبح القلب في الحبال رهينا مقصداً حين فارق الظاعنينا

قالها في امرأةٍ اسمها رملة بنت عبد الله بن خلف الخزاعية ، وزعموا ان الثريّا محبوبته سمعت ابيات هذه القصيدة في رملة فهجرته ، وقد علّقت الثريّا على الابيات تعليقاً صوّرت به هذه الظاهرة في خُلُق عمر — وهي ادرى الناس بعمر — خير تصوير .

قالوا : لما انشدتها ام نوفل قول عمر :

اصبح القلب في الحبال رهينا مقصدًا يوم فارق الظاعنينا

قالت الثريّا : انه لوَقاحٌ صَنِعٌ بلسانه ، ولئن سلمت له لَأَردنَّ من شأوه ولَأَثنينَّ من عنانه ولاعرفنّه نفسه . فلما بلغت الى قوله :

قلت من انتمُ فصدَّت وقالت أمبدٌ سؤالك العالمينا

قالت : انّه لسأَل ملحّ ولقد اجابته إن وفت .[2]

وقد وصف عمر الحاحه في هذه القصيدة نفسها حين قال :

فرأت حرصيَ الفتاة فقالت خبّريه من اجل من تكتمينا

ولقد احسّ القدماء بهذا ، فقال ياقوت : كان عمر كثير المخاطبة للنساء .[3] وقال

---

١) الجاحظ (م) ٢٤٧ والاصبهاني ١ : ٧٦ وليلاحظ الاختلاف بين الروايتين

٢) الاصبهاني ١ : ٨٦ ٣) ياقوت ٢ : ٢٨١

الرياشي : ان عمر كان قد الحّ على الثريا بالهوى فشقّ ذلك على اهلها .[١] وذكر الاصبهاني انه لما كانت الثريا تصيف بالطائف كان عمر يغدو كل غداة على فرسه يسأل الركبان الذين يحملون الفاكهة من الطائف عن الاخبار من قبلهم .[٢] ولم يكن عمر يقصد من هذا غير سماع اخبار الثريا . حديثه او حديث عنه .

ويظهر ان اكثر صاحباته كنّ يعرفن هـذا الخلق فيه ، وكان بعضهن يلمنه عليه ، وله شعر في غانية احبّها يزعم فيه انهـا اخذت عليه سعيه المتواصل وراء النساء غير آبه للوم اللوام .

وكنتَ تبوعًا للهوى مصحبًا له اذا اعجبتك الآنسات النواعم
تكلف افراس الصبا تعبًا له ولست تبالي ان تلوم اللوائم
ووكلت افراس الصبا بطلابها زمانا فقد هانت عليك الملاوم[٣]

وقال في أخرى يصف شعورها بالحاحه :

قالت سعيدة والـدموع ذوارف منهـا على الخدّين والجلبـاب
ليت المغيريّ الـذي لم نجزه فيا اطـال تصيّدي وطـلابي[٤]

وله من شعر يذكر فيه رأي فتاته حين لامته على الحاحه في حبّه وتسرعه في الدخول الى خبائها دون خوف او خشية من رقيب ، فيقول :

فقلت دعاني حبّكم فاجبته اليك فقالت بل خلقت عجولا[٥]

وله يصوّر الجهد الذي يعانيه ودأبه وراء الحبيب :

فتذوقان بعض ما ذقت منها وتَدَابان حقبةً مثل دابي[٦]

او :

ما أنسَ لا أنسَ غداةَ لقيتها بِمِنى تريد نحيتي وعتـابي
وتلدّدي شهرًا اريد لقاءها حذر المدو بساحة الاحباب[٧]

---

١) الاصبهاني ١ : ٩٣
٢) الاصبهاني ١ : ٨٥
٣) ابن ابي ربيعة (ع) ٤٨٠
٤) ابن ابي ربيعة (ع) ٣٨
٥) " " " " ٤٢٣
٦) " " " " ٨٣
٧) " " " " ٧٣

وكان حذقاً في الحاجه يستعين بما أوتيه من مهارة وفنّ وحيلة للوصول الى غرضه ، ويكفي ان نشير هنا الى حادثته مع كلثم بنت سعد المخزومية التي كانت تعذّب رسله اليها حتى تحاموها ، فان عمر لم يملّ ولم يضجر وما زال يبتدع الحيل حتى وفّق في مسعاه .

وكانت تجوز بعض حيله على اصحابه فيسخّرهم لاغراض حبّه . زعموا ان بنتاً لمحمد بن الاشعث حجّت ذات عام فراسلها عمر ، فعلقته ، فوعدها ان يتلقّاها مساء الغد وجعل الآية بينه وبينها ان تسمع ناشداً ينشد شيئاً ضاع ان لم يمكنه ان يرسل رسولاً يعلمها بمسيره الى المكان الذي وعدها . قال بديح : فلم اشعر به الا متلثّما فقال لي : يا بديح ائتِ بنت محمد بن الاشعث فاخبرها اني قد جئت لموعدها ، فابيت ان اذهب وقلت : مثلي لا يُعين على مثل هذا . ويظهر ان عمر لم يلق رسولاً غير بديح فاعاد عليه الكرّة بعد ان استعان بالحيلة التي كان قد ابتدعها فجازت على الرجل . قال بديح : فغيّب بغلته عنّي ثم جاءني فقال لي : قد اضللت بغلتي فانشدها لي في زقاق الحاج . فذهبت فنشدتها ، فخرجت عليّ بنت محمد بن الاشعث وقد فهمت الآية واتت لموعده ، وذلك قوله :

وآية ذلك ان تسمعي اذا جئتكم ناشدا ينشد

قال بديح فلما رايتها مقبلة عرفت انه قد خدعني بنشدي البغلة فقلت له : يا عمر لقد صدقت التي قالت :

فهذا سحرك النسوان م قد خبّرني خبرك

قد سحرتني وانا رجل فكيف برقة قلوب النساء وضعف رأيهن ، وما آمنك بعدها ، ولو دخلت الطواف ظننتُ انك دخلته لبليّة . قال : وحدثها بحديثي فما زالا ليلتهما يفصلان حديثهما بالضحك مني .[1]

ولعلّ هذه الصفة في خلقه قد أثّرت الى حدّ ما في شعره ، فقد نهج في بعض قصائده نهجاً يشير الى هذا الالحاح والالحاف في خلقه بحيث كان لا يكتفي بذكر اسم محبوبته مرة او مرتين فقط ، بل كان يكرره في كثير من الاحيان اربع او خمس مرات ، وكان يكرر بعض العبارات او المقاطع مراتٍ متتالية كأن يذكر العبارة في البيت الاول ثم يعيدها في البيت الثاني وهكذا حتى يكررها ما شاءت له طبيعة خلقه هذه . ونرى في

١) الاصبهاني ١ : ٤٠

رائيته المشهورة انه قد ذكر اسم نعم في كل بيت من الابيات الخمسة الاولى . وله قصيدة أخرى في نعم ذكر اسمها اربع مرات في اربعة ابيات .[١] وله فيها قصيدة اخرى في اول كل بيت من ابياتها « خليلي » .[٢] وله قصيدة في فتاة قال فيها « وقولا لها » ست مرات ثم « وقولا لها » مرةً ثم « وقولا له » ثلاث مرات ثم يختمها بـ « وقولا لها ».[٣] وله قصيدة صغيرة بدأهـا بقوله « بنفسي من اشتكي حبه » ثم عطف على اسم الموصول « من » سبعةً اخرى في ستة ابيات وقعت واحدة منهـا في مستهل عجز احد الابيات والباقية في مستهل الصدور .[٤] وله مقطوعة من اربعه ابيات في جارية اسمها حميدة ذكرها في كل بيت منها .[٥]

ولعل هذه الناحية ايضاً قد اثّرت في الوحدة او الرابطة التي نراها في شعره ، ولكننا سنعرض لشعره على حدةٍ فلنكتف بهذا القدر هنا .

بعض مزايا خلقه الطيّبة

قال ابن ابي عتيق لعمر :
افّ للدنيا بعدك يا ابا الخطاب .
فقال له عمر :
بل عليها بعدك العفاء يا ابا محمد .

لقد سبق لنا فاشرنا الى ان عمر كان — على تيهه ودلّه — حسن المعشر سهل الطبع سامي الشعور محبّباً الى الناس مقرّباً اليهم بعيداً عن إثارة الخصام بينه وبين الناس محافظاً ما امكنه على الودّ والوفاء لمن اخلص له الحب من اصحابه . وسنحاول الآن ان نتوسع في تصوير هذه النواحي من خلقه مستعينين ببعض قصصه وشعره واخباره .

---

١) ابن ابي ربيعة (ع) ٥٢٩
٢) ابن ابي ربيعة (ع) ٤٨٨
٣) " " " ٤٨٣
٤) " " " ٢٥
٥) " " " ٢٧٦

لطيف العشر

وليس ادلّ على لطف معشره وحسن صحبته من قصته التي ذكرنا في بحثنا عن سبل لهوه حين وفد على جميلة المغنيّة مع الاحوص وابن ابي عتيق ، فعرضت عليهم الشراب ، فامتنع ، واقبل الاحوص يلومه ، فلم تشأ جميلة ان ترغم عمر على ذاك ودعت ابن ابي عتيق فلم يمتنع ، فلم يلبث عمر ان رجع عن عزمه وشاركهم في شرابهم وخلط روحه بروحهم ، وقال : لا اكون اخسكم فعلًا ، افعلوا ما شئتم تجدوني سميعاً مطيعاً . ولقد كان ابن ابي عتيق يقدر لعمر هذه الصداقة والعشرة حين قال له : إن متّ لاموتنّ معك ! افٍ على الدنيا بعدك يا أبا الخطّاب ![1] وكانت هذه الظاهرة في خلق عمر من العوامل التي جعلته محبّباً الى الناس حتى الذين نافسوه منهم في حبّ بعض صاحباته ، فقد كان الحارث بن خالد المخزومي ينافسه في حب عائشة بنت طلحة ، وكان في الوقت نفسه صديقه . بل لعلّ هذه الظاهرة ساعدت ايضاً على ان تجعله محبّباً الى النساء بحيث كن يرغبن في صداقته ومعشره . وكان اصدقاؤه من اصحاب الاخلاق الوادعة والعريكة اللينة ، ويكفي ان نشير الى هؤلاء الذين خصصناهم بالذكر ، في هذا الكتاب .

بطيء الغضب

وما ابعد روحه عن العنف والغضب فقد مرّ معنا ان كثيّراً الشاعر اهانه حين اتاه يزوره فلم يغضب . ورأينا موقفه من الحزين الكنانيّ الهجّاء حين عيّره بكسر ثنيتيه وبشربه الخمر . وموقفه حين خرج يطلب ابنته التي كانت تسترضع في هذيل فضلّ الطريق ، فانه لم يحنق ولم يغضب بل أنشد شعراً ينمّ عن روح هادئة ونفس وادعة رضيّة :

لم تدرِ وليغفر لها ربّها ... ما كلّفتنا أمة الواحد
جشّمت الهول براذيننا ... نسأل عن بيت ابي خالد
نسأل عن شيخ ابي كاهلٍ ... اعيا خفاء نشدة الناشدِ[2]

---

١) الاصبهاني ١ : ٩١ ٢) الاصبهاني ١ : ٣٤

شفوق عطوف

وكان شفيقاً حتى على غلمانه. رووا ان الوليد بن عبد الملك حج وقابله عمر وهو شيخ، فسأله الوليد ان ينشده شيئاً من شعره، فقال: يا امير المؤمنين انا شيخ كبير وقد تركت الشعر، ولي غلامان هما عندي بمنزلة الولد وهما يرويان كل ما قلت، وهما لك.[١]

وكذلك كان شأنه في معاملة جواريه لا سيّما اللواتي كنّ على اتصال في شيء من شؤون حبّه كتلك التي ارسلها الى كلثم، وكتلك التي بثها شكواه من الالم والقلق اللذين عاناهما بعد ان عاهد نفسه فيما يزعمون على ان لا يقول شعراً، فقد زعموا انه عرض له ما هاجه على قول الشعر فقاله يذكر فيه حديث جاريته له وحديثه اليها، ثم دعا بعبيد تسعة فاعتقهم للابيات التسعة التي قالها.[٢]

ولم يقتصر عطفه على غلمانه وجواريه بل تعداهم الى بعض العجماوات وقد اتخذ حصاناً اسماه «الكوكب» اتخذ له غلاماً يسوسه اسمه جنّاد وكان كثير العنـاية به، واضطرته بعض الظروف ذات يوم ان يركب حصانه هذا في رحلة طويلة ففعل ثم أدرك انه جهد حصانه فأراحه واكرمه، وقال في ذاك:

تشكى الكميت الجريَ لما جهدته ويبّن لو يستطيع ان يتكلما

الى ان يقول:

لذلك ادني دون خيلي رباطه واوصي به ان لا يهان ويكرما[٣]

مساعد

وكان لا يكتفي باظهار شعوره فقط بل يتقدم الى المساعدة اذا استطاع اليها سبيلا. وقد روى الجاحظ خبراً عنه قال: بينما عمر يطوف بالبيت في حال نسكه فاذا هو بشاب

---

١) الاصبهاني ١ : ٥٣

٢) الجاحظ (م) ٣٤٠ والاصبهاني ١ : ٦٣ والقالي ٢ : ١٠ والحصري ١ : ٢٩٩

٣) ابن ابي ربيعة (ع) : ٤٦٦

قد دنا من شابة ظاهرة الجمال ، فالقى اليها كلاماً ، فقال له عمر : يا عدو الله ! في بلد الله الحرام وعند بيته تصنع هذا ؟ فقال : يا عماه انها ابنة عمي ، واحبّ الناس اليّ واني عندها لكذلك ، وما كان بيني وبينها من سوء قط اكثر مما رايت . قال : ومن انت ؟ قال : انا فلان بن فلان . قال : افلا تتزوجها ؟ قال : ابى عليّ ابوها . قال : ولمَ ؟ قال : يقول ليس لك مال . فقال : انصرفْ والقني اليه . فلقيه بعد ذلك ، فدعا ببغلته فركبها ، ثم اتى عمّ الفتى في منزله ، فخرج اليه فرحاً بمجيئه ، ورحّب وقرّب ، فقال : ما حاجتك يا ابا الخطّاب ؟ قال : لم ارك منذ ايام فاشتقت اليك . فقال : فانزل ! فانزله والطفه ، فقال له عمر في بعض حديثه : اني رايت ابن اخيك فاعجبني تحرّكه وما رايت من جماله وشبابه ، قال له : اجل ما يغيب عنك افضل مما رايت . قال : فهل لك من ولد ؟ قال : لا ! الاّ فلانة . قال : فما يمنعك ان تزوجه اياها ؟ قال : انه لا مال له . قال : فان لم يكن له مال فلك مال . قال : فاني اضنّ به عنه . قال : لكني لا اضن به عنه فزوّجه واحتكم . قال : مئة دينار . قال : نعم . فدفعها عنه وتزوجها الفتى وانصرف عمر الى منزله . فقامت اليه جارية من جواريه فاخذت رداءه والقى نفسه على فراشها وجعل يتقلب ، فاتته بطعام فلم يتعرض له ، فقالت : اظنك والله قد وجدت بعض ما كان يعرض لك من حكم النساء ، فلا تكتمها ، فقال : هاتي الدواة ! فكتب :

تقولي وليدتي لما راتني ... طربت وكنت قد اقصرت حينا
اراك اليوم قد احدثت شوقاً ... وهاج لك الهوى داء دفينا
وكنت زعمت انك ذو عزاء ... اذا ما شئت فارقت القرينا
بعيشك هل اتاك لها رسول ... يسرّك ام لقيت لها خدينا
ففلت شكا اليّ اخ محبّ ... كبعض زماننا اذ تعلمينا
وذو القلب المصاب ولو تعزى ... مشوق حين يلقى العاشقينا
ففصّ علي ما يلقى جند ... واشبه ذاك ما كنّا لقينا
فكم من خلة اعرضت عنها ... وكنت بودّها دهرًا ضنينا
اردت فراقها فصبرت عنها ... ولو جنّ الفؤاد بها جنونا [1]

ولعمر قصة اخرى في مساعدته لاحد اصدقائه ذكرها ابن عبد ربه في عقده ، ولا بدّ من ذكرها كلها اذ فيها ذكر لصديق لم نعرض له مع اصحاب عمر ، وفيها اظهار لبعض نواحي

---

[1] الجاحظ (م) ٢٤٠ والاصبهاني ١ : ٦٣

خلق عمر لا سيما فيما يتعلق بهذه الناحية التي نصف الآن من حبه لمساعدة الغير وسروره في ان يجمع بين الحبيبين كما كان يساعده بعض اصحابه في شبابه ، زد على هذا كله انها تشير الى علاقة عمر مع بني عذرة . ولسنا ندين في ان وقائع هذه القصة قد حدثت حقاً بل اننا نلمس فيها مسحة الوضع والفنّ رغم ان الشعر المذكور فيها مدوّن في ديوان عمر . ويكفي ان نشير هنا الى ان حمّادا الراوية هو الذي رواها ، وحمّاد غير صادق في بعض اخباره .[1]

قال حماد :

« اتيت مكة فجلست في حلقة منها فيها عمر ابن ابي ربيعة القرشي ، واذا هم يتذاكرون العذريين وعشقهم وصبابتهم ، فقال عمر ابن ابي ربيعة : احدثكم عن بعض ذلك . كان لي خليل من عذرة يكنى ابا مسهر ، وكان مشتهراً باحاديث النساء ، يصبو بهن وينشد فيهن ، على انه كان لا عاهر الخلوة ولا حديث السلوة ، وكان يوافي الموسم في كل سنة فاذا ابطأتْ السفار استوقف ، واذا ابطأ استوقفت له ، وانه غاب علي سنة من ذلك خبره حتى قدم وفد عذرة ، فاتيت القوم انشد صاحبي ، فاذا رجل يتنفس الصعداء ، فقال : عن ابي مسهر تسأل . قلت : نعم ! قال : هيهات هيهات ! اصبح والله ابو مسهر لا حيّاً يرجى ولا ميتاً ينسى ، ولكنه كما قال الشاعر :

لعمرك ما هذا الغرام بتاركي صحيحاً ولا اقضي به فاموت

فقلت : وما الذي به ؟ قال : مثل الذي بك من انهاككما في الضلال وجرّكما اذيال الخسران كانكما لم تسمعا بجنّة ولا نار . قلت : ما انت منه يا ابن اخي ؟ قال : اخوه ! قلت : والله انك واخاك كالوشي والبجاد ، لا يرقعك ولا ترقعه ، ثم انطلقت

وانا اقول :

ارائحة حجاج عذرة روحة ولما يرح في القوم قيس بن مهجع
خليلين نشكو ما نلاقي من الهوى فمهما يقل اسمع وان قلت يسمع
الا ليت شعري اي خطب اصابه امن زفرات الهجر من بين اضلع
فلا يبعدنك الله خلاً فانّني سالقى كما لاقيت في الحب مصرعي

---

١) في ابن خلّكان ١ : ٣٣٣ ان مولد حمّاد كان سنة ٩٥ هـ . وعلى هذا لا يمكن ان يكون حمّاد قد ادرك عمر ابن ابي ربيعة كما يقول في روايته التي ستلي ، ولكن ابن خلّكان مخطىء في نظرنا لان حمّاداً كان منقطعاً الى يزيد بن عبد الملك وقد مات يزيد سنة ١٠٥ هو راجع ابن خلّكان ١ : ٣٣١

قال : فلما حججت ووقفت بعرفات فاذا به قد اقبل وقد تغيَّر لونه وساءت هيئته وما عرفته الا بناقته ، فاقبل حتى خالف بين اعناقها ثم اعتنقني وجعل يبكي . فقلت له : ما الذي دهاك ؟ قال : برح الخفاء وكشف الغطاء ثم انشد يقول :

لئن كانت عديلة ذات مطل لقد علمت بان الحب داء
وانك لو تكلفت الذي بي لزال الستر وانكشف الغطاء
وان معاشري ورجال قومي حتوفهم الصبابة واللقاء
اذا العذري مات بجنب انف فذاك العبد تحكيه الرشاء

فقلت : يا ابا مسهر انها ساعة عظيمة تضرب فيها اكباد الابل من شرق الارض وغربها ، فلو دعوت الله كنت قمناً ان تظفر بحاجتك وتنصر على عدوك ، فجعل يدعو حتى اذا مالت الشمس للغروب وهمَّ الناس ان يفيضوا سمعته يهينم بشيء ، فاصغيت مستمعاً فجعل يقول :

يا رب كل غدوة وروحه من محرم يشكو الصبا ونوحه
انت حسيب الخلق يوم الدوحه

فقلت له : وما يوم الدوحة ؟ قال : ساخبرك ان شاء الله ولو لم تسلني . فيممنا نحو المزدلفة ، فاقبل عليَّ وقال : اني رجل ذو مال كثير ونعم وشاء ، واني خشيت على مالي عام اول التلف ، فاتيت اخوالي كلباً ، فاوسعوا لي عن صدر المجلس ، وسقوني جمة البئر ، وكنت منهم في خير احوالي ، ثم اني عزمت على مرافقة اهل ماء لهم يقال له الحوادث فركبت فرسي وعلقت معي شراباً اهداه اليَّ بعض الكلبيين ، فانطلقت حتى اذا كنت بين الحي ومرعى النعم رُفعت لي دوحة عظيمة ، فقلت لو نزلت تحت هذه الشجرة ثم تروحت مبرداً ، ففعلت ، فشددت فرسي ببعض اغصانها ثم جلست تحتها ، فاذا الغبار سطع من ناحية الحي ، ثم تبينت فبدت لي شخوص ثلاث ، فاذا فارس يطرد مسحلاً واتاناً ، فلما قرب مني فاذا عليه درع اصفر وعمامة خز سوداء ، فما لبث ان لحق المسحل فطعنه فصرعه ، ثم ثنى طعنة للاتان ، واقبل وهو يقول :

نطعنهم سُلكى ومخلوجة كرَّك لأمَين على نابل [1]

---

١) السُلكى الطعنة المستقيمة ، والمخلوجة الطعنة ذاتَ اليمين وذاتَ الشمال ، وسهم لأم اي عليه ريش . والبيت هذا لامرىء القيس . انظر معجم تاج العروس تحت سلك

فقلت له : انك قد تعبت واتعبت فلو نزلت . فثنى رجله فنزل ، وشد فرسه ببعض اغصان الشجرة ، ثم اقبل حتى جلس ، فجعل يحدثني حديثاً ذكرت به قول الشاعر :

وان حديثاً منك لو تبذلينه جنى النحل في البان عوذ مطافل

فبينا هو كذلك اذ نكث بالسوط على ثنيتيه فما ملكت نفسي ان قبضت على السوط وقلت : مه ! فقال : ولمَ ؟ قلت : ان تكسرهما . قال : انها رقيقتان عذبتان . قال ، فرفع عقيرته وجعل يقول :

اذا قبّل الانسان آخر واشتهى ثناياه لم يأثم وكان له أجرُ

وقال : ما هذا الذي جعلت في سرجك ؟ قلت : شراب اهداه لي بعض اهلك ، فهل لك به ؟ قال : وما نكرهه اذا كُره . فاتيته به ، فوضعته بيني وبينه ، فلما شرب منه شيئاً نظرت الى عينيه كانهما عينا مهاة قد ضلّت ولدها ، ثم رفع عقيرته يتغنّى :

ان العيون التي في طرفها حور قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهن اضعف خلق الله انسانا

ثم قمت لاصلح من امر فرسي فرجعت وقد حسر العمامة عن رأسه ، واذا كأن وجهه دينار هرقلي ، فقلت : سبحانك اللهم ما اعظم قدرتك . قال : فكيف ؟ قلت : ذلك مما راعني من نورك وبهرني من جمالك . قال : وما الذي يروعك من زرق العيون وحبيس التراب ثم لا تدري اينعم بعدك ام يبأس ؟ قلت لا يصنع الله الاّ خيراً بك . ثم قام الى فرسه فلما اقبل برقت لي بارقة من تحت الدرع فاذا ثدي كانه حق عاج . قلت نشدتك الله امرأة انت ؟ قالت : اي والله ! ونكره العهر ونحب الغزل . قلت : وانا والله كذلك . فجلست والله تحدثني ما انكر من امرها شيئاً حتى مالت على الدوحة سكرى ، فاستحسنت والله يا ابن ابي ربيعة الغدر ، وزيّن في عيني ، ثم ان الله عصمني ، فما لبثت ان انتبهت مذعورة فلاثت عمامتها براسها واخذت الرمح وجالت في متن فرسها . فقلت : مضيتِ ولم تزوديني منك زاداً ، فاعطتني ثناياها فمسست والله منها كالثلج الممطور . ثم قلت : اين الموعد ؟ قالت : ان لي اخوة شرساً وابا غيوراً ، والله لئن اسرّك احب الي من ان اضرّك . ثم مضت فكان والله آخر العهد بها الى يومي هذا ، وهي التي بلغتني هذا المبلغ واحلتني هذا المحل . قال : فدخلتني له رقة . فلما انقضى الموسم شددت على ناقتي وشد على ناقته ، وحملت غلاماً لي على بعير ، وعليه قبة حمراء من أدم كانت لابي ربيعة ، واخذت

معي الف دينار ، ومطرف خزّ ، ثم خرجنا حتى اتينا بلاد كلب ، فاذا الشيخ في نادي الحي ، فسلمت عليه ، فقال : وعليك السلام . من انت ؟ قلت : عمر ابن ابي ربيعة ابن المغيرة المخزومي . قال : المعروف غير المنكور ، فما الذي جاء بك ؟ قلت : جئتك خاطباً . قال : أنت الكفء لا يرغب عن وصله ، والرجل الذي لا يردّ عن حاجته . قال ، قلت : اني لم آتك لنفسي وان كنت في موضع الرغبة ، ولكنني اتيتكم لابن اختكم العذري . قال : والله انه الكفء الحسب كريم النسب غير ان بناتي لم يعرفن (الّا)[1] هذا الحي من قريش ، قال: فعرف الجزع من ذلك في وجهي ، فقال : اما اني اصنع في ذلك ما لم اصنعه قط لغيرك ، اخيّرها في نفسها فهي وما اختارت . فقلت : فخيّرها ! فارسل اليها ان من الامر كذا وكذا فالرأي رأيك . فقالت : ما كنت لاستبدّ برأيٍ دون رأي القرشي . خياري ما اختار . قال : قد ردّت الامر اليك . فحمدت الله ، وصليت على النبي صلى الله عليه وسلم ، وقلت : قد زوجتها العذري مهجماً ، واصدقتها عنه الالف دينار ، وجعلت تكرمتها العبد والبعير والقبة . وكسوت الشيخ المطرف فسرّ به ، وسألته ان يبني بها من ليلته فاجابني الى ذلك ، فضربت القبّة في وسط الحي ، وهُديت اليه ليلا وبت عند الشيخ في خير مبيت ، فلما اصبحت غدوت فقمت بباب القبّة ، فخرج اليّ وقد تبيّن الجذل فيه ، فقلت : كيف كنت بعدي ابا مسهر ؟ قال : ابدت لي كثيراً مما كانت تخفيه يوم رايتها ، فقلت : اقم عند اهلك بارك الله لك . ثم انطلقت الى اهلي وانا اقول :

كفيت الفتى العذري ما كان نابه ... ومثلي لاثقال النوائب يحمل
اما استحسنت مني المكارم والعلا ... اذا صرّحت اني اقول وافعل »[2]

فقال العذري :

اذا ما ابو الخطّاب خلّى مكانه ... فافٍ لدنيا ليس من اهلها عمر
فلا حيّ فتيان الحجازين بعده ... ولا سقيت ارض الحجازين بالمطر[3]

---

١) ليست في الاصل ولعلّ المعنى يستقيم بها

٢) ابن عبد ربه ٣ : ٤٥٠ — ٤٥٢ وانظر الاصبهاني ١٠ : ٥٠ — ٥٢

٣) هذان البيتان ذكرا في الاغاني ولم يُذكرا في العقد ونصّ القصة في الكتابين المذكورين يكاد يكون واحداً ، وقد اعتمدنا رواية العقد .

ومهما يكن من امر هذه القصة واثر الصنعة والتكلف فيهـا فان لنا في شعر عمر وحده دليلًا على مساعدة عمر للغير وسعيه في ان يحمل عنهم اثقالهم .

حساس شديد التأثر

وكان رقيق العاطفة شديد التأثر . ولعل هذه العاطفة الحساسة كانت مصدر شفقته وحبه للمساعدة. وله ابيات يذكر فيه اساه وحزنه على مصرع اخوان له حينما كان في اليمن يعاني مرضا لعلّه الحمى المعروفة بالبرداء . وقد التفت الاقدمون الى هذه الابيات فذكروا انها من الشعر الذي تشكّى فيه فاشجى . قال :

لعمرك ما جاورت غمدان طائعاً ... وقصر شعوب ان اكون بها صبّا
ولكنّ حمّى اضرعتني ثلاثة ... مجرمة ثم استمرت بنا غبّا
وحتى لو ان الخلد يعرض اذ مشت ... الى الباب رجلي ما نقلت لهـا اربا
فانك لو ابصرت يوم سويقة ... مناخي وحبسي العيس دامية جربا
ومصرع اخـواني كان انينهم ... انين المكاكي صادفت بلدًا خصبا
اذا لاقشعر الرأس منك عجابة ... ولاستفرغت عيناك من سكبة غربا [1]

ومما يشير الى رقة عاطفته وشدة تاثرها ما نقلوه من خبره مع الثريا حين مرضت ذات مرة وهي بالطائف وهو بمكة فشغل قلبه واخذ يستطلع اخبارها ، فارسلت اليه من يخدعه ويخبره انها ماتت ، فكاد يطير صوابه حزناً عليها ووجّه فرسه على وجهه الى الطائف سالكاً اقرب طريقٍ اليها حتى انتهى الى الثريا وقد توقعته وهي تتشوف له وتشرف ، فوجدها سليمة عميمة ومعها اختاها رضيًا وام عثمان ، فاخبرها الخبر فضحكت وقالت : والله انا امرتهم لأختبر ما لي عندك .[2]

ورووا انه لما بلغه زواج الثريا ورحيلها خرج في اثرها فلحقها على مرحلتين ، فلما ادركهم نزل عن فرسه ، ودفعه الى غلامه ومشى متنكراً حتى مرّ بالخيمة ، فعرفته الثريا واثبتت حركته ومشيته ، فقالت لحاضنتها : كليه ! وكانت قبل ذلك مهاجرته لامر انكرته عليه ، فسلمت الحاضنة عليه ، وسألت عن حاله ، وعاتبته على ما بلغ الثريا عنه ، فاعتذر وبكى ، فبكت الثريا وقالت : ليس هذا وقت العتاب مع وشك الرحيل . فحادثها الى وقت طلوع

---

١) الاصبهاني ١ : ٦٠ ٢) الاصبهاني ١ : ٨٥

الفجر ، ثم ودعها وبكيا طويلاً .[١]

وله من شعر في رحيله كتب به اليها فيما يزعمون من المدينة وكلّه عاطفة وتاثر :

كتبت اليك من بلدي كتاب مولّه كمد
كئيب واكف العينين بالحسرات منفرد
يؤرقه لهيب الشوق بين السحر والكبد
فيمسك قلبه يد ويمسح عينه يد[٢]

وترى اثر هذه العاطفة الرقيقة والتأثر السريع في شعره في امرأة امويّة من بني مروان قال في وداعها :

كدت يوم الرحيل اقضي حياتي ليتني مت قبل يوم الرحيل
لا اطيق الكلام من شدة الخوف م ودمعي يسيل كل مسيل
ذرفت عينها وفاضت دموعي وكلانا يلقى بلبّ اصيل[٣]

ونلاحظ شدة تاثره وسرعة انفعاله في اخباره مع المغنين والمغنيّات لا سيما مع جميلة وعزة الميلاء . وقد ذكرنا سابقاً ان عمر كان يتردد على عزّة هو وابن ابي عتيق وعبدالله بن جعفر ، وانها غنتهم ذات يوم لحناً لها في شيء من شعر عمر فطرب ، وبلغ به التاثر والانفعال ان شقّ ثوبه وصاح صيحة عظيمة صعق معها ، فلما افاق قال له القوم : لغيرك الجهل يا ابا الخطاب ! قال : اني سمعت والله ما لم املك معه نفسي ولا عقلي .[٤] وغنته جميلة مرة صوتاً لها في شعره :

هيهات من امة الوهاب مترلنا اذا حللنا بسيف البحر من عدن

فدمعت عينه حتى جرى الدمع على ثيابه ولحيته .[٥] وغنته مرة أخرى في شعره :

ولقد قالت لجارات لها كالها يلعبن في حجرتها

فطرب وصاح : ويلاه ! ويلاه ! ثم عمد الى جيب قميصه فشقّه الى اسفله فصار قباء ، ثم عاد اليه عقله فندم واعتذر وقال لم املك من نفسي شيئاً .[٦]

---

١) الاصبهاني ١ : ٩٥
٢) الاصبهاني ١ : ٩٣
٣) " ١ : ٧٨ و ٨ : ٥٥
٤) " ١٦ : ١٤
٥) " ٧ : ١٢٦
٦) " ٧ : ١٢٤

وكان عمر – على الحاحه وما يقتضيه هذا الخلق من الجرأة والوقاحة في بعض الاحيان – خجولا ، حدث قدامة بن موسى الجمحي قال : خرجت باختي زينب الى العمرة فلما كانت بسرف لقيني عمر ابن ابي ربيعة على فرس فسلّم علي ، فقلت له : الى اين اراك متوجهاً يا ابا الخطاب ؟ فقال : ذكرت لي امرأة من قومي برزة الجمال فاردت الحديث معها . فقلت : هل علمت انها اختي ؟ فقال : لا ! واستحيا وثنى عنق فرسه راجعاً الى مكة .[١]

ولعمر من شعر يخاطب فيه احدى صاحباته فيصف نفسه فيه بالحياء والعفّة والتكرم :

فكّي اسيرًا يا عثيم فانه خلط الحياء بعفة وتكرّم[٢]

جواد

وكان عمر سخيًا جواداً يُنفق عن سعة ، وليس غريباً ان يكون كذلك وهو ابن ذلك الصحابي الكريم الذي عرفنا ، وسليل من زعموا انه كان يكسو الكعبة في الجاهلية من ماله سنةً وتكسوها قريش من اموالها سنةً أخرى ، فكان عدلاً لهم جميعاً . وقد عرفت عشيرته من قبل بالكرم ، وكان منها عمّارة بن الوليد الذي كان لا يمرّ عليه احدٌ فيما يزعمون الاّ قراه واحسن ضيافته وزوّده ما يحتاجه لسفره ، حتى لقّبوه باحد ازواد الركب .[٣] وكان لعمر فوق هذا كله نسيب شُهر بالكرم هو مصعب بن الزبير والد صهره ، وصديقان عُرفا في تاريخ الاسلام انهما من اجود العرب هما عبدالله بن جعفر الملقب ببحر الجود وخالد القسري الذي انفذ وهو في السجن الى بعض مادحيه سبعين الف درهم فيما يزعمون كان قد جمعها ليدفعها الى ساجنيه ذلك اليوم .[٤] بل لم يكن صديقه الحميم ابن ابي عتيق بالرجل اليسير سخاء وكرماً كما راينا .[٥]

ولعلّ القارىء قد لمس شيئاً من هذه الناحية من خلق عمر في بحثنا عن تيهه ودلّه وحبّه للمساعدة وعطفه على الناس ، ومن الطبيعي ان يقرن السخاء الى مثل هذه الصفات في الانسان .

ونرى اثر جوده في بعض اخباره مع صاحباته ورسله اليهن ، فقد روى ابو الفرج ان

---

١) الاصبهاني ١ : ٤٤ و ١٤ : ٤٩
٢) ابن ابي ربيعة (ع) ٤٩٩
٣) » ١٦ : ١٥٨
٤) ابن خلكان ١ : ٢٤٠
٥) » ١ : ٨٩ و ١٠٩ والمبرّد ١ : ٢٧٤

عمر اعطى الرسول الذي بشّره بقدوم بنت محمد بن الاشعث لزيارته مئة دينار .[١] وروى ايضاً انه ارسل الى والدتها حين بعث يخطب الفتاة خمسمئة دينار .[٢] ولعلّ القارئ لا يزال يذكر ما رويناه من ان عمر اهدى جميلة بعد استماعه غنـاءها في المدينة عشرة الاف درهم وعشرة اثواب كانت معه ،[٣] وانه ردّ على فاطمة بنت عبد الملك ما لها او قل اشترى به حللاً وطيباً واهداها اياها ،[٤] وانه اعتق الامة التي استخدمها لتوصل رسالته الى كلثم ،[٥] واعتق عبيداً تسعةً بعد مساعدته القرشي عدد ابياته التي نظمها في حادثته تلك ،[٦] واعتق عبداً في حادثة له مع فاطمة بنت عبد الملك واعطاه خمسمئة درهم .[٧]

ويصعب جداً ان نتصور اميراً مثل عمر يستصحب معه اشهر المغنين كابن سريج والغريض ولا ينفق عليهم بسخاء . زعموا انه ارسل الغريض الى عائشة ليغنيها بشعره واعطاه خمسة الاف درهم ، فذهب وغناها ، فامرت له عائشة بخمسة الاف درهم أخرى ، ثم انصرف الغريض من عندها فاتى عمر واعلمه امره ، فامر له بمثل ذلك ، ورووا ان الغريض قال : ما انصرف احد من ذلك الموسم بمثل ما انصرفت ، بنظرة من عائشة وهي اجمـل نساء العالم وبما مُنِحتُه منها ومن ابن ابي ربيعة وغيرهما .[٨] واعطى عمر مرة فيما يروون ثلاثمئة دينار لابن سريج .[٩] وكان يجود في بعض الاحيان بما هو عزيز عليه وقد عَرَض على الوليد بن عبد الملك كما أسلفنا عبديه اللذين كانا يحفظان شعره فاستمع اليهما الوليد وردَّهما .[١٠]

ولم يخلُ شعره من اظهار هذه الناحية فقد كان يفتخر بجوده وكرمه . قال :

ولو سئلت بنا البطحاءُ قالت هم أهل الفواضل والسيوب [١١]

وقال :

اما استحسنت مني المكارم والعلا اذا طرحت انّي لمالي بذّال [١٢]

١) الاصبهاني ١ : ٤٣
٢) الاصبهاني ١ : ٤٣
٣) " ٧ : ١٣٤
٤) " ٨ : ٥٥
٥) " ١ : ٨٣
٦) " ٦٣—٦٤ والجاحظ (م) ٢٤٠
٧) " ١ : ٧٧
٨) " ٣ : ١٠٥
٩) " ١ : ١٠١
١٠) " ١ : ٥٣
١١) ابن ابي ربيعة (ع) ٤٦
١٢) ابن ابي ربيعة (ع) ٤٦٤

حبّه للحديث والسمر

ولعلّ اظهر ناحية من نواحي خلق عمر ، واقوى ظاهرة في اخبـار حبّه ، هي ميله للتحدث والسمر لا سيّما مع النساء ، وشغفه باستماع حديثهن . فقد كان فيما نرى حلو الحديث ، انيس المجلس حسن الاستماع ، يتكلّم فيرضي ويصغي فيشوق ، يحبّ مجلس المرأة ويحفظ لها مكانتها فيه . ولقد اكسبته هذه الصفة صداقة النساء ، فكنّ معجبات بظرفه وحديثه ، يتشوّقن اليه ويتمنين لقياه ويذكرن حلو سمره وأُنس مجلسه .[١] ويذهب الدكتور طه حسين الى ابعد من هذا فيزعم ان عمر كان يريد للمرأة من الحرّية مثل ما يريده للرجل ، وكان يريد ان تكون صلة الغزل بين الرجل والمرأة صلةً ظاهرةً لا حرج فيها ولا جناح ، وكان يريد ان تُظهر المرأة فخرها بجمالها وروعتهـا كما يظهر الرجل فخره بشجاعته وبأسه ، وكان يريد ان تستفيد الجماعة الانسانيّة من خلال المرأة كما تستفيد من خلال الرجل ، بل يذهب الدكتور الى ان عمر كان يريد ان تزول الفروق بين الجنسين والاّ يكون بينهما حجاب .[٢] ومهما يكن من امر فانّا لا نظن ان الدكتور طه مخطىء حين قال : وكان كل شيء في حياة عمر وسيلةً الى الاتصال بالمرأة وذكرهـا والتحدّث اليها .[٣] ولعلّنا لا نبالغ اذا قلنا ان عمر من هذه النـاحية كان اعظم سمير عرفته المرأة في تاريخ العرب . ولسنا نعرف رجلاً من رجال العرب على الاطلاق روى له الرواة قصصاً واخباراً لعب فيها الحديثُ والسمر هذا الدور الذي لعباه في اخبار عمر . ولسنا نعرف شعراً لشاعر عربيّ افتنّ فيه صاحبه بوصفه لحديثه للمرأة وحديثها اليه والى رفيقاتها واترابها افتنان عمر بوصفه لهذه الامور في شعره . قال ياقوت عنه وهو يشرح بيتاً من شعره : « لانه كان كثير المخاطبة للنساء .»[٤] وروى ابو الفرج الاصبهاني اخباراً كثيرة تشير الى ان النساء كن يتشوقنّ الى مجلس عمر وسماع حديثه ، وذكر ان احداهن بعثت اليه مرةً رسولاً ان يوافيهن الى موضع عيّنته ، في ليلةٍ سمّتها ، فوافاهن على رواحله من بلدٍ بعيد وحدثهن حتى طلوع الفجر .[٥] وروى ايضاً ان نسوةً من قريش واعدنه الى العقيق ليتحادثن معه

---

١) الاصبهاني ١ : ٤٧ و ٢ : ١٣٦
٢) طه حسين ٢ : ١٤٤
٣) طه حسين ٢ : ١٤٤
٤) ياقوت ٣ : ٢٨١
٥) الاصبهاني ١ : ٤٧ و ٢ : ١٣٦

ويسمرن ، فخرج عمر اليهن ومعه مُغنّيه الغريض ، فتحدثوا مليًّا ثم مُطروا ، فقام الغريض وجاريتان للنسوة واظلوا عليهن بطرف وبردين لعمر بحيث استترن من المطر الى ان سكن ثم انصرفن .[1] ولقد قال عمر في ليلته هذه شعراً لم يفته ان يشير فيه الى اهميّة الحديث والسمر في نظره ، والى حبّه الى هذا الضرب من اللهو وقصر هذا الليل الذي انقضى فيه :

سمون يقلن الا ليتنا نرى الليل داغًا اشهرا
ويغفل ذا الناس عن لهونا ونسمره كلّه مقمرا
غفلن عن الليل حتى بدت تباشير من واضح أشقرا
وقمن يعفّين آثارنا باكسية الخز ان تقفرا
وقمن يقلن لو ان النهار م مدّ له الليل فاستأخرا
لقينا به بعض ما نشتهي وكان الحديث به أسورا[2]

وكانت الكثيراتُ من السيدات يرغبن في لقياه لكي يتحدثن اليه ويستمعن الى حديثه ، فقد رُوي ان ام محمد بنت مروان بن الحكم اتت عمر بعد ان قضت حجّها ونسكها وقد اخفت نفسها بين نسوة ، فحدثته وحدثها مليًّا .[3]

وحدّث مولى لعمر انه كان مع عمر مرة ايام الحج ، فاجتاز بسيّده نسوة من جواري بني اميّة حاجّات ، فتعرض لهن وحادثهن وناشدهن مدة ايام الحج .[4] وحدّث هذا المولى ايضاً انه كان مع سيّده وقد اسنّ وضعف فخرج يمشي متوكئاً على يديه حتى مرّ بعجوز جالسة كانت من صاحباته القديمات فعدل اليها وجلس عندها وجعل يحادثها .[5]

ورُوي انه بينما كان عمر يطوف بالبيت رأى امرأة عراقيّة فاعجبه جمالها ، فجعل يماشيها حتى عرف موضعها ، ثم زارها فحادثها وناشدها وانشدته ، وخطبها فوعدته العراق ، فسافر معها الى هناك يسير بسيرها ويحادثها طول الطريق ويسايرها وينزل عندها .[6]

وروي في موضع آخر خبر مثل هذا عن فتاة عراقية من آل الاشعث ، كانت معها امها ، وقد سمعت الفتاة بعمر فبعثت وراءه ، فجاء ، وارسلت بينها وبينه ستراً تراه من ورائه ولا يراها ، فجعل يحدثها حتى استنشدته فانشدها ، فاستخفها الشعر ورفعت السجف فرآها

---

١) الاصبهاني ١ : ٦٦
٢) ابن ابي ربيعة (ع) ٢٩٧
٣) " ١ : ٦٩ و ٨ : ٥٥ — ٥٦
٤) الاصبهاني ١ : ٧٠
٥) " ١ : ٧١
٦) " ١ : ٧١

وخطبها ، فابت والدتها عليها ذلك في الحجاز فسألته الفتاة ان يشيعها ورجته ان يخطبها الى ذويها في العراق .[١]

وقد رَوَوا ان عمر وهو منصرف من المزدلفة يريد منى في ايام الحج لقي في طريقه امرأة في رحالة ، ففُتن ، وسمع عجوزاً تسألها ان تستتر لئلا يراها عمر فيفضحها . وتنتهي الرواية في ان عمر تبعها ونزل الى جنب مضربها ولم يزل يتلطف حتى جلس معها وحادثها واعجبه وجهها ومنطقها .[٢] وزعموا ان امرأة من بني امية يقال لها امّ الحكم قدمت قبل اوان الحجّ معتمرة ، فبينا هي تطوف على بغلة لها اذ مرّت على عمر في نفر من بني مخزوم وهم يتحدثون ، ثم مالت اليهم ونزلت عندهم وتحدثت معهم طويلاً ثم انصرفت ولم يزل عمر يتردد اليها حتى انقضت ايام الحج .[٣]

وكان عمر حريصاً على ان لا تفوته فرصة يتحدث فيها الى صاحباته او يستمع الى حديثهن حتى انه كان يقرن لذة الحديث الى لذّة السماع (الغناء) فيقول : انه صوت القريض وحديث النسوة ليس له متَرَك ولا عنه محيص .[٤]

وكان عمر فيما يظهر من اخباره وشعره يخلط حديثه مع صاحباته بشيء من انشاد الشعر سواء أكان من شعره ام من شعر غيره . وكانت النساء تحبّ هذا منه بل كنّ يطلبنه . ويقول عمر في حادثةٍ وقعت له مع بعض النساء : ثم اتيتهن فسلمت عليهن ، ثم وقفت بقربهن ، فسألنني ان انشدهن واحدثهن ، فانشدتهن لكثيّر وجميل والاحوص ونصيب وغيرهم .[٥] وذكر في شعره ان هنداً وصاحباتها تمنين لقاءه مرة كي يقضين بعض اللهو معه او يستمعن اليه ينشدهن الاشعار :

تقول ليت ابا الخطاب وافقنا كي نلهوَ اليوم او نُنشد اشعارا[٦]

وكأن الرواة احسّوا بهذه الميزة في عمر من حيث قدرته في سرد الحديث ، ومهارته في مخاطبة النساء ، وكسب انتباههن والتفاتهن ، وجعلهن يتشوقن حديثه وظرفه ، فاسندوا اليه كثيراً من الروايات الجذابة التي زعموا انها وقعت له ، وجعلوه يقصّها عن نفسه ويحدّث

---

١) الاصبهاني ١ : ٤١
٢) الاصبهاني « د » ١ : ١٥٩
٣) « « د » ١ : ١٦٠
٤) « ٨ : ٨٦
٥) « ١ : ٧٣
٦) ابن ابي ربيعة (ع) ٢١٥

فيها عن وقائع حبّه . ومن الخير ان نورد من هذه القصص واحدة على الاقل فيها تصريح عن حبّه للسمر والتحدث وميله للاستماع .

روى ابو الفرج باسناد ينتهي الى عثمان بن ابرهيم الخاطبي قال : « اتيت عمر ابن ابي ربيعة بعد ان نسك بسنين وهو في مجلس قومه من بني مخزوم ، فانتظرت حتى تفرق القوم ، ثم دنوت منه ومعي صاحب لي ظريف ، وقد كان قال لي تعال حتى نهيجه على ذكر الغزل فننظر هل بقي في نفسه منه شيء ، فقال له صاحبي : يا ابا الخطاب ، اكرمك الله ، لقد احسن العذري واجاد فيما قال . فنظر عمر اليه ثم قال له : وماذا قال ؟ قال :

لو جدَّ بالسيف راعي في مودتها لمر بهوي سريعاً نحوها راعي

قال ، فارتاح عمر الى قوله ، وقال : هاه ! لقد اجاد واحسن ! فقلت : ولله درّ جنادة العذري ! فقال عمر : ماذا يقول ؟ ويحك ! فقلت : يقول .

سرت لعينيك سلمى بعد مغفاها فبتُّ مستنبهاً من بعد مسراها

. . . . . .

قال ، فضحك عمر ثم قال : وابيك لقد احسن واجاد وما اساء ولقد هيجتما علي ساكناً ، وذكرتماني ما كان عني غائباً ، ولاحدثتكما حديثاً حلوا : بينا انا منذ اعوام جالس اذ اتاني خالد الخريت : فقال لي : يا ابا الخطاب مرت بي اربع نسوة قبل العشاء يردن موضع كذا وكذا لم ار مثلهن في بدو ولا حضر ، فيهن هند بنت الحرث المرية ، فهل لك ان تاتيهن متنكراً فتسمع من حديثهن وتتمتع بالنظر اليهن ولا يعلمن من انت ؟ فقلت له : ويحك ! وكيف لي ان اخفي نفسي ؟ قال : تلبس لبسة اعرابي ، ثم تجلس على قعود ، فلا يشعرن الاَّ بك قد هجمت عليهن . ففعلت ما قال ، وجاست على قعود ، ثم اتيتهن فسلمت عليهن ، ثم وقفت بقربهن ، فسألتني ان انشدهن واحدثهن ، فانشدتهن لكثيّر وجميل والاحوص ونصيب وغيرهم ، فقلن لي ؛ ويحك يا اعرابي ما املحك واظرفك ! لو نزلت وتحدثت معنا يومنا هذا فاذا امسيت انصرفت في حفظ الله . فانخت بعيري ثم تحدثت معهن وانشدتهن ، فسررن بي وجذلن بقربي واعجبهن حديثي ، ثم انهن تغامزن وجعل بعضهن يقول لبعض : كأنا نعرف هذا الاعرابي ما اشبهه بعمر ابن ابي ربيعة . فقالت احداهن : فهو والله عمر ! فمدّت هند يدها فانتزعت عمامتي فالقتها عن رأسي ، ثم قالت : هيه يا عمر ! اراك خدعتنا منذ اليوم ، بل نحن والله خدعناك واحتلنا عليك بخالد فارسلناه

لتاتينا في اسوأ هيئة ونحن كما ترى » .[١] وقد ذكر الجاحظ القصة نفسها مع بعض الزيادات في آخرها مسندة الى رجل باسم ابرهيم بن قدامة زعم ان عمر نفسه حدثه حديثها .[٢] وقد قصها عمر في شعره بقصيدة عينيّة تقرن في كثير من المواضع برائيته المشهورة . ويصف عمر في هذه القصيدة ما جرى له مع النسوة ، ويذكر حديثهن وحديثه معهن ، ويشير الى ان الفتيات بدعوتهن اياه قد قربن اسباب الهوى اليه . قال في بعض ابياتها :

فلما تفاوضنا الحديث واسفرت ... وجوه زهاها الحسن ان تتقنعا
تبالهن بالعرفان لما عرفنني ... وقلن امرؤ باغٍ أكلّ واوضعا
وقرّبن اسباب الهوى لمتيّم ... يقيس ذراعاً كلما قسن اصبعا
فلما تنازعن الاحاديث قلن لي ... اخفت علينا ان نغرّ ونخدعا[٣]

ونحن وقد اكتفينا بتدوين هذه القصة الآن لا يفوتنا ان نشير الى ان القصة التي رويناها عن حب عمر للمساعدة والتي وقعت له مع ابي مسهر العذري قد اسندها الرواة الى عمر نفسه .[٤] والقصة التي زعموا انها وقعت له مع الفضل بن عباس اللهبي واوردناها في فصل سابق قد اسندها الرواة ايضاً الى عمر نفسه .[٥] وهناك حديث وجيز عن عمر وفتاتين اسنده الرواة الى عمر .[٦] وكذلك نرى ان القصة التي رووا انها وقعت لعمر مع فاطمة بنت عبد الملك أُسندت الى عمر .[٧] وترى في كل هذه القصص التي قصها عن نفسه فيما يزعم الرواة ذكراً لحبّه الى التحدث مع النساء .

واذا تركنا هذه القصص التي رواها الناس عنه او تلك التي رواها هو عن نفسه فيما يزعمون ، وعُدنا الى شعره نرى الادلّة الكثيرة على ان عمر كان قُوَلَةً ظريفاً مولعاً بالحديث الشهي يلقيه على مسامع صاحباته او يستمع اليه من افواههن ، محبّاً للسمر اللذيذ ، موفقاً بواسطة فنّه هذا الى كسب قلوب الفتيات ، بل لعل هذا الحديث كان من العوامل التي سهّلت له سبل اللهو مع صاحباته ؛ ومن يدري فلعلّ غايته في كثير من وقائعه الحيّة كانت لذة الحديث فحسب ، وما كان حب الكثيرين من العذريين ان صحت اخبارهم الا حديثاً يلتذونه او انساً يكتفون به .[٨] وقد قال عمر في احدى صاحباته :

---

١) الاصبهاني ١ : ٧٣
٢) الجاحظ (م) ٣٢٩
٣) ابن ابي ربيعة (ع) ٢٣٦
٤) ابن عبد ربه ٣ : ٤٥٣
٥) الاصبهاني ١٥ : ٨
٦) الاصبهاني ١ : ٣٦
٧) " ١ : ٧٦ و ٧٧
٨) ابن عبد ربه ٣ : ٤٥١

يا وهب ان يك قد شطّ البعاد بكم وفرّق الشمل منا صرف ذا الزمن
فكم وكم من حديث قد خلوت به في مسمع منكم او منظر حسن [١]

وقال :

رب لهو لهوته بجوار ربائب
ليس في ذاك محرم واله المغارب
غير ان نشفي الصدو ر بذرو التعاتب [٢]

وقال :

فيا طيب ما لهو هناك لهوته بمستمع منها ويا حسن منظر [٣]

وقال :

وترى لها دلاً اذا نطقت تركت بنات فؤاده صعرا
كتساقط الرطب الجني من الـ قنوان لا كثرًا ولا نزرا [٤]

وقال :

وحديث بثله تنزل العصم م رخيم يشوب ذلك حلم [٥]

وقال :

ليت حظي كطرفة العين منها وكثير منها القليل المهنّا
او حديث على خلاء يسلّي ما يجن الفؤاد منها ومنّا
كبرت ربي نعمة منك يوماً ان اراها قبل الممات ومنّا [٦]

وقال :

رب ليل سمرت فيه قصير ورفيق قد كان كفئًا كريمًا [٧]

وقد التفت القدماء من نقدة الشعر الى هذه الميزة في شعر عمر : قال مصعب الزبيري :

---

١) ابن ابي ربيعة (ع) ٥٣٨
٢) ابن ابي ربيعة (ع) ٦٠
٣) " " " " ١٩٩
٤) " " " " ٣٦٨
٥) " " " " ٥١١
٦) " " " " ٥٥٢ غير اننا آثرنا قراءة الابيات على الشكل الذي ورد في الاغاني [الاصبهاني ١ : ٦٣]
٧) ابن ابي ربيعة (ع) ٥٠٤

ان عمر ابن ابي ربيعة راق الناس وفاق نظراءه بميزات منها جنيه للحديث حيث يقول :

وجوار مساعفات على اللهو م مسرات باطن الاضغان
صيّد للرجال يرشقن بالطرف م حسان كخذّل الغزلان
قد دعاني وقد دعاهن للهو م شجون مهمة الاشجان
فاجتنينا من الحديث ثمارًا ما جنى مثلها لعمرك جاني [1]

ومنها ضربه الحديث ظهراً لبطن حيث قال :

في خفاء من الانيس وامن فشفينا غليلنا واشتفينا
وضربنا الحديث ظهرًا لبطن واتينا من امرنا ما هوينا
فمكثنا بذاك عشر ليالٍ في قضاء لديننا واقتضينا [2]

ومنها اذلاله صعب الحديث حيث قال :

فلما افضنا في الهوى نستبينه وعاد لنا صعب الحديث ذلولا
شكوت اليها الحب اظهر بعضه واخفيت منه في الفؤاد غليلا [3]

ويقول مصعب في آخر تلك القطعة الكبيرة (او الخبر الطويل كما يسميه ابو الفرج) في ميزات شعر عمر : وكان (والضمير يعود الى عمر) بعد هذا كله فصيحاً شاعراً مُقولاً .[4]

ولسنا نغالي اذا قلنا ان اقوى ظاهرة في شعره انما هي وصف هذا الحديث الذي كان يدور بينه وبين صاحباته . قلت ، فقالت ، فقلت ، فقلن الخ . وقد زعم الرواة ان جميلًا زعيم الشعراء العذريين اجتمع مع عمر بالابطح ، فانشد جميل قصيدته التي يقول فيها :

لقد فرح الواشون ان صرمت حبلي بثينة او ابدت لنا جانب البخل
يقولون مهلاً يا جميل واني لأقسم مالي عن بثينة من مهل

حتى اتى على آخرها ، ثم قال لعمر : يا ابا الخطاب هل قلت في هذا الرويّ شيئاً ؟ قال : نعم ! قال : فانشدنيه ! فانشده قوله :

جرى ناصح بالودّ بيني وبينها فقربني يوم الحصاب الى قتلي
فطارت بحدّ من فؤادي وقارنت قرينتها حبل الصفاء الى حبلي
فلما توافقنا عرفت الذي بها كمثل الذي بي حذوك النعل بالنعل

---

١) الاصبهاني ١ : ٦٣
٢) الاصبهاني ١ : ٦٣
٣) " ١ : ٦٣
٤) " ١ : ٦٣

فقلن لها هـذا عشاء واهلنا قريب الما تـأمي مركب البغل
فقالت فما شئتن قلن لها انزلي فللأرضُ خير من وقوف على رحلِ
نجومٌ درايٌ تكنفن صورة من البدر وافت غير هوج ولا عجل
فسلمت واستأنست خيفة ان يرى عدوٌ مقامي او يرى كاشح فعلي
فقالت وارخت جانب الستر انما معي فتكلم غير ذي رقبة اهلي
فقلت لها ما بي لهم من ترقب ولكنّ سرّي ليس يحمله مثلي
فلما اقتصرنا دونهن حديثنا وهن طبيبات بحاجة ذي الثّبل
عرفن الذي نحوى فقلن اثذني لنا نطف ساعة في برد ليل وفي سهـل
فقالت فلا تلبثن قلن تحدثي اتيناك وانسبن انسياب مها الرمل
فقمن وقد افهمن ذا اللب انمـا اتين الذي ياتين من ذاك من اجلي

فقال جميل : هيهات يا ابا الخطاب ! لا اقول والله مثل هذا سجيس الليالي . والله ما يخاطب النساء مخاطبتك احد وقام مشمراً .[1]

وتناقش الاقدمون في هاتين القصيدتين فقـال الحرمي ابن ابي العلاء : من الناس من يفضّل قصيدة جميل اللامية على قصيدة عمر ، وانا لا اقول هذا ، لان قصيدة جميل مختلفة غير مؤتلفة فيها طوالع النجد وخوالد المهد ، وقصيدة عمر ابن ابي ربيعة ملساء المتون مستوية الابيات آخذ بعضها باذناب بعض ، ولو ان جميلاً خاطب في قصيدته مخاطبة عمر لارتج عليه وعثر كلامه به .[2]

موضوع حديثه

اما درس هذا الحديث الذي كان يقع بين عمر وصاحباته ، وان يكن في الظاهر خارجاً عن سياق بحثنا ، فانه ليعكس شيئاً من خلق عمر ونفسيته اللذين نحاول تصويرهما في هذا الباب ، كما وانه بالوقت نفسه يشرح لنـا شيئاً من روح مجتمعات النساء ومجالسهن مع الشبّان في ذلك العصر سواء أكان من الناحية الاجتماعية ام من الناحية الادبيّة .

ولقد كان يدور هذا الحديث بين عمر وصاحباته في اكثر الاحيان على وقائع حبّه مع النساء واشعاره فيهن ، هذا اذا استثنينا احاديثه الخاصة مع بعضهن وما يتخللها من عتاب او بث شكوى او مغازلة وما الى هذه الامور .

---

١) الاصبهاني ١ : ٥١ وانظر ابن ابي ربيعة (ش) ق ١٦٨ ٢) الاصبهاني ٢ : ١٢٤

ويظهر ان النساء اللواتي كن يجلسن معه ليتحادثن واياه كنّ يطلبن اليه ان يقص عليهن شيئاً من وقائع حبّه مع فلانة او غيرها ، والنساء بطبعهن طُلّعات يرغبن في ان يعرفن اخبار بنات جنسهن واسرارهن وقصص حبهن . ويظهر ان عمر كان يدرك هذه الناحية في خلق النساء فكان ياتيهن بما يتطلعن اليه ، وقد كانت اكثر هذه القصص مما وقع له معهن او مما كان له علم او شأن فيه . وكنّ فيما يظهر ايضاً يسمعن شعر عمر ببعضهن فيرغبن في ان يعرفن خبر هذا الشعر . ومنهن من كانت تناقشه في امر وقوع ما يزعم فتنكره ، او تتحدث معه في مضمونه وتفاصيله فتعلّق على ذلك ، او تعاتبه لاجله او تنعى عليه موقفه فيه . فقد زعم الرواة ان فاطمة بنت عبد الملك احتالت عليه في ان اتت به معصب العينين الى مضربها ، ذلك انها ارسلت احدى جواريها تدعو عمر الى محادثة احسن الناس وجهاً واتمهم خلقاً واكملهم ادباً واشرفهم حسباً ، فقال عمر ما احبّ اليّ ذلك ! قالت الجارية : على شرط تمكنني من عينيك حتى اشدها واقودك حتى اذا توسطت الموضع الذي اريد حللت الشد ، ثم افعل ذلك بك عند اخراجك . وتنتهي الرواية في ان فاطمة سألته عن ابيات نظمها ثم نعت عليه تصريحه بالفسق .[1]

ولكن فاطمة على ذاك طلبت اليه ان يكلمها ويحدثها وينشدها ، وقالت له : لولا وشك الرحيل وخوف الفوت ومحبتي لمناجاتك والاستكثار من محادثتك لاقصيتك .[2]

وذكر الرواة ان كلثم بنت سعد المخزومية عيّرته بالفاسق مداعبةً اياه وذكّرته بفساد مبدأه في الحب في قوله الذي فيه :

لا تجعلن احدًا عليك اذا احببته وهويته ربًّا [3]

ورووا ان البغوم عندما سمعت قوله فيها وفي صاحبتها أسماء :

ولقد قلت ليلة الجزل لمّا اخضلت ريطتي عليّ السماء

قالت : ما رأيت اكذب منك يا عمر ! تزعم انك بالجزل وانت في جنيد محمد بن مصعب ، وتزعم ان السماء اخضلت ريطتك وليس في السماء قزعة . قال : هكذا يستقيم هذا الشأن .[4]

---

١) الاصبهاني ١ : ٧٦ — ٧٧
٢) الاصبهاني ١ : ٧٦ — ٧٧
٣) " ١ : ٨٣
٤) " ١ : ٦٨ — ٦٩

ومنهن من كانت تعاتبه على امور قد بدرت منه او ظهرت في شعره ، كتخلفه عن موعد ضربه لها ، او كتصريحه باسمها الخ . فقد قال :

رب لهو لهوته بجوار ربائب
ليس في ذاك محرم واله المغارب
غير ان نشفي الصدو ر بذَرْوِ التعاتب [١]

وقال :

ان تجودي او تبخلي فبحمد انت من واصل لنا لا تذمي
او تقولي ما زلت في الشعر حتى بحت للناس غير ان لم تسمّ
فالمحل الذي حللت به وال حسن ابدى عليك ما كنت اكمي [٢]

وقال :

فلما التقينا سلّمت وتبسمت وقالت كقول المعرض المتجنب
امن اجل واش كاشح بنميمة مشى بيننا صدقته لم تكذب
قطعت وصال الحب فينا ومن يطع بذي ودّه قول المحرش يعتبِ [٣]

وقال :

قالت لجارية لها قولي له مني مقالة عاتب لم يعتب
ولقد علمت لئن عددت ذنوبه ان سوف يزعم انه لم يذنب
المخبري اني احبّ مصاقباً دانى المحل ونازحاً لم يصقب
لو كان بي كلفاً كما قد قال لم يجمع بعادي عامداً وتجنبي
فجعلت اثلجها يميناً برةً باللّه حلفة صادق لم يكذب
ما زال حبك بعد يشمي صادقاً عندي وارقب فيك ما لم ترقبي [٤]

وقال :

ثم قالت ودمعها يغسل الكحلَ م مرارًا يخال درًّا نظيما
لا يكوننّ اخر العهد هذا يا ابن عمي ولا تطيعن غوما
ثم قالت لتربها ان قلبي من هواه امسى مصاباً كليما [٥]

---

١) ابن ابي ربيعة (ع) ٦٠
٢) ابن ابي ربيعة (ع) ٥٠٩
٣) " " " ٩٣
٤) " " " ١٠٦ — ١٠٧
٥) " " " ٥٠٤

وترى في شعره ان صاحباته كن ينقلن له بعض احاديثهن عنه او عمّا له علاقة فيه او في محبوباته قال :

زعموها سألت جاراتها وتعرّت ذات يوم تبترد
اكما ينعتني تبصرني عمركنّ الله ام لا يتئد [١]

وقال :

ودعاني ما قال فيها عتيق وهو بالحسن عالم بيطارُ
قولُ نسوانها اذا حفل النسوان (م) في مجلس وقلّ الامارُ
انها عفة عن الخلق الوا ضع والطعمة التي هي عارُ
نعتوها فاحسنوا النعت حتى كدت من حسن نعتها استطارُ [٢]

وقال :

خبروها بانني قد تزوجت م فظلّت تكاتم الغيظ سرًّا
ثم قالت لاختها ولأخرى جزعًا ليته تزوج عشرا
واشارت الى نساء لديها لا ترى دونهن للسر سترا
ما لقلبي كأنه ليس مني وعظامي اخال فيهن فترا
من حديث نمى الي فظيع خلت في القلب من تلظّيه جمرا [٣]

وقال :

فقالت لاتراب لها ابرزن انني اظن ابا الخطّاب منا بمحضر
قريبًا على سمت من القوم تتقى عيونهمُ من طائفين وسمّر
له اختلجت عيني اظن عشيّةً واقبل ظبي سانح كالمبشر
فقلن لها لا بل تمنيت منيةً خلوت بها عند الهوى والتذكّر
فقالت لهن امشين إمّا نلاقه كما قلت او نشفي النفوس فنعذر [٤]

وان ديوانه مترع بمثل هذه الاشعار التي يذكر فيها احاديث صاحباته فيما بينهن ، او احاديثهن اليه ، او حديثه اليهن ، ومحاوراتهن وجدلهن في بعض الامور وشيئاً من عاداتهن في الكلام والقسم وغير ذاك ، وقد كان عمر قديراً في تضمين هذه الاحاديث في شعره او تمثيلها او تصويرها حتى لكانك تسمعها الآن من فم قائلاتها بعد هذا الزمن الطويل .

---

١) ابن ابي ربيعة (ع) ١٤٥
٢) ابن ابي ربيعة (ع) ٢٣٤
٣) " " " " ٢٠٩
٤) " " " " ١٩٨

وهناك تعابير لا تزال مألوفة عند العامة حتى الآن ، واسمع قوله الذي ذكرنا منذ حين عن صاحبته التي نقلوا اليها ان عمر تزوج :

خبروها بانني قد تزوجت فظلت تكاتم الغيظ سرا
ثم قالت لاختها ولاخرى جزعاً ليته تزوج عشرا

تشعر كأنك تسمع هذه العبارة الآن من فم فتاة عربية كادها حبيبها فتزوج من غيرها ، واسمع هذا الكلام :

فقالت : فلا تلبثن . قلن : تحدثي اتيناك . وانسبن انسياب مها الرمل

ترّ انه يكاد يكون نقله بالحرف كما سمعه من صاحباته وهن يخاطبن محبوبته . تقول لهن : لا تلبثن . اي لا تبطئن في الرجوع ، فيجبنها : تحدثي اتيناك . اي سوف لا نلبث طويلاً .

ومن هنا نرى ان شعر عمر هو من خير المصادر لمعرفة شيء عن لغة المرأة الحجازية وتعابيرها ، وبعض ضروب حديثها وانواع مواضيعه ، ومع انه يجوز ان يكون صاحبنا عمر قد صقل بعض تعابيرها عند ذكرها في شعره او غيّرها فلا نظن انه كان بعيداً عن تمثيل لغة المرأة الحضرية في ذلك العصر وحديثها وهناك بين ادبائنا العصريين من يذهب الى ابعد من هذا فيزعم ان شعر عمر خير مصدر على الاطلاق لدراسة الحياة الاجتماعية التي كانت تحياها المرأة الارستقراطية في الحجاز في العصر الاموي . قال طه حسين : والمؤرخ الذي يريد ان يدرس حياة المرأة العربية المترفة في هذا القرن الاول يجب ان يلتمس هذه الحياة في شعر عمر ابن ابي ربيعة فلن يظفر في مصدر آخر من مصادر الادب والتاريخ بمثل ما يظفر به في هذا الشعر .[1]

ميله لتزويق الكلام

ولكن عمر كان فيما يظهر يتعرض في حديثه مع النساء وعنهن وفي محاولاته الى اظهار حبه لهن وردّه على عتابهن الى شيء من تزويق الكلام ، وربما الى اكثر من التزويق — الى التحريف والكذب — ولم يفت النساء زمنذاك ان يلمسن هذا في حديثه وشعره ،

---

١) طه حسين ٢ : ١٣١ و ١٤٣

فقد اتهمنه بسرد الكلام وتزويقه والكذب فيه ، ولعلّه كان فيهن من لم تر بأساً في بعض هذا التزويق والكذب . وقد ذكر الرواة ان كلثم بنت سعد المخزومية قالت عنه : انه خدّاع مَلِق وليس لما شكاه اصل .[1] وان الثريا قالت عنه : انه لوَقَاحٌ صَنَع بلسانه ولئن سلمت له لاردنّ من شأوه ، ولاثنين من عنانه ، ولاعرفنه نفسه .[2] وقالت عندما سمعت وصفه لرملة بنت عبدالله بن خلف الخزاعية وقوله :

وجلا بردها وقد حسرته نور بدر يضيء للناظرينا :

افٍ له ما اكذبه أوَ ترتفع حسناء بصفته لها بعد رملة ؟[3]

ولقد رووا عنه ايضاً انه لقي مرةً عائشة بنت طلحة بمكة وهي تسير على بغلة لها ، فقال لها : قفي حتى اسمعك ما قلت فيك . قالت : أوَ قد قلت يا فاسق ! قال : نعم ! فوقفت فانشدها :

يا ربّة البغلة الشهباء هل لك في ان تنشري ميّتاً لا ترهقي حرجا
قالت بدائك مت او عش تعالجه فما ترى لك فيها عندنا خرجا
قد كنت حملتنا غيظاً نعالجه فان بعدنا فقد عنيتنا حججا
حتى لو اسطيع ما قد فعلت بنا اكلت لحمك من غيظٍ وما نضجا

فقالت : لا وربّ هذه البنيّة ما عنّيتنا طرفة عين قط ! ثم قالت لبغلتها : عدس ! وسارت .[4]

ولقي سعدى بنت عبد الرحمن بن عوف فانشدها شعره فيها ، وزعم فيه انها قالت له شيئاً ، ولكنها بعد فراغه من انشاده قالت له : اخزاك الله يا فاسق ، ما علم الله اني قلتُ مما قلت حرفاً ! ولكنك انسان بهوت .[5]

وكذلك لم يفت الكثيرين من معاصريه ان يحسّوا بهذه الظاهرة في اقواله .[6] فقد رُوي ان نصيباً زعم مرة ان عمر اكذب الشعراء .[7] وان ابن ابي عتيق قال عنه : انه من الشعراء الذين يقولون ما لا يفعلون .[8] وروي ايضاً انه لما هجرته الثريا وسعى ابن ابي

---

١) الاصبهاني ١ : ٨٣
٢) الاصبهاني ١ : ٨٦
٣) " ١ : ٨٨
٤) " ١ : ٨١
٥) " ١٦ : ١٢
٦) " ١ : ٤١
٧) " ٢ : ١٤٦
٨) " ١ : ٨٩

عتيق فاصلح بينهما ، قال عمر شعراً يصف فيه هذا الصلح ، ويزعم ان ام نوفل جارية الثريا دعت الثريا لتجيبه ففعلت ، ولبّته :

حين قالت لها اجيبي فقالت من دعاني قالت ابو الخطاب

ويظهر ان الزبير بن بكار شك في صدق كلام عمر فقال : وما دعتها ام نوفل الاّ لابن ابي عتيق ولو دعتها لعمر ما اجابت .[١]

وفي شعره مواضع كثيرة تشير الى معاتبة النساء له على كذبه ، او على حنثه بوعوده ، او تزويقه الكلام ، قال بلسان احدى صاحباته :

غير ان قد غدرتني قبل خبر فوجدناك كاذباً اذ خبرتا
اين ايمانك الغليظة عندي ومواثيق كلها قد نقضتا
لا تخون الرباب ما دمت حياً يا ابن عمي فقد غدرت وخنتا

وفيها يقول :

من كلام تحذه وبحلف فلعمري فربما قد حلفتا
ثم لم توف ان حلفت بعهد بئس ذو موضع الامانة انتا[٢]

وقال يذكر قول احدى صاحباته لرسولها اليه :

ثم قولي كفرت يا اكذب الناس م جميعاً من حاضرين وبادي[٣]

كثير القسم

والذي يقرأ ديوان عمر يرى اكثاره من القسم في شعره سواء اكان متكلماً بلسانه او بلسان احدى صاحباته ، وهو يدلّ على كثرة استعانتهم بالأيمان في احاديثهم واشعارهم في ذلك العصر ، وربما نعرض لهذه الظاهرة عند درسنا شعر عمر والصور الاجتماعية التي يعكسها ، فلنكتف بذكر بعض الامثلة هنا . قال :

لقد حلفتُ يميناً غير كاذبة صبرًا اضاعفها يا سكن مجتهدا
بالله ما غمت من نوم تقرّ به عيني ولا زال قلبي بعدكم كمدا[٤]

---

١) الاصبهاني ١ : ٨٩
٢) ابن ابي ربيعة (ع) ١١١
٣) ابن ابي ربيعة (ع) ١٧٤
٤) " " " " ١٤١

وقال :

فجعلت اثلجها يميناً برةً بالله حلفة صادقٍ لم يكذب
ما زال حبّك بعد ينمي صاعداً عندي وارقب فيك ما لم ترقبي [١]

وقال :

والله والبيت العتيق لقد ساويت عندي جنّة الخلد [٢]

وقال :

هي والله الذي هو ربي صادقاً احلف غير الكذاب [٣]

وقال :

لا والذي بعث النبي محمدا بالنور والاسلام دين القيّم
وبما اهلّ له الحجيج وكبّروا عند المقام وركن بيت المحرم
والمسجد الاقصى المبارك حوله والطور حلفة صادق لم يأثم [٤]

وفي اشعار عمر شواهد كثيرة على هذه الناحية . ولم يفته ايضاً كما ذكرنا ان يثبت بعض الأيمان التي كانت تحلفها النساء وصور هذه الايمان وانواعها .

قال :

قالت وعيش ابي وحرمة اخوتي لأنبهن الحيَّ ان لم تخرج
فخرجت خوف يمينها فتبسمت فعلمت ان يمينها لم تحرج [٥]

وقال :

قلت مهلاً عفواً جميلاً فقالت لا وعيشي ولو رايتك مُنّا [٦]

وقال :

ولعمدًا ردّني فاجتهدت يمين حلفة عند الغضب
اشهد الرحمن لا يجمعنا سقف بيتٍ رجباً حتى رجب [٧]

---

١) ابن ابي ربيعة (ع) ١٠٧
٢) ابن ابي ربيعة (ع) ١٥٣
٣) " " " " ٩٧
٤) " " " " ٤٩٩
٥) " " " " ١١٩
٦) " " " " ١٠٩
٧) " " " " ٥٦

وفي خبر هذه الابيات ان صاحبته هذه وعدته ان تزوره ، وبعثت احدى جواريها تضرب الباب ، فوجدت عنده جاريته ، فعادت وبلّغت سيدتها ، فاقسمت لا تزوره حولاً . فكبر عليه ذلك ، وبعث اليها امرأة كانت تختلف بينه وبين معارفه ، وما زالت بها حتى صرفتها عن رأيها ، ذلك انها اقسمت لها انه لم يكن عنده الاّ جاريته فرضيت ورجعت عن يمينها .

بحب الدعابة والمزح

وكان من طبع عمر فيما يظهر ميل للدعابة والمزح والمفاكهة ، وقد كان يخلط احاديثه مع النساء في شيء منها . ذكر بديح عن نفسه كيف خدعه عمر ذات يوم واستطاع ان يرسله الى بنت محمد بن الاشعث الكندية في حيلة لطيفة . قال بديح : فلما رايتها مقبلة عرفت انه خدعني ، فقلت له : يا عمر ! صدقت التي قالت :

فهذا سحرك النسوان م قد خبرتني خبرك

قد سحرتني وانا رجل ، فكيف برقة قلوب النساء وضعف رأيهن ؟ وما آمنك بعدها ! ولو دخلت الطواف ظننت انك دخلته لبليّة ، قال : وحدثها بحديثي فما زالا ليلتهما يفضلان حديثهما بالضحك مني .[1]

وفي ابياته التي ذكرنا منذ قليل عن قَسَم صاحبته في ان يخرج والاّ نبهت اهلها ، وكيف خرج فتبسمت فعاد ، ضربٌ من ضروب هذا المزاح بينه وبين صاحباته .

وقد كلفته مداعبته مع الثريا مرة شيئاً عظيماً فقد رووا انه اتى يزورها مستصحباً صديقاً له ، فكشفت الستر لتقابل عمر فلما رات صاحبه رجعت ، فقال لها عمر : انه لا يحتشم هذا الصديق ولا يخفي عنه شيئاً ، واستلقى من الضحك . فخرجت اليه فضربته بظاهر كفّها ، فاصابت الخواتم ثنيتيه العُليَيَين وكادت ان تقلعهما ، ثم ثبتتا واسودتا .[2]

وحجّ الوليد بن عبد الملك واستصحب عمر يدلّه على اموال الطائف ، فذكروا انه كان يقصّ عليه من اخباره ما كان يضحكه .[3]

---

١) الاصبهاني ١ : ٤١
٢) الاصبهاني ١ : ٩١
٣) " ١ : ٥٠

ونسب اليه بعض الرواة انه اصلح مأدبة اثر استلامه هدية بعثت بها له احدى نساء بني اميّة . وان اقلّ ما يقال في هذه المأدبة ان المزح فيها خرج عن دائرة الحشمة والادب الى شيء من المجون . ويقول ابو الفرج في آخر خبرها : فحدثهم عمر بالخبر ، فتعجبوا وما زالوا يتمازحون بذلك دهراً طويلاً ويضحكون منه .[١]

وليس غريباً على مثل عمر ان يحب المزح والدعابة وقد كان صديق ابن ابي عتيق الذي شهر بالمزح والدعابة واللهو .

ولم يخلُ شعر عمر من آثار هذه الناحية في خلقه وخلق صاحباته او ان شئت فقل لم يفت عمر ان يشير الى بعض ما كان يتخلل مجالسه مع صاحباته من ضروب اللهو والمزح والمفاكهة قال :

ابوء بذنبي انني قد ظلمتها ... واني بباقي ذنبها غير بائح
هي الشرّة الاولى فان عدت بعدها ... احدّث سرًّا او فكاهة مازح
فلا تغفريها واجعليها جناية ... تمرغت فيها فِيَّ حمأةُ مائح[٢]

وقال يصف ضرباً من ضروب مزاح حبيبته في كلامها معه :

حدثونا انها لي نفثت ... عقدًا يا حبّذا تلك العقد
كلما قلت متى ميعادنا ... ضحكت هند وقالت بعد غد[٣]

وقال :

منٌّ لقلبٍ غير صاح ... في تصاب ومزاح[٤]

وقال :

فهزت رأسها عجبًا ... وقالت مازح مزحا[٥]

وقال بلسان صاحبته :

قلت لي قول مازح تستبيني ... بلسان مقوّل اذ حلفتا[٦]

وقد رووا عن عمر ما يفيد انه ظلّ يحب المزاح حتى آخر عمره . حدّث مولى له قال :

---

١) الاصبهاني ١ : ٧٠
٢) ابن ابي ربيعة (ع) ١٣٣
٣) ابن ابي ربيعة (ع) ١٤٧
٤) " " " " ١٣١
٥) " " " " ١٣١
٦) " " " " ١٠٨

كنت مع عمر وقد أسنَّ وضعف ، فخرج يوماً يمشي متوكئاً على يدي حتى مرّ بعجوز جالسة فقال لي : هذه فلانة وكانت إلفاً لي . وعدل اليها فسلّم عليها وجلس عندها وجعل يحادثها ، ثم قال : هذه التي اقول فيها :

ابصرتها ليلا ونسوتها يمشين بين المقام والحجر

. . . . . .

. . . قال: وجلس معها يحادثها فاطلعت رأسها الى البيت وقالت: يا بناتي ،هذا ابو الخطاب عمر ابن ابي ربيعة عندي ، فان كنتن تشتهين ان ترينه فتعالين . فجئن الى مضرب قد حجزن به دون بابها فجعلن يثقبنه ويضعن اعينهن عليه يبصرن فاستسقاها عمر ، فقالت له : ايّ الشراب احبُّ اليك ؟ قال : الماء . فاتي باناء فيه ماء ، فشرب منه ، ثم ملأ فمه فمجه عليهن وفي وجوههن من وراء الحاجز ، فصاح الجواري وتهاربن وجعلن يضحكن ، فقالت له العجوز : ويلك ! لا تدع مجونك وسفهك مع هذا السن ! فقال : لا تلوميني ، فما ملكت نفسي لما سمعت من حركاتهن ان فعلت ما رايت .[1]

عفة مقاله

ومهما يكن من كذبه او مزحه او تزويقه الكلام ، فالذي لا شك فيه انه كان محتشماً في حديثه عفيف القول في شعره ، فليس في كل ما قرأنا له او عنه انه تفوّه بلفظ فاحش بذيء ، وليس في كل ما تحدّر الينا من شعره اثر من هذا . نعم ليس في كل الديوان الذي بين ايدينا بيت واحد فيه لفظ فاحش ، بعكس ما نرى في اشعار الكثيرين من معاصريه كالفرزدق وجرير والعرجي والاحوص وغيرهم . ويظهر انه نشأ نشأة فيها احترام لمثل هذه العفة في اللفظ شأن الكثيرين من الاشراف ، روى السيوطي في تاريخ الخلفاء ان الاشراف من الناس لا تتكلم الفحش ، وان الحسن كان منهم .[2] وروى النويري في نهاية الارب ان عبدالله بن الزبير تكلم رفثاً لامرأة من النساء ، فقال صديق له كان معه : ما ظننت ان احداً يلي شيئاً من امور المسلمين ، يتكلم بشيء من هذا .[3]

---

١) الاصبهاني ١ : ٧٠—٧١ ٢) السيوطي ٧٣

٣) النويري ٣ : ١٦٠

ولعله قد تأثر بلغة القرآن وأساليبه ، والقرآن حين يعرض لذكر علاقات الرجال مع النساء يجنح الى الكناية ويرغب عن اللفظ الخسيس المفحش الى ما يدلّ على معناه من غيره . وشواهد ذلك كثيرة .[١]

وقد ذكر مصعب الزبيري ان من المزايا التي راق فيها عمر ابن ابي ربيعه الناس وفاق نظراءه ، عفة المقال ، وذكر من عفة مقاله :

طال ليلي واعتادني اليوم سقم واصابت مقاتل القلب نعمُ
حرة الوجه والشمائل والجو هر تكليمها لمن نال غنمُ
وحديث مثله تنزل العصمُ م رخيم يشوب ذلك حلم
هكذا وصف ما بدا لي منها ليس لي بالذي تغيّب علم
ان تجودي او تبخلي فبحمد لست يا نعم فيهما من يذم[٢]

وبعثت اليه عائشة عندما وافقها وهي تستلم الركن ان يتقي الله والاّ يقول فيها هجراً ، فارسل اليها يقول : ابن عمك لا يقول الا حسناً . ولعمر من شعر يقول فيه عن نفسه مخاطباً حبيبته :

فكي اسيرًا يا عثيم فانه خلط الحياء بعفة وتكرّم[٣]

وليس غريباً ان تكون هذه الناحية من آدابه في حديثه وشعره قد يسّرت عليه امر تردده الى النساء فملن اليه ولم ينفرن منه ورغب بعضهن في ان يسمعن شعره فيهن .

ولعل هذه الناحية ايضاً من خلقه هذا قد دفعت بالرواة الى ان يقولوا عنه : انه كان عفيفاً . قال الزبير : لم يذهب على احد من الرواة ان عمر كان عفيفاً يصف ولا يقف ويحوم ولا يرد .[٤] وقال الحصري : وكان عمر على غزله وما يذكره في شعره عفيفاً .[٥] حتى محبوباته فقد احس بعضهن بذلك كما اشرنا فذكرن او ان شئت فقل ان الرواة جعلوهن يذكرن ان عمر كان عفيفاً . ذكروا انه لما وفدت الثريا على الوليد بن عبد الملك قال لها : اتروين من شعر عمر ابن ابي ربيعة شيئاً ؟ قالت : نعم ! اما انه يرحمه الله كان عفيفاً عفيف الشعر .[٦]

---

١) المبرّد ١ : ٤١٣
٢) الاصبهاني ١ : ٥٣ و ٥٥
٣) ابن ابي ربيعة (ع) ٤٩٩
٤) " ١ : ٥٣
٥) الحصري ١ : ٣٩٨
٦) الاصبهاني ١ : ٩٣ والحصري ١ : ٣٩٣

فسقه

عن عبد العزيز بن عبدالله بن عياش ابن ابي ربيعة قال : اشرف عمر ابن ابي ربيعة على ابي قُبيس ، وبنو اخيه معه وهم محرمون ، فقال لبعضهم : خذ بيدي ، فاخذ بيده وقال : ورب هذه البنيّة ما قلت لامرأة قط شيئاً لم تقله لي ، وما كشفت ثوباً عن حرام قطّ ! قال : ولما مرض عمر مرضه الذي مات فيه جزع اخوه الحارث جزعاً شديداً ، فقال له عمر : احسبك انما تجزع لما تظنّه بي ، والله ما اعلم اني ركبت فاحشةً قطّ ! فقال : ما كنت اشفق عليك الاّ من ذلك وقد سلّيت عني .(١)

اخبرني علي بن صالح قال : حدثني ابو هفّان عن اسحق عن الزبيري قال حدثني ابي عن سَمُرَة الدّوماني من حِمْيَر قال : اني لأطوف بالبيت فاذا انا بشيخ في الطواف ، فقيل لي : هذا عمر ابن ابي ربيعة ، فقبضت على يده وقلت له : يا بن ابي ربيعة ، فقال : ما تشاء ؟ قلت : أكل ما قلته في شعرك فعلتَه ؟ قال : اليك عنّي ، قلت : اسألك بالله ، قال نعم واستغفرُ الله .(٢)

ولست ادري كيف اوفّق بين هذين الرأيين المتناقضين ، بل لعلّ من الخير الاّ اسعى في التوفيق بينهما . ولقد استطاع اصحاب الرأي الاول ان يخدعوا الكثيرين من مؤرخي الادب في العصور القديمة فصدّق هؤلاء ما نُقل اليهم ، وقبلوه ، وارتاحوا الى ان عمر لم يكن بالآثم الفاسق ، فهو لم يركب فاحشة قط ولم يقل شيئاً لامرأة لم تقله له ، ولقد سلّي عنهم كما سُلّي عن الحارث اخيه . ومن الغريب ان بعض المؤرخين والرواة الذين رووا اخبار فسق عمر ومجونه لم يستطيعوا المرور بمثل هذه الرواية دون ان يدوّنوها او يعلّقوا عليها بشيء من القبول ، بل هناك من يزعم ان الرواة كانوا يعرفون هذه العفة فيه وان كلامه لم يكن غير كلام شاعر يقول ما لا يفعل . قال الحصري : وكان عمر على غزله وما يذكره في شعره عفيفاً .(٣) وقال الزبير بن بكار : لم يذهب على أحدٍ من الرواة ان عمر كان عفيفاً يصف ولا يقف ويحوم ولا يرد .(٤)

ولا اظن ان عمر نفسه يريدنا ان نصدّق ما تقوّلوه عنه من انه لم يقل لامرأة شيئاً لم

---

١) الاصبهاني ١ : ٣٦
٢) الاصبهاني « د » ١ : ٧٥ وانظر الاصبهاني ١ : ٦٧
٣) الحصري ١ : ٢٩٨
٤) الاصبهاني ١ : ٥٣

تقله له ، بل لا نظن ان هؤلاء الرواة يريدوننا ان نصدّق ان عمر كان عفيفاً في جميع وقائعه يحوم ولا يرد . ويكفي ان نعلم ان هذه الشهادة التي تبرئ عمر من الاثم قد صدرت عن قريب له من آل ابي ربيعة ، وان كلام عمر الـذي نفى به المنكر عن نفسه قد قاله لبني اخيه ولأخيه .

كذلك لسنا نذهب الى ان الرأي الثاني يجب ان يُقبل بجرفه ، اذ لسنا نزعم ان عمر كان من الصدق بحيث كان يصف في شعره ما فعله في حياته دون ان يلجأ الى الخيـال او المبالغة . ولقد مرّ معنا ان كثيرات من النساء نعين عليه كذبه . وقد حاول صديقه ابن ابي عتيق ان يدافع عنه مرةً فقال : انه من الشعراء الذين يقولون ما لا يفعلون .(١)

غير انه مهما يكن امر كذبه فان في اقراره — ان صحّ — لدليلاً على ارتكابه الإثم . ولم يفت القدماء من معاصري عمر وغيرهم ان يشيروا الى شعره الذي يصرح فيه بفسقه ومجونه ، روى الاصبهاني انه لما انشد عمر ابنُ ابي ربيعة ابنَ ابي عتيق قوله :

ثم قالت لأختها قد ظلمنا إن رجعناه خائباً واعتدينا
في خلاء من الانيس وامنٍ فشفينا غليله واشتفينا

قال ابن ابي عتيق : امكنت للشارب الغُدُر ، من عال بعدها فلا انجبر .(٢)
فلما بلغ الى قوله :

فمكثنا كذاك عشرًا تباعًا فقضينا ديوننا واقتضينا

قال : اما والله ما قضيتها ذهباً ولا فضةً ولا اقتضيتها إياه فلا عرّفكما الله قبيحاً .(٣)
وزعم ابن ابي عتيق مرة ان الله جلّ وعزّ ما عُصي بشعر اكثر ممـا عصي بشعر ابن ابي ربيعة (٤)

وكان ابن جريج يقول : ما دخل على العواتق في حجالهن شيء اضرّ عليهن من شعر عمر ابن ابي ربيعة .(٥)

---

١) الاصبهاني ١ : ٨٩
٢) الاصبهاني « د » ١ : ٢٢٩ يريد ان يقول لقد امكنتك الفرصة فانتهزها .
٣) " " " " "
٤) الاصبهاني ١ : ٤٨
٥) " ١ : ٣٥

وزعم الرواة ان كثيرات من النساء نعين عليه فسقه ولمنه على شعره الذي وصف عبثه فيه .[١] وقد منحه بعضهن لقباً عرف به وذكر له في كثير من المراجع التي بين ايدينا ، الا وهو « الفاسق » . ولسنا نعلم من منهن كانت الأولى في منحه هذا اللقب ، انما نعرف ان عائشة بنت طلحة لقّبته به غير مرة ،[٢] وان فاطمة بنت عبد الملك نعتته به فيما يزعمون .[٣] وكذلك فعلت كلثم بنت سعد المخزومية وجاريته التي بعثها رسولاً الى كلثم هذه .[٤] وقد شاع لقبه هذا فيما يظهر فنعته به اخوه الحارث ،[٥] ونعته به ايضاً الخليفة عبد الملك بن مروان .[٦]

ولقد قصّ الرواة بعض اخبار مجونه فحدثوا عنه انه كان لابي العباس الشاعر الاعمى جارية وكان عمر يحبها ويراميها ببنادق الغالية ،[٧] فبلغ ذلك ابا العباس فقال لقائده : قفني على باب بني مخزوم فاذا مرّ عمر ابن ابي ربيعة فضع يدي عليه . فلما مرّ عمر وضع يده عليه فاخذ بخُجْزته [٨] وقال :

الا من يشتري جارًا نؤوما ... بجارٍ لا ينام ولا ينيمُ
ويلبس بالنهار ثياب ناسٍ ... وشطر الليل شيطان رجيمُ

فنهضت اليه بنو مخزوم فامسكوا فمه وضمنوا له عن عمر ان لا يعاود ما يكرهه .[٩] وحدثوا عنه انه حين سار مع الوليد بن عبد الملك يدلّه على اموال الطائف حرّك رداءه ليصلحه على كتفه ، فرأى الوليد على منكبه اثراً ، فقال : ما هذا الاثر ؟ فقال : كنت عند جاريةٍ لي اذ جاءتني جارية برسالةٍ من جاريةٍ اخرى فجعلت تسارّني ، فغارت التي كنت احدثها فعضّت منكبي فما وجدت الم عضتها من لذّة ما كانت تلك تنفث في اذني حتى بلغت ما ترى .[١٠]

وقصّوا عنه قصصاً اخرى كثيرة بعضها اقرب الى قصص الف ليلة وليلة منها الى الحقيقة ، ولكن هذه القصص على غرابتها وزخرفها ليس فيها تصريح ظاهر لارتكاب عمر إثماً

١) الاصبهاني ١ : ٧٧ و ٨٠ ، و ٨١ و ٨٣
٢) الاصبهاني ١ : ٨٠ و ٨١
٣) الجاحظ (م) ٢٢٥
٤) " ١ : ٨٣ و ٨٤
٥) الاصبهاني ١ : ٩٣
٦) المرزباني ٣٠٢
٧) أخلاط من الطيب
٨) الحجزة معقد الازار
٩) الاصبهاني ١٥ : ٦٣
١٠) الاصبهاني ١ : ٥٠

مُنكراً كالذي يُروى عن زميليه الاحوص والعرجيّ . امّا الذي يدفعنا الى اتّهامه فهو اقراره على نفسه في بعض شعره واعلانه عن إتيانه الاثم . ونحن وان كنا نعلم ان عمر كان شاعراً والشاعر يلبس الحقيقة في اغلب الاحيان ثوباً من الخيال ، لا نرى ما ندفع به الاثم عنه وهو يُقر مثل هذا الاقرار في عصر لم يكن من الشائع فيه ان يصرّح المرء في ارتكابه الموبقات ان لم يكن قد الفها . وقد زعم بعض الرواة ان مَشيخةً من قريش كانت تستحسن من عمر ما تستقبحه من غيره من مدح نفسه والابتيار في شعره . والابتيار ان يفعل الانسان الشيء فيذكره ويفخر به .[١]

ولنذكر ايضاً ان الجواري اللواتي وقعن في ايدي العرب بعد الفتح وانقطعن عن الحياة العائلية التي كنّ يحيينهـا في بيوتهن الاولى في بلادهن قد يسّرن سبل الفسق والاثم وساعدن على انتشاره ، وقد بلغ الامر ببعضهن ان اتخذن منازل خاصة يقصدهـا الرجال للفسق . وقد روى الرواة ان جاريةً كانت تلقّب بديباجة الحرم نزلت ابطح مكة مرةً وافترشت فيه البسط والنمارق ووضعت في المكان حشايا عليها أنماط فجلست عليها ثم بعثت في تلك الليلة رسولاً خاصاً يسعى بينها وبين زيد بن عمرو بن عثمان كي يجيئها فجاءها .[٢] وقد اتهمت هذه الجارية في اخلاقها .[٣] وكان عمر من عشّاقها ، وقد فاتته مرة زيارتهـا فقال في ذاك :

ذهبتَ ولم تلمم بديباجة الحرمْ وقد كنت منها في عناء وفي سقمْ
جننت بها لمـا سمعت بذكرها وقد كنتَ مجنوناً بجاراتها القدم
اذا انت لم تعشق ولم تدر ما الهوى فكن حجراً بالحزن من حرّة أصم[٤]

وكان بعض الجواري يتوسطن بين العشـاق فكنّ يحملن الرسائل ويصلحن بين المتجافين ويغرين النساء ، وكان لعمر منهن عدد يسعين بينه وبين عشيقاته قال في احداهن :

فاتتهـا طبّة عالمة تخلط الجدّ مرارًا باللعب
تغلط القول اذا لانت لها وتراخي عند سورات الغضب
لم تزل تصرفها عن رأيها وتأنّاها برفق وادب

وزعموا انه انشد هذا الشعر امـام ابن ابي عتيق فقال له : الناس يطلبون خليفةً في

١) الاصبهاني ١ : ٥٣ — ٥٤
٢) الاصبهاني ١٧ : ٩٣
٣) " ١٧ : ٩٣
٤) ابن ابي ربيعة (ش) ق ٤١٦ والاصبهاني ١٧ : ٩٤

صفةِ قوادتك هذه يدبّر امورهم فما يجدونه .[1]

ولعلّ اكثر حوادث عبثه وقعت في شبابه . قال :

تذكرت بالشري ايامها ... وايامنا بكثيب الأمر
ليالي يجري باسرارنا ... امين لنا ليس يفشي لسر
فاعجبها غُلَواء الشبا ... بِ تثبت في ناضر مسكر
واذ انا غرٌّ اجاري ددًا ... أخو لذة كصريع السكر[2]

وقد مرّ معنا انه قضى اكثر شبابه في المدينة وضواحيها يتردد الى دور الغناء واماكن اللهو ويقصد مع بعض اصحابه متنزّهات العقيق ، فليس غريباً ان تكون الخلوات في ذلك الوادي البهيج قد يسّرت لعمر سبل الاثم . ولم يفت عمر حين كان يزور الطائف ان يعبث ويلهو ، فقد كانت الطائف مصيفاً لسراة الحجاز ، وكان هذا المصيف متزوياً عن عيون العمّال والرقباء فمرح به اهل اللهو وعبثوا . وكذلك لم يفته ان يلهو بمكة لا سيما بعد انتهاء موسم الحج . ولنذكر ان اكثر صواحب عمر كنّ يقضين الشتاء بمكة والصيف بالطائف . ويظهر ان نظم الحياة الاجتماعية عند بعض نساء الحجاز في ذلك العصر كانت تيسر لعمر الاختلاط بالمرأة واللهو معها ، وكانت تدفعها الى ان تتودد اليه وتتهالك على قربه ، وقد زعموا ان امرأة عراقية اسمها الملاءة بنت زرارة قالت عن عمر مرة : أما والله لو كنت كبعض من يواصل لما رضيت منه بما يرضين ، وما رأيت ادنى من نساء اهل الحجاز ولا اقرّ منهن بخسف ، والله لأَمةٌ من امائنا آنف منهن .[3]

وقد كان لعمر في بوادي الحجاز مجال للاجتماع ببعض صواحبه ، ولعله قد اتخذ بعضهن من البدويات . وان شعره الذي يصرّح فيه بفسقه يعجّ بذكر أسماء الكثبان والاودية والغدُر البعيدة عن اكثر مدن الحجاز .

اما شعر عمر الذي يقرّ فيه بفسقه فليس كثيراً ، ومن يدري فلعلّ بعضه قد ضاع فيما ضاع من شعره ، او ان الرواة او المتحرجين منهم بنوع خاص قد اسقطوا ما استطاعوا اسقاطه من شعر العبث والمجون . ومهما يكن من امر فان القدر الذي بين ايدينا منه

---

١) الاصبهاني ١ : ٥٩ — ٦٠ ٢) ابن ابي ربيعة (ع) ٣٩٩ امّا الدد فهو اللهو واللعب . واقرأ الابيات الاخيرة في هذه القصيدة حيث ترى إقراره بعبثه ومجونه .

٣) الاصبهاني ١٢ : ٧٨

يكني لتجريم عمر ، واستميح القـارئ عذراً اذا ضربت صفحاً عن بعض هذا الشعر واكتفيت بالاشارة اليه دون ان يفوتني الاستشهاد بما لا ارى كبير خطر في ذكره ، قال :

لمّا المَّت باصحابي وقد هجعوا ... حسبت وسط رحال القوم عطّارا
من طيب نشر التي نامتك اذ طرقت ... ونفحة المسك والكافور اذ ثارا
فقلت من ذا المحيي وانتبهت له ... ام من محدثنا هذا الذي زارا
قالت محبٌّ رماه الحبُّ آونةً ... وهيّجته دواعي الحب اذ حارا
. . . . . ان شئتِ واجزي محبًّا بالذي سارا
فقد تجشمت من طول السّرى تعبا ... وفي الزيارة قد ابلغت اعذارا
ان الكواكب لا يشبهن صورتها ... وهنّ اسوأُ منها بعدُ أخبارا[1]

وقال :

ثم ابدت اذ سلبت الـ ... ـحرط مبيضًّا هضيما
فلهونا الليل حتى ... هجم الصبح هجوما
قلن قد نادى المنادي ... وبدا الصبح فقوما
قمن يزجين غزالا ... فاتر الطرف رخيما
ولقد قضّيت حاجا ... تي ولاقيت النعيما[2]

وقال :

ولست بناس طوال الحياة م ... ليلتنا بكثيب الغدر
ولا قولها لي اذ ايقنت ... بما قد أريد بها استقر[3]

وله في رائيته المشهورة موقف يصف فيه زيارته لصاحبته ليلًا ويذكر كيف بلغ خيمتها متسللًا فباغتها فيها فارتاعت اول الامر ثم اخذ يهدئ روعها فسكنت وهنا يقول :

فقالت وقد لانت وافرخ روعها ... كلاك بحفظ ربُّك المتكبّرُ
فانت ابا الخطّاب غير منازع ... عليّ اميرٌ ما مكثتُ مؤمّرُ
فبتّ قرير العين أعطيتُ حاجتي ... اقبّل فاها في الخلاء فاكثِرُ
فيا لك من ليلٍ تقاصر طوله ... وما كان ليلي قبل ذلك يقصرُ
ويا لك من ملهىً هناك ومجلس ... لنا لم يكدّره علينا مكدّر
. . . . . .

---

١) ابن ابي ربيعة (ع) ٢١٦
٢) ابن ابي ربيعة (ع) ٥٣٠
٣) ابن ابي ربيعة (ع) ٣٠٠ و ٣٠١

فلما تقضى الليل الاّ اقلّه وكادت توالي نجمه تتغوّرُ
اشارت بان الحيّ قد حان منهم هبوب ولكن موعدٌ لك عَزورُ
فما راعني الاّ مناد برحلة وقد لاح مفتوق من الصبح اشقرُ
فلما رأت من قد تشوّر منهم وايقاظهم قالت أشر كيف تأمرُ
فقلت ابادهم فامّا افوتهم وامّا ينال السيف ثأرًا فيثأرُ
فقالت اتحقيقًا لما قال كاشح علينا وتصديقًا لما كان يؤثرُ
فان كان ما لا بدّ منه ففيره من الامر ادنى للخفاء واسترُ

وهنا يزعم عمر ان الفتاة رأت ان تخبر اختيها بالامر ، فذهبت اليهما وقصت عليهما خبرها وهي تبكي ، فاقبلتا وارتاعتا ثم اخذتا تهوّنان عليها الامر وارتأت احداهما ان تعطيه بعض ثيابها ليلبسها ويمشي متنكراً فلا يفشو سرهن . وهنا يقول عمر :

فكان مجنّي دون من كنت أتّقي ثلاث شخوص كاعبان ومعصرُ [1]

وله قصيدة اخرى يذكر فيها ان صاحبته هي التي قصدته وقد ضربت له موعداً في الليل فيقول :

لم يرعني بعد اخذي هجعة غير ريح المسك منها والقطر
قلت من هذا فقالت هكذا انا من جشمته طول السهر
ما انا والحب قد ابلغني كان هذا بقضاء وقدر

الى ان يقول :

فتقضت ليلتي في نعمةٍ مرّة الشهبا غيرٌ حصر
. . . . . .
فلهونا ليلنا حتى اذا طرب الديك وهاج المدّكر
حركتني ثم قالت جزعا ودموع العين منها تبتدر
قم صفيّ النفس لا تفضحني قد بدا الصبح وذا برد السحر

ثم يذكر في آخر القصيدة كيف عادت من زيارته هي ورفيقات كنّ ينتظرنها .[2]
وله قصيدة يذكر فيها بعض حوادث فسقه مع صاحبته نُعم تكاد تتفق في معانيها مع بعض ما تقدم من شعره .[3]

---

١) ابن ابي ربيعة (ع) ١٨٦ — ١٨٩ وراجع سائر ابيات القصيدة
٢) ابن ابي ربيعة (ع) ٢٥٩ — ٢٦٣ ٣) ابن ابي ربيعة (ع) ٣٢٥ — ٣٢٨

ولعل في هذا القدر من شعره كفاية ، فلنشر الى قصائده الاخرى التي يعرّض بها بارتكابه الاثم غير ناسين ان نذكر ان التشابه بين اكثر القصائد يدفعنا الى الظن ان عمر ربما قال في حادثة واحدة قصائد عديدة .[1] ولا بد لنا في ختام هذا الباب من ان نشير الى ان بعض مؤرخي الادب القدماء قد اصدروا حكمهم على عمر وجرّموه ، قال ابن قتيبة : وكان عمر فاسقاً يتعرض للنساء الحواجّ في الطواف وغيره من مشاعر الحج .[2] وقال ابن خلكان عنه : وهو كثير الغزل والنوادر والوقائع والمجون والخلاعة .[3] ولكن أقضى عمر حياته كلها في المجون والخلاعة ؟ سنرى !

---

١) ابن ابي ربيعة (ع) ٢٣ و ١٥٤ و ٢٠٩ و ٢٤٤ — ٢٤٥ و ٢٩٦ و ٣٠١ و ٣٣١ و ٣٣٦ و ٣٥٦ و ٣٧٧ و ٤٥٩

٢) ابن قتيبة (ش) ٢٤٩

٣) ابن خلكان ١ : ٥٢٨

توبته ونسكه

واللهُ يُريدُ ان يتوبَ عليكُمْ ويريدُ الذين يتّبعون الشهوات ان تميلوا ميلاً عظيماً يُريدُ اللهُ ان يخفّفَ عنكُمْ وخُلِقَ الانسانُ ضعيفاً[١]

روى بعض الرواة عن الامام ابن عباس انه قال : اذا بلغ المرء اربعين سنةً ولم يتب اخذ ابليس بناصيته وقال : حبّذا من لا يفلح ابداً .[٢] وروى ابن عبد ربه عن استاذه محمد بن وضّاح قوله : اذا بلغ الرجل اربعين سنةً ولم يتب مسح ابليس بيده على وجهه وقال : بابي وجه لا افلح ابداً .[٣]

ولابن خريم شعر في هذا المعنى يقول :

اذا المرء وافى الاربعين ولم يكن ... له دون ما يأتي حجاب ولا ستر
فدعه وما يأتي ولا تعذلنّه ... وان مدّ اسباب الحياة له العمر[٤]

وليس غريباً بعد هذا ان نرى بعض الرواة يشفق على صاحبنا عمر فينسب له التوبة عند بلوغه الاربعين ويزعم انه فتك اربعين سنة ونسك اربعين .[٥]

ولم يتفرد عمر بنيل هذه النعمة في اعين الرواة بل شاركه فيها اكثر رجال المجون والخلاعة الذين تحدّرت لنا اخبارهم . ويظهر ان جماعة من رواتنا القدماء كان يسوءهم ان يموت ابطال اخبارهم في الفسق والمجون فاشفقوا عليهم وانتشلوهم من حمأة الاثم وأتابوهم الى ربهم ليرضى عنهم . وليست التوبة بالامر الغريب بل الغريب في الامر انك تكاد لا تعثر الآن على ذكر لشاعر فاسق مات في فسقه دون ان يتوب او ينسك ، ولو زعم الرواة ان بطل اخبارهم الفاسق عاوده حلمه حين داهمه المشيب ففترت سورة اللهو والطيش فيه لقلنا انه امر طبيعي، ولكن ان يتوب او ينسك كل شاعر فاسق يدوّنون حياته شيء لا بد من الاحتياط قبل الاخذ به ، ومن الممتع ان نعرض للقارئ اسماء طائفة من هؤلاء الماجنين

---

١) القرآن ٤ : ٢٣
٢) الاصبهاني ١٦ : ٤٥
٣) ابن عبد ربه ١ : ٢٧٧
٤) الاصبهاني ١٦ : ٤٥
٥) الاصبهاني ١ : ٢٦

المشهورين في تاريخ الادب العربي ثم نذكر ما قاله الرواة فيهم ، فلقد زعموا ان آدم بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز كان في اول امره خليعاً ماجناً منهوكاً في الشراب ثم نسك بعدما عمّر ومات على طريقةٍ محمودة .[١] وان محمداً بن حازم الباهلي كان من اخبث الناس لساناً واهجاهم وافسقهم ، لم يترك من اللذات شيئاً الاّ سلك سبيله ولكنه نسك وترك شرب النبيذ .[٢] وأتابوا مسلماً بن الوليد وزعموا انه ترك الشعر ورمى ديوانه بالبحر .[٣] ولست ادري الآن كيف وصل الينا ديوانه الاّ ان يكون قد قذفه البحر كما قذف الحوتُ يونان . وأتابوا الدارمي الشاعر المغنّي وزعموا انه نسك آخر حياته وترك الغناء .[٤] واتابوا سعيداً ابن وهب قالوا : وكان مشغوفاً بالغلمان والشراب ثم تنسّك وتاب وحجّ راجلاً على قدميه ومات على توبة واقلاع ومذهب جميل .[٥] واتابوا ابا نؤاس — لا غيره — وكان ابو نؤاس من نعلم ، ورووا عنه قصة ذكروا فيها تسع مقطوعات شعرية له يظهر فيها توبته ، وزعموا انه كان يتلو واحدة في كل يوم من ايام مرضه السبعة الاخيرة على صديق له ، وان المقطوعة الثامنة بعث بها يوم موته ، وان التاسعة كانت قد كتبت في رقعة وضعها بين مخدتيه .[٦] وكذلك اتابوا الفرزدق فذكر بعضهم انه رآه يصلّي في المسجد ليلةً فاستغرب ذلك منه وسأله عنهُ ، فاجاب الفرزدق : اني والله ذكرت ذنوبي فاقلقتني ففزعت الى الله عزّ وجل . وزعم بعضهم انه رآه بعد موته في النوم فسأله ما فعل الله به ، فاجابه : قد غفر لي .[٧] وما رأي القارئ في ان بعض الرواة زعموا ان المهدي ندم على قتله بشاراً ؟ قالوا : لما ضربه بعث الى منزله يفتشه ، وكان يُتّهم بالزندقة ، فوُجد في منزله طومار فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، اني اردت هجاء آل سليمان لبخلهم فذكرت قرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم فامسكت عنهم اجلالاً له صلى الله عليه وسلم .... فلما قرأه المهدي بكى وندم على قتله وقال : لا جزى الله يعقوب بن داود خيراً فانه لما هجاه لفّق عندي شهوداً على انه زنديق فقتلته ثم ندمت حين لا يغني الندم .[٨]

تُرى أتاب او نسك هؤلاء حقاً ام ان مصدر هذه التوبة والنسك هو اشفاق الرواة

---

١) الاصبهاني ١٤ : ٦٠
٢) الاصبهاني ١٢ : ١٥٨ — ١٦٤
٣) العباسي ٢ : ١٥
٤) " ٢ : ١٧٩
٥) الاصبهاني ٢١ : ١٠٤—١٠٥
٦) طه حسين ١ : ٥٧—٦١
٧) الاصبهاني ١٩ : ٤٧—٤٨
٨) الاصبهاني ٣ : ٧٢—٧٣

والمؤرخين ؟ وما هي هذه التوبة ان كانت قد وقعت ؟ أهي توبة ترجع الى شعور الفاسق بارتكابه الاثم فيكفّر عن ذاك بالاقلاع عن المجون والخلاعة والتعلق باذيال الفضيلة أم هي فتور في هذه النفس التي حطمتها الشهوات وذلك الجسم الذي هدّمه اللهو ؟ ان من شروط التوبة ان يتوب العبد عن الذنب ولا ينوي العود اليه وفي القرآن الكريم « وليست التوبةُ للذين يَعملون السيّآتِ حتى اذا حضر احدَهُمُ الموت قال إني تبتُ الآن ... » .[1]

ومهما يكن من امر هؤلاء الذين ذكرنا اسماءهم فان الباحث في اخبار عمر يرى ان هذه الرواية التي تذهب الى انه فتك اربعين ونسك اربعين لا تستند الى أساس ، فعمر قبل كل شيء لم يعش ثمانين سنة كما زعموا ولم ينقطع عيشه عند الاربعين ، فقد نسبوا اليه وقائع حدثت في خلافة عبد الملك وكان عمر في اول خلافة عبد الملك قد جاز الاربعين واستمر في لهوه حتى آخرها وكانت مدتها نحو عشرين سنة ، بل هناك من يزعم ان عبث عمر استمر الى زمن الوليد بن عبد الملك والى زمن سليمان ، وينسبون الى الاخير انه حج مرّة ثم دعا بعمر واخرجه الى الطائف حتى قضى الناس حجهم .[2] ولعل هذه الحوادث قد وقعت والوليد وسليمان اميران قبل ان يستخلفا . ويظهر ان هذا النسك الذي يشير اليه الرواة لم يتعدّ فترات خاصة في حياته كان يشتد اللوم فيها عليه من ذويه او اصحابه فيتوب الى حينٍ راضياً او مكرهاً ، والرواة يحدثوننا ان اخاه الحارث كان مشفقاً عليه ينصحه ويحاول ان يردعه عن الغواية وينهاه عن قول الشعر وان عمر وعده مرة انه سيرجع عن غيّه ولكنه لم يستطع ان يقلع عن التشبيب ، وسرعان ما بلغ شعره مسامع اخيه حتى قال : هذا والله شعر عمر قد فتك وغدر .[3]

وهناك رواية في الاغاني تذهب الى ان عمر جدّد توبةً على يدي عمر بن عبد العزيز . قال الرواة : ان عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة لم تكن له همة الا عمر ابن ابي ربيعة والاحوص ، فكتب الى عامله على المدينة : قد عرفت عمر والاحوص بالخبث والشر فاذا أتاك كتابي هذا فاشددهما واحملهما اليّ . فلما اتاه الكتاب حملهما اليه ، فاقبل على عمر فقال : هيه !

فلم أر كالتجمير منظر ناظرٍ ولا كليالي الحج افلتن ذا هوى

---

١) القرآن ٤ : ٢٢
٢) المرزباني ٣٠٢ والاصبهاني ٨ : ٥٨
٣) الاصبهاني ١ : ٤٩

وكم مالئٍ عينيه من شيء غيره اذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى

فاذا لم يفلت الناس منك في هذه الايام فمتى يفلتون ؟ اما والله لو اهتممت بامر حجّك لم تنظر الى شيء غيرك . ثم امر بنفيه ؛ فقال يا امير المؤمنين أوَ خيرٌ من ذلك ؟ قال : وما هو ؟ قال اعاهد الله الاَّ اعود الى مثل هذا الشعر ولا اذكر النساء في شعر ابداً ، واجدّد توبةً على يديك . قال : أوَ تفعل قال : نعم . فعاهد الله على توبةٍ وخلّاه .[1]

ولست ادري كيف نستطيع ان نقبل هذه الرواية حين نعلم ان صاحبنا لم يدرك خلافة عمر هذا . ومن الخير ان نلاحظ ان راويها يذهب الى ان عمر قد ظلّ في فسقه حتى هذا الزمن بحيث لم يكن للخليفة من همّ سوى عمر . وانه قد تاب قبلاً ورجع عن توبته وهو الآن يجدد توبة على يدي عمر .

وترى عمر في بعض هذه الفترات التي هدأ فيها قلقاً متردداً يطلب الى صاحبه ان يُمدّه برأيه فيما يجب ان يعمل وقد تبدّت له احدى صاحباته لتسلبه حلمه في زمن جاز فيه سنّ الطيش واصبح الصبا مستنكراً منه :

أشر يا ابن عمّي في سلامة ما ترى لنا وتبدّيها لتسلبني عقلي
على حين لاح الشيب واستنكر الصبا وراجعني حلمي واقصرت عن جهلي[2]

وتراه طوراً آخر متمرداً على عاذليه يذكر في شعره خبر توبته وهجره للّهو والصبا ثم ثم يقص نبأ من تعرضت له وحاولت ان تصرفه عن هذه التوبة فلم يستطع ردّها ، وما هي الا لحظة ياتيه فيها رسولها حتى يجيبها الى طلبها عاصياً نصح نصيحه :

اصبح القلب قد صحا وأنابا هجر اللهو والصبا والربابا
كنت أهوى وصالها فتجنت ذنب غيري فما علّ العتابا
فتعزّيت عن هواها لرشدي حين لاح القذال منيّ فشابا
بعثت للوصال نحوي وقالت ان فُه درّه كيف تابا
من رسول اليه يعلم حقًّا اجمع اليوم هجرة واجتنابا
ان لم اصرفه للذي قد هوينا عن هواه فلا اسغت شرابا
بعثت نحو عاشق غير سالٍ مع ثوابٍ فلا عدمت ثوابا
بحديثٍ فيه ملامٌ لصبٍّ موجع القلب عاشق فاجابا
فاتاها للحين يعدو سريعًا وعصى في هوى الرباب الصحابا

---

١) الاصبهاني ٨ : ٥٦ ٢) ابن ابي ربيعة (ع) ٤٠٧

كنت اعصي النصيح فيك من الوجد م واهى الحليل ان يرتابا
فابتليت الغداة منها بشيء سلّ جسمي وعدت شيئاً عجابا [1]

وآونة أخرى يذكر نسكه وتعفّفه ويزعم انه عفٌّ لا لنسكٍ فيه بل لان للحب رقيباً عليه :

يقولون اني لست اصدقك الهوى واني لا ارعاك حين اغيبُ
فما بال طرفي عفّ عما تساقطت له اعين من معشر وقلوب
عشيّة لا يستنكف القوم ان يرى سفاه امرىء ما يقال لبيب
ولا فتنة من ناسك اومضت له بعين الصبا كسلى القيام لعوب
تروّح يرجو ان تحطّ ذنوبه فآب وقد زادت عليه ذنوب
وما النسك أسلاني ولكنّ للهوى على العين منّي والفؤاد رقيب [2]

ومهما يكن امر هذه التوبة او هذا النسك فلسنا نراه نسكاً بالمعنى الواسع ، وانما هو همود في هذه النفس التي طاشت في شبابها وها هي الآن يدركها الهرم فيتهدّم الجسم وينوء بحملها ولكنها تأبى على صاحبها ما ليس من طبيعتها فما هي الاّ ان يعرض لها ما يهيجها حتى تندفع على سجيّتها ، ولنا في القصة التي اوردناها في بحثنا عن دعابته ومزحه ،[3] او القصة التي اوردناها عن صديقه العذري ابي مسهر خير مثال .[4]

والذي يلوح لنا بعد هذا كله ان عمر قد انقطع آخر حياته عن اللهو والطيش واقصر عن طلب الغيّ ولكنّ نفسه ظلّت مَرِحة جذّابة محبّبة الى الناس ، وظلّ ينظم — ربما في فترات متقطعة — هذه الخواطر التي كانت تضطرب في نفسه شعراً يذيعه بين الناس يذكر في بعضه ماضي لهوه ويلمح الى توبته ونسكه . وله قصيدة يذكر فيها ان صاحبةً له ضحكت حين رأته يتّبع سبل الرشاد والحلم يقول فيها :

ضحكت ام نوفلٍ اذ راتني وزهيرًا وسالف بن سنان
عجبت اذ رأت لداتي شابوا وقتيرًا من المشيب علاني
انّ تريني اقصرت عن طلب الغيّ م وطاوعت عاذلي اذ نهاني
وتركت الصّبا وادركني الحلم م وحرّمت بعض ما قد كفاني
ودعاني الى الرشاد فؤاد كان للغيّ مرةً قد دعاني

---

١) ابن ابي ربيعة (ع) ٤٠
٢) ابن ابي ربيعة (ع) ٨٥
٣) انظر الصفحة ١٧٨ من هذا الكتاب
٤) " " ١٦٥ " " "

ثم يمضي في قصيدته هذه ذاكراً سبل لهوه التي كان يسلكها في شبابه .[١]

وجاء في رواية انه لما اسنّ تاب ونسك ونذر لله ان يعتق رقبة لكل بيت شعر يقوله ، ولكنّ هذه الرواية تذهب الى انه حدث له ذات يوم ما لم يستطع معه ان يصبر على ما عاهد نفسه به . ذلك انه رأى شاباً يكلّم فتاةً في الطواف فعاب ذلك عليه وانكره ، فاعتذر الشاب في ان الفتاة ابنة عمه وانه يحبّها وانهُ خطبها الى ابيها فابى عليه الاّ بصداق كبير لا يطيقه ، وشكا اليه من حبها وكلفه بها امراً عظياً ، فسار عمر معه الى عمه وطلب الفتاة الى الشاب ودفع عنه صداقها وسعى في تزويجه ، وانصرف الى منزله ورمى بنفسه على فراشه يتقلّب من طربه وهاجت هذه الحادثة بنفسه ذكريات حبّه الماضية فتحرك فؤاده بالشعر وأرق فلم ينم ، وكانت وليدة له عند رأسه اقلقها امره قالت له : لا ادري ما دهمك ؟ فقال :

تقول وليدتي لما رأتني ... طربت وكنت قد اقصرت حينا
اراك اليوم قد احدثتَ شوقاً ... وهاج لك الهوى داءً دفينا
وكنت زعمت انك ذو عزاء ... اذا ما شئت فارقتَ القرينا
بربك هل اتاك لها رسولٌ ... فشاقك ام لقيت لها خدينا
ففلت شكا اليَّ اخٌ محبٌّ ... كبعض زماننا اذ تعلمينا
فقص عليَّ ما يلقى بهند ... فذكّر بعض ما كنّا نسينا
وذو القلب المصاب ولو تعزّى ... مشوق حين يلقى العاشقينا
وكم من خلّة اعرضت عنها ... لاجلكمُ وكنت بها ضنينا
اردت فراقها وصبرت عنها ... ولو جنَّ الفؤاد بها جنونا

ثم دعا تسعةً من رقيقه فاعتقهم لكل بيتٍ واحداً .[٢]

ولا بد لنا في الختام من الاشارة الى رواية ذكرناها سابقاً جاء فيها ان عمر لمّا اسنّ وضعف قابل الوليد بن عبد الملك في مكة فسأله الوليد ان يروي له شيئاً من شعره فاجابه عمر انه قد ترك الشعر .[٣] ويذكر الحصري ان عمر نسك في آخر حياته وكان نسكه في

---

١) ابن ابي ربيعة (ع) ٥٦٧

٢) الاصبهاني ١ : ٦٤ وابن عبد ربه ٣ : ١٦٨–١٦٩ ويروي الابشيهي ٢ : ١٥٢ هذه القصة وينسب وقائعها الى خليفةٍ لا يسمّيه ويكتفي بايراد خمسة ابيات من الابيات التسعة . وقد آثرنا نقل الابيات عن ديوان عمر طبعة اوربة « ابن ابي ربيعة (ش) ق ٢٣٤ »

٣) الاصبهاني ١ : ٥٣

المدينة .[1] واغلب الظن انّ ما أثر عن عمر من نقل الحديث وروايته قد وقع في هذا الشطر من حياته ، وقد كان له من نشأته العلمية والدينية ، واتصاله بالإمامين ابن عباس وابن المسيَّب ، وقرابته من بعض رجال الصحابة في ذلك العهد ما يساعده على مثل هذا الامر . ونحن بعد كل هذا لا نزيد ان ندين عمر على ماضي حياته ، بل ليس من شأننا ان ندينه ، فاذا كان قد تاب او نسك حقًا كما روى الاصبهاني وابن عبد ربه والقالي والحصري[2] فانّ له من رحمه ربّه متسعًا فسيحاً : « يا أيُّها الذين آمنوا تُوبُوا الى اللهِ توبة نصوحاً عسى ربُّكم ان يكفِّرَ عنكم سيآتِكُمْ ويُدخِلَكُم جنّاتٍ تجري من تحتها الانهار » الآية .[3]

١) الحصري ١ : ٣٠٠ ٢) الاصبهاني ١ : ٥٣ و٦٤ و ٧٣ وابن عبد ربه ٣ : ١٦٨ والقالي ٢ : ١١ و٥٠ والحصري ١ : ٣٠٠ ٣) القرآن ٦٦ : ٨

موته

ولعلّ اخفى ما في تاريخ عمر امر موته وهو شيء غريب فالرواة والمؤرخون عوّدونا ان يختلفوا في امر ولادة بطل اخبارهم لان احداً من الناس لم يؤت النبوّة ليعلم ان هذا الصغير الـذي يُوضع سيكون له شأن ، اما ان يختلفوا في ظروف موت شاعر طبّق العالم العربي صيته فامرٌ ذو بال .

غريب جداً ان يكون شاعر مثل عمر ملأ الدنيا بحق وشغل الناس — نساء ورجالاً — ثم يموت فيجهل الرواة امر موته ويختلفون في سببه وموضعه ، فيزعم بعضهم انه قضى في الشام ، ويزعم آخرون انه مات غرقاً في دَهلَك . ويذهب فريق الى انه مات من مرض اصابه ، ويذهب آخرون الى انه غزا في البحر فاحترقت السفينة به ، ويذهب غيرهم الى ان امرأة شبَّب بها ظلماً فدعت عليه فقتله دعاؤها . ويضطرب حبل الرواة في تعيين سنة موته فيرى بعضهم انها كانت ثلاثاً وثمانين للهجرة ، ويرى آخرون انها ثلاث وتسعون ، ويعدّ فريق ثالث بعمره فيجعل سنة وفاته الواحدة بعد المئة . ولسنا نرى بدّاً بعد هذا الاضطراب والتشويش من عرض هذه الروايات المختلفة للدرس والنقـد علّنا نستطيع ان نتوصل الى الحقيقة .

اما اقدم هذه الروايات واكثرها انتشاراً في كتب السَّلَف واشدها اثراً في نفوس الادباء العرب في هذا العصر واحظاها قبولاً عندهم فهي تلك التي تنصّ على ان الخليفة عمر ابن عبد العزيز نفى ابن ابي ربيعة الى دَهلَك[1] فغزا بالبحر فاحرقوا سفينته فاحترق . ولعلّ اقدم من ذكر هذه الرواية واظهر سبب وجود عمر في دهلك ابن قتيبـة في كتابه الشعر والشعراء .[2] وقد سبقه الجاحظ فذكر في البيان والتبيين خـبر احتراق السفينة بعمر[3] ولكنه لم يذكر من الذي دفع بعمر الى ان يغزو في البحر . ويظهر ان الجاحظ وابن قتيبة

---

١) وهي جزيرة في البحر الاحمر قريبة من مصوّع على الشاطىء الافريقي كان بنو امية اذا سخطوا على احد نفوه اليها . ياقوت ٢ : ٦٣٤

٢) ابن قتيبة (ش) ٢٤٩ ٣) الجاحظ (ب) ٣ : ٩٤

اشفقا على عمر فختما له بالشهادة على هذه الصورة وزعما ان عبدالله بن عمر قال : فاز عمر ابن ابي ربيعة بالدنيا والآخرة غزا البحر فاحرقوا سفينته فاحترق . وقد جارى الجاحظ وابن قتيبة في ما ذكراه عن استشهاد عمر في البحر كثيرون من المتاخرين نذكر منهم ابن خلكان[١] والدميري[٢] والسيوطي[٣] والحنبلي[٤] والعيني[٥] والبغدادي.[٦] ولعلهم قد ارتاحوا لسماع هذا الخبر فدوّنوه فرحين مطمئنين . أوليس حسناً ان تختم حياة عُمر في الجهاد ؟ اوليس عظيماً ان ترجع هذه النفس الضالة الى رشدها فيكفّر صاحبها عن سيئاته بالغزو فيموت شهيداً ؟ والاغلب ان شيئاً من هذا لم يجرِ . وهذه الرواية في نظرنا ابعد الروايات عن الحقيقة . ذلك ان عمر بن عبد العزيز اعتلى عرش الخلافة سنة تسع وتسعين كما هو مشهور ، فلو فرضنا ان ابن ابي ربيعة قد عاش الى ذلك الزمن فقد دخل في السادسة والسبعين من عمره ، ونحن نعلم انه كان زمن الوليد بن عبد الملك شيخاً كبيراً مُسناً يتوكأ على مولى له لضعفه فكيف يخشى شر هذا فينفي وكيف يغزو مثل هذا في البحر . والغريب ان كثيراً من هؤلاء الذين دوّنوا هذه الرواية ذكروا ان موت ابن ابي ربيعة قد وقع سنة ثلاث وتسعين ، اي قبل استخلاف عمر بن عبد العزيز بست سنوات ، ولم يتصدَّ احدٌ منهم لنفيها . زد على هذا ان روايتي الجاحظ وابن قتيبة تذهبان الى ان عبدالله بن عمر قصّ هذا الخبر عن ابن ابي ربيعة وزعم انه في موته شهيداً قد فاز بالدنيا والآخرة — كسب الدنياحين تمتّع بملذّاتها والآخرة حين مات شهيداً — ولسنا نعلم كيف تورّط الجاحظ وابن قتيبة في مثل هذا الخطأ فقبلا الرواية المدسوسة على عبدالله بن عمر وعبدالله بن عمر قد مات سنة اربع وسبعين[٧] اي قبل ان يصبح ابن عبد العزيز خليفةً بخمس وعشرين سنة ، وقبل ان يموت عمر ابن ابي ربيعة بزمن طويل .

واذاً فرواية الجاحظ وابن قتيبة مضطربة ضعيفة ، ولنذكر ان ابا الفرج كتب أوفى ترجمة لحياة عمر ولم يذكر هذه الرواية . واننا نذهب الى ابعد من نفي موته شهيداً في البحر فنفي ايضاً امر تسييره الى دهلك ، اذ ليس في كل اخباره ما يُفيد انه نُفي الى دهلك غير

---

١) ابن خلكان ١ : ٥٢٩
٢) الدميري ١ : ٢٣٦
٣) السيوطي (ش) ١٢
٤) الحنبلي ١ : ١٠١
٥) العيني ١ : ٣١٥
٦) البغدادي ١ : ٢٤٠
٧) الازرقي ١ : ٤٢٣ والحنبلي ١ : ٨١ وابن قتيبة (م) ٩٢

هذه الرواية التي تشير الى موته في البحر، ولعلّ مصدرها ان عمر بن عبد العزيز نفى الاحوص فيما يزعمون الى دهلك ، والرواة يعلمون ان عمر لم يكن بالفاسق اليسير ، واذن فلينفَ مع الاحوص، قالوا: فلم يكن لعمر بن عبد العزيز حين ولي الخلافة من هم سوى الاحوص وابن ابي ربيعة . وغريب ان يُنفى مثل عمر الى دهلك ولا تحفظ عنه اخبار او أشعار في ذاك بينما يذكر لنا الرواة ان اهل دهلك يأثرون عن الاحوص الشعر وعن عراك بن مالك الفقه .[١] وقد خلط الرواة بين الاحوص وعمر كثيراً ونسبوا لهذا بعض ما وقع لذاك[٢] فليس غريباً ان يجمعوا بينهما في المنفى . ولكن الاحوص أُعيد من منفاه[٣] فما بقي لعمر الا ان يموت فاماتوه شهيداً . ومن الممتع ان نعلم ان هناك من يزعم ان ابن حزم عامل الوليد بن عبد الملك على المدينة هو الذي نفى الاحوص الى دهلك لا عمر بن عبد العزيز .[٤] بل هناك من يزعم انه عامل سليمان .[٥] ورواية ثالثة تذهب الى ان الاحوص نفي الى اليمن .[٦]

ولرب معترض يقول ان عمر بن عبد العزيز كان والياً على المدينه للوليد بن عبد الملك سنة سبع وثمانين[٧] فما الذي يمنع ان يكون وهو وال قد نفى عمر الى دهلك ؟ وهنا نجيب ان احداً من الرواة لم يزعم هذا الزعم وأن اخبار موته الاخرى تناقضه كما سيجيء معنا .

وهنـاك رواية ثانية في موت عمر تذهب الى ان عمر نظر في الطواف ذات سنةٍ الى امرأة شريفة من احسن خلق الله وجهاً فذهب عقله عليها وكلّمها فلم تجبه فقال فيها :

الريح تسحب اذيالاً وتنشرهـا	يا ليتني كنت ممّن تسحب الريحُ
كيما تجرّ بنا ذيلاً فتطرحنا	على التي دونهـا مغبرّة سوحِ
أنّى بقربكُمُ ام كيف لي بكمُ	هيهاتَ ذلك ما امست لنا روحُ
فليت ضعف الذي القى يكون بها	بل ليت ضعف الذي القى تباريح
احدى بنيّات عمّي دون منزلهـا	ارض بقيعانها الفيصوم والشيح

فبلغها شعره فجزعت منه ، فقيل لها : اذكريه لزوجك فانه سينكر عليه قوله ، فقالت : كلاّ والله لا اشكوه الاّ الى الله ، ثم قالت : اللهم ان كان نوّه باسمي ظالماً فاجعله طعاماً للريح ، فضرب الدهر من ضربه ، ثم انه غدا يوماً على فرسٍ فهبّت ريح فنزل فاستتر

---

١) الاصبهاني ٤ : ٥٣
٢) الاصبهاني ٤ : ٧٣ و١٦ : ٩٣
٣) " ٤ : ٤٩
٤) " ٤ : ٤٥
٥) " ٤ : ٤٨
٦) " ٤ : ٤٠
٧) الطبري ٢ : ١٠٨٥ وابن سعد ٥ : ٢٤٤

بسَلَمَةٍ فعصفت الريح فخدشه غصنٌ منها فدميَ وورَم به ومات من ذلك .[١] وقد قبل هذه الرواية فيما يظهر ابو الفرج الاصبهاني واكتفى بها ودوّنها في آخر اخباره عن حياة عمر . ونقلها عنه البغدادي صاحب خزانة الادب مثل ما نقل عن ابن قتيبة الرواية الاولى دون ان يؤثر واحدةً على الاخرى .[٢] ولعلّ صاحب هذه الرواية لم يكن مشفقاً على عمر بل اراد ان ينتقم الله من عمر لهؤلاء النساء الشريفات اللواتي كان يشبّب بهنّ فاماته بدعاء واحدة منهن . ولو شئت ان اعدّد للقارئ اخبار من مات من العرب بدعاء احد الناس عليه لطال بي المقام . ومهما يكن من الامر فالصنعة ظاهرة في هذه الرواية والاختراع بيّن في هذه المصادفات الغريبة التي تتابعت على هذا النحو ليتم دعاء هذه المرأة على عمر . زد على هذا ان ابا الفرج قد تفرّد بذكرها وقد اسندها الى رجل باسم ثعلبة بن عبدالله بن صعير . وفي هامش طبعة دار الكتب للاغاني أن لهذا الرجل صحبةً ولابنه رؤية .[٣] ونحن نستبعد ان يعيش الى اواخر القرن الاول للهجرة رجل كانت له صحبة مع النبي ولابنه رؤيةٌ . ونستبعد ايضاً ان يقصّ مثل هذا الصحابيّ خبراً عن موت شاعر قضى في اواخر القرن الاول .

ورواية ثالثة يذكرها البلاذري تذهب الى ان عمر مات بالشام قال : فحدّثت ان عمر ابن ابي ربيعة المخزومي لمّا نُعي ، وكان موته بالشام ، بكت عليه مولّدة من مولّدات مكة كانت لبعض بني مروان فجعلت توجع له وتفجع عليه وقالت : من لاباطح مكة بعده ، وكان يصف حسنها وملاحة نسائها فقيل لها : انه قد حدث فتى من ولد عثمان بن عفّان يسكن بعرج الطائف شاعر يذهب مذهبه . فقالت : الحمد لله الذي جعل له خلفاء ، سرّيتم والله عني .[٤]

وهذه الرواية تتفق مع رواية رواها الاصبهاني في اكثر اجزائها ، والاختلاف الوحيد هو ان الاصبهاني يروي ان الجارية حبشية وكانت بالمدينة فلما اتاهم موت عمر جزعت ، ولا تُعيّن رواية الاصبهاني اين حدثت وفاة عمر .[٥] وقد ذكر الحصري الرواية نفسها ولكنه لم يذكر

---

١) الاصبهاني ١ : ٩٧ ٢) البغدادي ١ : ٣٤٠

٣) الاصبهاني « د » ١ : ٣٤٧ انظر الهامش ٤) البلاذري « ا » ٥ : ١١٢

٥) الاصبهاني ١ : ١٥٤ وانظر العباسي ٢ : ٥٦ ففيه الرواية نفسها منقولة عن الاصبهاني بالحرف

ان موت عمر كان بالشام بل زعم ان الجارية كانت في الشام .[١] وقد اورد الاصبهاني مضمون الرواية نفسها في موضع آخر غير ان الشاعر فيها الذي زعموا انه خلف عمر هو الحارث ابن خالد المخزومي لا العرجي .[٢]

وسواء أكانت الجارية في الشام ام في المدينة ، وسواء أكان الذي خلف عمر في فنه وغزله الحارث ام العرجي ، فان هذا الخبر — ان صح — يفيد ان عمر مات قبل خلافة عمر ابن عبد العزيز لان العرجي والحارث عُرفا وشُهرا قبل ذلك الزمن . يؤيد هذا اشارة في الاغاني الى ان الثريا صاحبة عمر وفدت على الوليد بن عبد الملك بعد ان مات زوجها ، فسألها الخليفة هل تحفظ شيئاً من شعر عمر فيها فقالت : اي نعم يرحمه الله ، وفي بعض الروايات رحمه الله ، وانشدته شيئاً من شعره .[٣] ولعل في هذا القول اشارةً الى ان عمر قد مات قبل آخر خلافة الوليد هذا .

وللاصبهاني رواية اخرى تذهب الى ان عمر مات موتاً يقول فيها : انه لما مرض عمر مرضه الذي مات فيه جزع اخوه الحارث الخ .[٤] وهذه الرواية تشير الى ان عمر مات من مرض وان موته كان قبل موت اخيه . وقد كان اخوه شاباً مدركاً في خلافة ابن الخطاب . وهذا الخبر يُبعد احتمال وقوع موت عمر بعد سنة ٩٣ هـ . وقد اورد الاصبهاني ايضاً ان عمر مات وقد قارب السبعين او جاوزها .[٥]

وهناك رواية تفرَّد بذكرها فيما نعلم ابو المحاسن بن تغري بردي لم يُشر فيها الى سبب موت عمر بل اكتفى بقوله ان عمر مات سنة مئة وواحدة اي سنةَ مات عمر بن عبد العزيز نفسه .[٦] ولسنا نعلم من اين استقى ابو المحاسن هذا الخبر . والغريب انه نقل عن ابن خلكان شيئاً من كلامه عن ابن ابي ربيعة ولكنه لم ينقل سنة الوفاة عنه ولا هو اشار الى اختلافها عمَّا ذكر هو نفسه . وليس لدينا الا فرض واحد نستطيع فرضه الآن وهو ان ابن خلكان ذكر في ترجمة حياة عمر التي تبلغ نحو صفحتين من طبعة بولاق روايتين مختلفتين عن سنه حين مات ، واحدة تشير الى انه كان ابن سبعين ، واخرى انه كان ابن ثمانين ، وقد تلا ذكرَ هذه السنين خبرٌ عن موت والد عمر سنه ثمانٍ وسبعين ، فلا يبعد ان يكون

---

١) الحصري ٢ : ٢٤٠
٢) الاصبهاني ٣ : ١١٤
٣) الاصبهاني ١ : ٩٣ والحصري ١ : ٣٩٣
٤) الاصبهاني ١ : ٣٦
٥) " ١ : ٣٤
٦) ابو المحاسن ١ : ٣٤٧

ابو المحاسن اراد ان يجمع سن عمر الى سنة مولده ليذكر متى مات فجمع خطأً سنة موت والده المذكورة ، وهي ٧٨ الى ٢٣ وهي سنة ولادة عمر فبلغ ١٠١ وهي السنة التي ذكرها . ولا بد لنا من القول ان ابا المحاسن من المتأخرين وليس في كل المصادر التي طالعنا ما يسنده في روايته ، واذاً فاننا لا نرى داعياً لقبولها .

بقي روايةٌ تشير الى ان عمر مات سنة ٩٣ للهجرة ذكرها حاجي خليفة في كتابه كشف الظنون عند ذكره ديوان عمر ،[1] وهي تتفق مع اكثر الروايات القديمة في تعيين التاريخ ولعل حاجي خليفة قد نقلها عن بعض المصادر القديمة واكتفى بها دون ذكر سبب الموت .

وقد ذكر الدميري رواية ابن قتيبة في ان عمر غزا في البحر واحترقت سفينته ، ولكنه جعل سنة الموت ثلاثاً وثمانين .[2] ولعلّ الرقم خطأٌ مطبعي او نسخيّ او لعلّ الدميري اخذ روايته عن كتاب ابن خلكان حيث نجد ان الهيثم بن عديّ زعم ان عمر وُلد سنة ثلاث عشرة ، فقبل الدميري هذه الرواية واضاف اليها سن عمر — سبعين — وجعل سنة وفاته ثلاثاً وثمانين .

نرى بعد هذا كلّه ان نرفض خبر موته غرقاً او حرقاً والاّ نقبل انه مات بعد سنة ٩٣ هـ . وكذلك نستبعد خبر موته من غصن أدماه بعد ريح تهبّ عليه لكي يستجاب دعاء امرأة شبّب بها ، ونحن نعلم انه كان شيخاً ضعيفاً في آخر حياته يتوكأ على مولى له ، ولا يقوى مثل هذا على ركوب الخيل في الصحاري او ركوب البحر للغزو ، فلا يبقى لدينا الا انه مرض ومات وقد قارب السبعين . ولنذكر ان عمر كانت تنتابه حمى البُرَداء وقد ارتحل مرةً الى اليمن ومرض فيها واضطرته الحمّى ان يمكث هناك فنظم قصيدة يصف فيها مرضه ويشكو سوء حاله وحال رفاقه ويعتذر الى صاحبةٍ له :

أرِقت ولم يمسِ الذي اشتهي قربا ... وحُمّلت من اسماءَ اذ نزحت نُصبا
لعمرك ما جاوزت غمدان طائماً ... وقصر شعوب ان اكون بها صبّا
ولكنّ حمّى اضرعتني ثلاثةً ... مجرّمةً ثمّ استمرّت بنا غبّا
ومجلس اصحابي كأن أنينهم ... أنين مكاكٍ فارقت بلدًا خصبا
فانكِ لو ابصرت يوم سويقةٍ ... مقامي وحبسي العيس مطويّة حدبا

---

١) حاجي خليفة ١ : ٥١٧ ٢) الدّميري ١ : ٢٣٦

اذًا لاقشعرَّ الرأس منك صبابةً ولاستفرغت عيناك من عبرة سكبا [1]

وظاهر من وصفه لهذا المرض انه البُرَداء ، تلك الحمّى التي تاتي غبًّا اي تاخذه يوماً وتدعه آخر . وليس غريباً ان تكون هذه الحمّى قد عاودته — ومن شانها المعاودة — فمات منها . ولكن اين مات ؟ ذلك امرٌ لا نستطيع الجزم فيه ، ويلوح لنا من اختلاف الرواة انه لو كان عمر قد مات في مكة او المدينة لكان من السهل على الرواة ان يعرفوا ذلك . ويظهر ان سبب اختلافهم يعود الى ان عمر قد مات بعيداً عن الحجاز ، ونستبعد ان يكون مات بالشام كما يروي البلاذري ، ولعل كلمة الشام في رواية البلاذري مصدرها ان الجارية المكية التي حزنت لموت عمر قد صارت الى بني مروان في الشام . واغلب الظن ان عمر قد مات في اليمن وقد كان له مزارع فيها ورثها اما عن امه او عن ابيه وكان ابنه جُوان ايضاً عاملًا على تبالة فليس بعيداً ان يكون عمر قد قضى آخر حياته في بلد امّه واخواله او عند ابنه . وليس غريباً ان يكون اخوه الحارث معه كما تشير رواية مرضه ، ولنذكر ان المصادر التي بين ايدينا لا تذكر شيئاً عن الحارث بعد زوال سلطة آل الزبير فلعلّه قد انقطع عن السياسة او أُقصي عنها فآثر ان يعيش بعيداً عن الحجاز في آخر حياته ، او لعلّ اخاه عمر قد بعث وراءه في مرضه الاخير ليكون عنده .

ولعمر ثلاثة ابيات شعر تقع في آخر بعض نسخ الديوان الخطّية وفي آخر طبعة اوربة ربما كان وقوعها هناك إشارة الى انها آخر شعر قاله وفيها يُشير الى مرضه بعيداً عن « أجياد » منازل قومه في مكة ويشكو فيها قلة عوّاده :

سقى سدرتي اجياد فالدومة التي الى الدار صوب الساكب المتهلّل
فلو كنت بالدار التي مهبط الصفا سلمت اذا ما غاب عني معللي
هنالك لو اني مرضت فعادني كرام ومن لا يأتِ منهنَّ يرسلِ

والخلاصة : ان الروايات متعددة ومتضاربة ، والخطأ في بعضها ظاهر ، واصحابها بعيدو العهد بعمر ، فان الجاحظ وهو اقدمهم بدأ حياته الادبية بعد موت عمر بنحو ثمانين سنة ولم يعنَ بدرس حياة عمر بل ذكر خبر موته عرضاً ، وقد كان هو وابن قتيبة قليلي التدقيق في هذا الامر . اما البلاذري فقد تفرّد بذكر موت عمر بالشام ولم يسند روايته

---

١) ابن ابي ربيعة (ع) ٧٩

احد ، واما الاصبهاني فبالرغم من انه كتب اخباره مسندةً الى رواتها فانه قد تأخر اكثر من مئتي سنة عن عمر ويصعب علينا الان متابعة الاسناد في رواياته لقلة المعلومات التي لدينا عن رجال السند في الروايات الادبية فان احداً من الناس لم يُعنَ بهم عناية رجال الحديث برواته . اما المتاخرون فقد اخذوا عن الذين ذكرنا وليس هناك قيمةٌ لاقوالهم في هذا الصدد . وفي مثل هذا الاضطراب في الروايات لا نرى شيئاً ينير سبيلنا سوى شعره الذي يؤيد رواية مرضه فاغلب الظن اذاً انه مات من مرض — ربما في اليمن — وكان موته كما تتفق اكثر هذه الروايات في حدود سنة ثلاث وتسعين للهجرة .

المآخذ حسب ترتيبها التاريخي

القرآن

ابن ابي ربيعة (ش) = Der Diwan des 'Umar Ibn Abi Rebi'a. Paul Schwarz Leipzig,1901 -1909. و ق . اصطلاحنا لاختصار « قصيدة »

ابن ابي ربيعة (ع) = ديوان عمر ابن ابي ربيعة المخزومي القرشي شرح محمد العناني . مطبعة السعادة مصر ١٣٣٠ ﻫ .

القرشي = جمهرة اشعار العرب لابي زيد محمد بن الخطاب القرشي . مصر المطبعة الخيرية ١٣٣٠ ﻫ .

الواقدي (م) = كتاب المغازي لابي عبدالله محمد بن عمر الواقدي . طبع كلكته ١٨٥٥ م .

الواقدي (ف) = فتوح الاسلام لبلاد العجم وخراسان للمؤلف نفسه . طبع مصر ١٨٩١ م .

ابن هشام = كتاب سيرة رسول الله لعبد الملك بن هشام عن ابن اسحق. غوتنجن ١٨٦٠ م.

الازرقي = كتاب اخبار مكة وما جاء فيها من الآثار لابي الوليد محمد بن عبد الله الازرقي . ليبزك ١٨٥٨ م .

ابن سعد = كتاب الطبقات الكبير لمحمد بن سعد . ليدن ١٣٢٢—١٣٣٩ ﻫ .

ابن سلاّم = طبقات الشعراء لمحمد بن سلاّم الجمحي . ليدن ١٩١٣ م .

اليعقوبي = تاريخ ابن واضح اليعقوبي . ليدن ١٨٨٣ م .

الجاحظ (ت) = التاج في اخبار الملوك لابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . المطبعة الاميرية بالقاهرة ١٣٣٢ ﻫ .

الجاحظ (م) = المحاسن والاضداد للمؤلف نفسه . ليدن ١٨٩٨ م .

الجاحظ (ب) = البيان والتبيين للمؤلف نفسه . المطبعة العلمية مصر ١٣١١—١٣١٣ ﻫ .

الفاكهي = كتاب المنتقى في اخبار ام القرى وهي منتخبات من تاريخ مكة للامام ابي عبدالله محمد بن اسحق الفاكهي . ليبزك ١٨٥٩ م .

ابن قتيبة (ش) = كتاب الشعر والشعراء لابي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة . ليدن ١٩٠٢ م .

ابن قتيبة (م) = كتاب المعارف للمؤلف نفسه . غوتنجن ١٨٥٠ م .

ابن قتيبة (ع) = كتاب عيون الاخبار للمؤلف نفسه . دار الكتب المصرية ١٩٢٥—١٩٣٠ م .

ابن قتيبة (ا) = كتاب الامامة والسياسة للمؤلف نفسه . مطبعة الفتوح الادبية مصر ١٣٣١ ﻫ .

البلاذري (ا) = انساب الاشراف لاحمد بن يحيى البلاذري . القدس ١٩٣٦ م .

المبرّد = الكامل لابي العباس محمد بن يزيد الازدي . ليبزك ١٨٧٤ م .

الطبري = تاريخ الرُسُل والملوك لابي جعفر محمد بن جرير الطبري . ليدن ١٨٧٩ — ١٩٠١ م .

البيهقي — كتاب المحاسن والمساوئ للشيخ ابرهيم بن محمد البيهقي . طبعة جيسن ١٩٠٢ م .

ابن دريد = كتاب الاشتقاق للشيخ الامام ابي بكر محمد بن الحسن ابن دريد الازدي . غوتنجن ١٨٥٤ م .

الوشّاء = الموشّى لمحمد بن اسحق الوشّاء . ليدن ١٣٠٢ ﻫ .

ابن عبد ربه = العقد الفريد لاحمد بن محمد بن عبد ربّه . المطبعة الاميرية مصر ١٢٩٣ ﻫ .

الاصبهاني = كتاب الاغاني للامام ابي الفرج علي بن الحسين الاصبهاني . بولاق مصر ١٢٨٥ ﻫ . والجزء ٢١ ليدن ١٣٠٥ ﻫ .

الاصبهاني « د » = الاجزاء التي صدرت من الكتاب نفسه طبع دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٧ وما بعدها

القالي = الآمالي لابي علي اسمعيل بن القاسم القالي . بولاق مصر ١٣٢٤ ﻫ .

المرزباني — الموشح لابي عبيدالله محمد المرزباني . المطبعة السلفيّة ١٣٤٣ ﻫ .

ابن النديم = كتاب الفهرست لمحمد بن اسحق الورّاق المعروف بابن النديم . ليبزك ١٨٧١ م .

الثعالبي = يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر لابي منصور عبدالله بن محمد بن اسمعيل الثعالبي . المطبعة الحنفية دمشق ١٣٠٢ ﻫ .

الحصري — زهر الآداب وثمر الالباب لابي اسحق الحصري القيرواني . المطبعة الرحمانية مصر ١٩٢٥ م .

البكري = معجم ما استعجم لعبدالله بن عبد العزيز بن محمد بن عمر البكري . غوتنجن ١٨٧٦—١٨٧٧ م .

علي بن ظافر = كتاب بدائع البداهة لعليّ بن ظافر الازدي . المطبعة البهية مصر ١٣١٦ ﻫ . على هامش شرح شواهد التلخيص

ياقوت = معجم البلدان للشيخ شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي . ليبزك ١٨٦٦—١٨٧٠ م .

ابن الاثير (ص) = اسد الغابة في معرفة الصحابة للامـام عز الدين بن ابي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري المعروف بابن الاثير . المطبعة الوهبية مصر سنة ١٢٨٠ ﻫ .

ابن الاثير = الكامل في التاريخ للمؤلف نفسه . ليدن ١٨٥١—١٨٧٦ م .

ابن ابي الحديد = شرح نهج البلاغة لعز الدين المدائني الشهير بابن ابي الحديد . مصر ١٣٢٩ ﻫ .

ابن خلّكان = وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان لشمس الدين احمد بن محمد بن خلّكان . مصر ١٢٧٥ ﻫ .

البيضاوي = انوار التنزيل واسرار التأويل للقاضي الامام ناصر الدين ابي سعد عبدالله بن عمر البيضاوي . طبع اوربّة ١٨٤٨ م .

النووي = تهذيب الاسماء لابي زكريا يحيى النووي . غوتنجن ١٨٤٢—١٨٤٧ م .

النويري = نهاية الارب في فنون الادب لشهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري . مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٣—١٩٣٧ م .

ابو الفدا = المختصر في اخبار البشر للملك المؤيد عماد الدين ابي الفداء . دار الطباعة الشاهانية القسطنطينية ١٢٨٦ ﻫ .

الذهبي (مش) = المشتبه في أسماء الرجال لشمس الدين محمد بن احمد الذهبي . ليدن ١٨٦٣ م .

الذهبي (ميز) = ميزان الاعتدال في نقد الرجال للمؤلف نفسه . مطبعة السعادة مصر ١٣٢٥ ﻫ .

العمري = مسالك الابصار في ممالك الامصار لشهاب الدين ابن فضل الله العمري . مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٤ م .

الدّميري = حياة الحيوان الكبرى للشيخ كمال الدين الدّميري . المطبعة الميمنية القاهرة ١٣٠٥ ﻫ .

الابشيهي = المستطرف في كل فن مستظرف للشيخ شهاب الدين احمد الابشيهي . مصر ١٢٩٢ ﻫ .

ابن حَجَر = كتاب الاصابة في تمييز الصحابة لقاضي القضاة شهاب الدين ابي الفضل احمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي الكناني العسقلاني ثم المصري الشافعي المعروف بابن حَجَر . مطبعة السعادة مصر ١٣٢٣ ﻫ .

العيني = المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الالفية للامام بدر الدين ابي محمد محمود العيني . بولاق ١٢٩٩ ﻫ . على هامش خزانة الادب .

ابو المحاسن = النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة تأليف جمال الدين ابي المحاسن يوسف ابن تغري بردي . طبع دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٢٩ م .

السيوطي = تاريخ الخلفاء للامام جلال الدين السيوطي . المطبعة الميمنية مصر ١٣٠٥ ﻫ .

السيوطي (ش) = شرح شواهد المغني للمؤلف نفسه . المطبعة البهية مصر ١٣٢٢ ﻫ .

العبّاسي = معاهد التنصيص على شواهد التلخيص لعبد الرحيم بن احمد العبّاسي . المطبعة البهية مصر ١٣١٦ ﻫ .

النهروالي = كتاب الإعلام بأعلام بيت الله الحرام للامام قطب الدين النهروالي . ليبزك ١٨٥٧ م .

حاجي خليفة = كشف الظنون في اسامي الكتب والفنون . مصر دار السعادة ١٣١٠ — ١٣١١ ﻫ .

البغدادي — خزانة الادب ولب لباب لسان العرب للشيخ عبد القادر بن عمر البغدادي . بولاق مصر ١٢٩٩ ﻫ .

الحنبلي = شذرات الذهب في اخبار من ذهب لابي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي . طبع مكتبة القدسي مصر ١٣٥٠ ﻫ .

وستنفلد = Genealogische Tabellen der Arabischen stämme und Familien.by Dr. Ferdinand Wüstenfeld. Göttingen 1852.

شفارز — 'Umars Leben, Dichtung, Sprache und Metrik. by Paul Shwarz, Leipzig, 1909.

لامنس = مقالاته في الموسوعة الاسلامية حسب مواضيعها المذكورة في الهوامش ومقالته في المشرق ١٩٣٦ ج . ١

زترشتين = مقالة في الموسوعة الاسلامية عن عطاء للمستشرق زترشتين

طه حسين = حديث الاربعاء للدكتور طه حسين . مصر مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٥ — ١٩٢٦ م .

جبّور (ع) = عمر ابن ابي ربيعة الجزء الاول (عصر ابن ابي ربيعة) لجبرائيل جبور . المطبعة الكاثوليكية ١٩٣٥ م .

حسين هيكل = في منزل الوحي للدكتور حسين هيكل . طبعة دار الكتب المصرية ١٣٥٦ ﻫ .

فهرس مفصّل لحياة عمر ابن ابي ربيعة

١ توطئة للبحث عن حياته .
٣ ولادته ليلة قتل عمر بن الخطاب .
٣ قبيلته ومكانتها في الجاهلية والاسلام — هو من قريش .
٤ هو من مخزوم — غنى قومه .
٥ تجارتهم ونفوذهم — المغيرة والد جدّه — ابناء المغيرة .
٦ اخبار عن عزهم وبأسهم .
١١ اهله — والده عبدالله — مكانة عبدالله في الجاهلية والاسلام .
١٦ لم يكن اتصال بين والد عمر وعمر .
١٧ لم يدرك عمر آخر خلافة عثمان الاّ صبياً .
١٨ امّه مجد — الغزل الى عمر من اليمن من ناحية امّه .
٢٠ لعمر اخوان هما عبد الرحمن والحارث .
٢١ الصداقة بين عمر وابن ابي عتيق .
٢٢ بين عمر وبين الحارث علاقات .
٢٣ يذكر بعضهم ان له اخاً ثالثاً .
٢٤ فات المؤرخين ان يذكروا اسم البلد التي ولد فيها — والده وال على الجند — هو مكّي الوالد والعشيرة والموطن — يرجّح ان مولده في المدينة .
٢٥ جدّته تسكن المدينة — ام اخيه الحارث ماتت بالمدينة — في الليلة التي قتل فيها الامام عمر ولد عمر — اكثر اخباره تشير الى انه نشأ في المدينة — والده في المدينة حين استخلف عثمان .
٢٦ سمي عمر باسمه لموافقة ولادته ليلة مقتل عمر — روى بعضهم انه ولد زمن عمر بن الخطاب — هو اكبر من عطاء .
٢٧ ليس ضبط زمن ولادته بالامر الهيّن — ليس هناك داعٍ لرفض الرواية التي تشير الى انه ولد ليلة قتل عمر — تسميته تابعة للتصادف المذكور .
٢٨ الاسم لم يكن غريباً عن بني مخزوم — في شعر عمر ذكر لكنيته « ابي الخطاب » .
٢٩ ولد على الارجح في ٤ تشرين ثاني سنة ٦٤٤ م . — نسب الى قبيلته فقيل فيه القرشي — والى عشيرته فقيل فيه المخزومي — والى جدّ والده فقيل فيه المغيري — كنّي بابي حفص .
٣٠ نسبه كاملاً .
٣١ هيئته — عمر جميل — جماله من العوامل التي جعلته معجباً بنفسه — ابوه جميل — شبّهته صاحبته بالقمر .
٣٢ له شعر يصف به دلّه بجماله — طويل — جدّه طويل — عمر ناحل الجسم — اسمر اللون .
٣٣ في فمه علامة فارقة هي سواد الثنيّتين — سببها ضربة من يد فتاة — عُيّر لذلك —

لبسه وهندامه — اشعث اغبر حين يؤوب من سفره .

٣٤ يتزيّن ايام الحج باحسن الثياب — يلبس الحلل والوشي ويسبل لمّته — يطيل الازار ويسبغ رقاق البرود — من اعطر الناس واحسنهم هيئةً — يخضب نجائبه بالحنّاء — موقف له في الحج .

٣٥ امرأة تعرفه من هندامه — مصعب يهديه اثوابًا — اهدى جميلة المغنية عشرة اثواب — بعثت اليه احدى الاميرات الامويات الف دينار فاشترى بها حللاً وطيباً واهداها اليها .

٣٦ يحب العطر والطيب — جدته تتاجر بالطيب — ياتيها من اليمن فتبيعه بالمدينة — يمشي مشية خاصة — يتنكّر مرة فتعرفه الثريا من حركته ومشيته .

٣٨ غناه وثروته — يتقلب في احضان اليسر — ابن تاجر موسر — يرث ثروةً عظيمةً — له علاقات تجارية في اليمن — له سبعون عبدًا يعملون في الحوك .

٣٩ اعتق كثيرًا من الرقيق في مناسبات شتّى — كان غناه عاملاً في صيانة كرامته — لم يقبل هدية امرأة عراقية .

٤٠ نشأته — يعتني القدماء بسيرته — لابن بسام كتاب في اخباره — للزبير بن بكار كتاب آخر — الاصبهاني افرد له في اغانيه نحو ٦٥ صفحة .

٤١ عمر خلّف لنا ديوانًا كبيرًا — الاصبهاني اطّلع على دواوين لعمر رواها المدنيّون والمكيّون — قدر كبير من شعره قد ضاع — درسُ نشأته صعب — مدنيّ النشأة — ليس غريبًا ان يكون استرضع في البادية عند بعض القبائل — يحب البادية — له اصدقاء من الاعراب — ليس غريبًا ان يكون زار اخواله في صباه .

٤٢ تاثر شاعرًا يعرف بعبد بني المسحاس — قضى اكثر صباه في المدينة — تردد مع ابن ابي عتيق وابن جعفر الى بيوت المغنين فيها .

٤٣ نشأته العلميّة والادبية — من الطبيعي ان يكون تردد الى المساجد والكتاتيب .

٤٤ ثقف القراءة والكتابة — الحارث اخوه اول من تنبه الى الملكة الشعرية فيه — انشد شعره لابن عباس فمدحه — قرأ القرآن وحفظ بعض الحديث ورواه — الادلة على معرفته القراءة والكتابة — يقرأ كتاب الثريا اليه — يكتب الى امرأة .

٤٥ يدعو بدواة ويكتب شعرًا — صاحباته يقرأن رسائله اليهن — المواد التي كتب عليها — عمر والقرآن — شعره يدل على معرفته للقرآن .

٤٦ يستعين بمعاني القرآن وتعاليم الاسلام في شعره — عمر والحديث — نقل بعض الحديث عن الامام سعيد بن المسيّب — مصعب بن شيبة وعطاف بن خالد رويا عنه .

٤٧ الحارث اخوه محدّث — عمر يشهد حلقة ابن عباس وحلقة ابن المسيّب — ابن المسيّب معجب بشعره — ابن عباس يروي بعض شعره .

٤٨ اخبار تشير الى ثقافته الدينية .

٤٩ عمر وعلوم التجارة — رحلته الى اليمن — لديه سبعون عبدًا في الحوك .

٥٠ ثقافته الادبية — نشأ نشأة ادبيّة راقية — المّ بشعر الكثيرين من معاصريه واسلافه .

٥١ كان يعارض جميلاً — اطّلع على شعر مالك ابن أسماء — اقتبس من طائفة كبيرة من

الشعراء — متضلّع من اللغة .
٥٢ حياته في المدينة — مات والده وهو صغير — نشأ على شيء عظيم من الدلال — اندفع مع الشباب في اللهو والعبث .
٥٣ تردد الى حفلات الغناء .
٥٤ حاول اخوه ان يردعه عن سبل اللهو فلم يُفلح — كان له في المدينة اصحاب من خيرة اشرافها هم خالد القسريّ وعبدالله ابن جعفر وابن ابي عتيق — كان لصداقتهم معه اثر ظاهر في خلقه وشعره .
٥٥ ذكر خالد القسري بشعره وكان خالد يمشي معه وينقل رسائله الى النساء .
٥٦ علاقته بخالد لم تنقطع وله معه اخبار كثيرة .
٥٧ ابن ابي عتيق رفيقه الثاني — حبّه له شديد — حادثة طريفة بينهما .
٥٨ ابن ابي عتيق متعصب له يفضّله على شعراء عصره — يثني على شعره .
٥٩ الحارث بن خالد يلوم ابن ابي عتيق على حبّه لشعر عمر وتفضيله على غيره من الشعر .
٦٠ خالد القسري وابن ابي عتيق يسيران الى عمر — الثريا تحجر عمر فيصلح بينهما ابن ابي عتيق .
٦١ عمر يسير الى الغناء برفقة ابن ابي عتيق وابن جعفر — الاول يساعده على حبه .
٦٢ ابن ابي عتيق يذكر له احدى الجميلات فيهيجه على الحبّ — عمر يقدر نظر ابن ابي عتيق للجمال .
٦٣ عمر يذكر ابن ابي عتيق كثيرًا في شعره — ينزل ضيفًا عليه حين يزور المدينة — عبدالله بن جعفر صديقه الثالث .
٦٤ ابن سريج مغنّي عمر كان قبلاً منقطعًا الى عبدالله بن جعفر .
٦٦ عمر وابن ابي عتيق وعبدالله بن جعفر يترددون الى دور الغناء — يقصدون العقيق — لصداقة عبدالله اثر في نفس عمر وفي شعره .
٦٧ لجود عبدالله اثر في حياة عمر كما يظهر من شعره — لعمر في المدينة اصدقاء آخرون منهم الاحوص وجميل ونصيب .
٦٨ عمر يعارض جميلاً في الشعر — عمر يقابل بثينة صاحبة جميل — يسلك سبُلاً للهو .
٦٩ انتقال عمر الى مكة .
٧٠ يقصد المدينة احيانًا مشيعًا صاحبة او ملبيًا دعوة أخرى — زار المدينة ومكث فيها مدة .
٧١ لم تختلف حياته في مكة عنها في المدينة — له في مواسم الحج نصيب وافر من اللهو — له رفاق في مكة اشهرهم ثلاثة اولهم ابن سريج مغنيه .
٧٢ ابن سريج شاهد لبعض وقائع حبّه — لعلّ عمر تعرّف الى هذا المغنّي حين كان هذا يتردد الى المدينة .
٧٣ ابن سريج احد هؤلاء الذين ساعدوا على ان يشتهر شعر عمر — قُرن شعر عمر الى الحان ابن سريج فكانا فتنة قريش .
٧٤ كلٌّ منهما محتاج الى فنّ صاحبه — الغريض صديق عمر الثاني .
٧٥ الغريض رفيق عمر في كثير من وقائع حبّه .
٧٦ الغريض رسول عمر الى صاحباته .
٧٧ الغريض يحب الغناء في شعر عمر .
٧٨ الحارث بن خالد المخزومي صديقه الثالث — الحارث يقول عن عمر انه كان مهيبًا معظّمًا لا يقدم عليه سلطانٌ ولا غيره — الحارث يدعو عمر الى مجلس نسوة والى سماع الغريض .

٧٩ الحارث ينافس عمر في صحبة الغريض — لعمر رفاق آخرون .

٨٠ لعمر قريب كان بينه وبينه جفاء .

٨١ رحلات عمر — لم يكن بالشاعر الكسل — يعرف اكثر بقاع الجزيرة العربية — لا يقنع بنعيم الحياة الحادثة .

٨٢ طاف اكثر اقطار العالم العربي — رحلاته في الحجاز — تنقل بين المدينة ومكة والطائف .

٨٣ يعود مع حجاج المدينة الى المدينة — يرافق جميلة الى المدينة عند عودتها من الحج .

٨٤ يزور المدينة اثر دعوةٍ من سكينة — رحلاته الى الطائف .

٨٥ ابن ابي عتيق يأخذه معه الى الطائف — الوليد ابن عبد الملك يستصحبه الى الطائف — سليمان بن عبد الملك ينفيه اليها .

٨٦ عمر يتردد الى بادية الحجاز — له اصدقاء من العذريين — جمع بين شاب عذري وصاحبته — رحلاته الى العراق — يزور الكوفة والبصرة .

٨٧ زيارته للبصرة في خلافة معاوية — الغرض منها معالجة سنّيه — وراء عراقية .

٨٨ يشيّعها فتعرض عليه الزواج فيعدها رحلة ثانية .

٨٩ يعد فاطمة بنت محمد بن الاشعث بزيارة العراق — رحلاته الى سوريا — التقاؤه بجميل .

٩٠ يتناشدان الاشعار — سفره الى فلسطين والشام — شعره في ذاك عند رجوعه .

٩١ هل سار عمر الى حرب ومع من ؟ بحث في هذا .

٩٢ الغالب انه كان مع نسيبه مصعب — قصائده الاخرى في سفره لفلسطين .

٩٣ سار الى ضواحي الشام وراء فاطمة بنت عبد الملك — الرواية عن عمر ورملة — رحلاته الى اليمن — ابوه عاملٌ في الجَنَد — لبيتهم علاقات تجارية في اليمن — اخذ عمر مالاً من اخيه وخرج عند اخواله بلحج وابين — يقول الشعر وهو في اليمن .

٩٤ مسعدة ابن عمرو اخرجه الى اليمن — الثريا تُزوَّج وعمر غائب في اليمن — عمر يمكث في اليمن مدة طويلة .

٩٥ شعر عمر في وصف رحلاته لا ينفعنا كثيرًا في تحقيق المواضع والبلدان — وصفه مختصر .

٩٦ عمر والخلفاء — يقول لسليمان انا لا امدح الرجال انما امدح النساء — علاقة اهل عمر مع الزبيريين .

٩٧ اخبار كثيرة عن وفود عمر على الخلفاء — اكثرها ملفقة — مروان لم يزوج من احدى بنات عمر — عمر لم يزوج من رملة اخت عبد الملك — لم يفد عمر على معاوية او يزيد .

٩٨ عبد الملك والوليد ابنه اكثر الخلفاء اتصالاً بعمر .

٩٩ عبد الملك يزور الحجاز فيفد عليه عمر — عتاب بينهما .

١٠٠ خبر اجتماع كثيّر وجميل وعمر عند عبد الملك — خبر زواج عمر برملة اخت عبد الملك ونقده .

١٠١ اخبار اتصال الوليد بن عبد الملك بعمر — عمر دليل الوليد الى الطائف — عمر يحج وهو شيخ ويقابل الوليد على ظهر الكعبة — غلامان لعمر ينشدان الوليد شعر عمر — سليمان بن عبد الملك يبعث وراء عمر .

١٠٢ سليمان ينفيه الى الطائف — الراجح ان اتصال عمر بالخلفاء انقطع في اواخر خلافة

الوليد — اخبار عن اتصال عمر بعمر ابن عبد العزيز — يزعمون ان عمر بن عبد العزيز نفى عمر الى دهلك — خلط الرواة .
١٠٣ مسألة مقابلة عمر ليزيد بن عبد الملك — هناك اضطراب وتشويش في الرواية — كان اجتماع عمر بالخلفاء على الغالب في ارض الحجاز .
١٠٤ عمر والاشراف من معاصريه — اواصر القربى بين عمر وآل الزبير — محمد بن مصعب صهره — علاقة عمر مع عبدالله ابن العباس وسعيد بن المسيّب وطلحة بن عبدالله بن عوف ومحمد بن الحجاج والحارث بن خالد .
١٠٥ عمر وازواجه واولاده — له نساء وابناء — امرأته كلثم بنت سعد .
١٠٦ له منها ابنان احدهما جوان — اخباره مع كلثم .
١٠٧ امرأته الجمحية تلد له — شعره فيها — يزعمون ان هذا الشعر قاله في رملة بنت عبدالله بن خلف الخزاعية .
١٠٨ اشارة الى قصته مع رملة اخت عبد الملك — عمر يخطب عراقية فتعتذر — عمر ينتقم لنفسه من عراقية اخرى — بنته أمة الواحد — حياته الزوجية .
١٠٩ سبل اللهو التي سلكها — عمر والسماع .
١١١ عمر يحب الغناء — رفاقه الى مجالس الغناء — المواضع التي كانوا يجتمعون فيها .
١١٣ عمر ورفاقه في العقيق وفي مجالس عزة وجميلة المغنّيتين — عمر والدلاّل المغني — عمر يختار حين انتقل الى مكة اثنين من اشهر المغنين ليكونا مغنييه هما ابن سريج والغريض .
١١٣ لم ينس مجالس جميلة — يزورها هو والاحوص وابن ابي عتيق — يقصدها من مكة .
١١٤ وصف مجلس غناء كان فيه .
١١٥ لم يفته ان يطلب الغناء في رحلاته — يسمع مغنيتين بالكوفة ويعجب بغنائهما — حبه للغناء كما يظهر من شعره .
١١٦ عمر والشراب — لم يألف تعاطي الخمرة .
١١٧ اخبار الرواة عن ذلك — قصته مع الحزين الكناني — قصته عن موقف له في منى .
١١٩ خبر مناقضته للفضل بن عباس اللهبي .
١٢٢ وفوده مع ابن ابي عتيق والاحوص على جميلة ودعوتها ضيوفها الى الشراب — نقد هذه الاخبار جميعها .
١٢٥ ليس في ديوانه اشارة صريحة الى شربه الخمر .
١٢٦ استنتاج — عمر والصيد — سكن الطائف والمدينة حيث ألف الناس الصيد .
١٢٧ عمر في الحج — يطلب اللهو — موكل بالجمال .
١٢٨ يرقب النساء — يزين هيئته ويأخذ للامر عدته — يرقب فاطمة بنت عبد الملك .
١٢٩ يقول فيها الشعر — الشعر يصلها — عمر يتنقل بين المواكب — مقابلته لفتاة جمحية — شعره فيها .
١٣٠ عمر وعائشة بنت طلحة — قلبه مقسوم في كل مكان .
١٣١ عمر عند انتهاء الموسم — النساء تعرف ميله الى العبث فيخشاه بعضهن — خبره مع امرأة في الحج .
١٣٢ منهن من كانت تريد ان تراه وتتحدث معه — خبره مع بنت محمد بن الاشعث — عمر حريص على الاّ تفوته فرصة تيسر له اللهو — يعرض للحواج في الليالي .
١٣٣ يراقبهن في النهار — يرصدهن عند سعيهن

وطوافهن ورميهن الجمار ويزاحمهن عند تقبيل الحجر الاسود — شعره يعج بوصف حياته في الحج — لهوه على نوعين — لهوه البريء .

١٣٤ يحفظ للمكان حرمته وللموسم مهابته — لهوه الذي تغلب فيه الدعابة والمجون — لم تكن كل النساء اللواتي تعرّض لهن عمر من بنات الحسب والشرف .

١٣٥ شعره في وصف هذا اللهو .

١٣٦ عمر يشعر في ارتكابه الاثم في الحج .

١٣٧ اخلاقه — دلّه واعجابه بنفسه — نشأ تيّاها مغروراً .

١٣٨ اخبارٌ تؤيد هذه الظاهره في خلق عمر .

١٣٩ شعره الذي يذهب فيه الى ان النساء هنّ اللواتي كنّ يطلبنه .

١٤٠ يرى نفسه مُنى صاحبته وهمّها — يرى ان النساء كنّ يتهالكن عليه ويستبقن الى حبّه .

١٤١ يغلو في تيهه بحيث يزعم ان صاحبته لم يكن لها حج لولاه — ويزعم انها اذا عثرت في مرطها هتفت باسمه وهي تنهض — القدماء يحسُّون بهذه الظاهرة في خلق عمر — خبره مع ابن ابي عتيق — مع كثيّر .

١٤٢ المفضل بن سلمة ينعى على عمر تيهه ويضع من شعره — البغدادي يصف طريقة عمر في الغزل — النساء تعرف هذا الدل في عمر .

١٤٣ سهولة خلقه — كان عمر على تيهه سهل الخلق — اخبار تؤيد ذلك — شعره لم يخلُ من بعض المواقف التي يظهر فيها توددًا لصاحباته والتماسًا لرضاهن .

١٤٤ ذكر لبعض شعره في هذا الموضوع .

١٤٥ الخاحه — سأل ملحف — هذه الظاهرة في خلقه اثر من آثار تيهه ودلّه — حوادث تدل على الخاحه — قصته مع كلثم — مع اخت عبد الملك .

١٤٦ مع فاطمة بنت عبد الملك — مع فتاة جمحية — خبره مع رملة بنت عبدالله بن خلف وتعليق للثريا عليه — رأي ياقوت .

١٤٨ رأي الرياشي — رأي الاصبهاني — صواحبه يعرفن هذا الخلق فيه — شعره في هذا .

١٤٩ حذق ماهر في الوصول الى غرضه — اثر هذا الخلق في شعره .

١٥٠ بعض مزايا خلقه الطيّبة — حسن المعشر — سهل الطبع — سامي الشعور — محبب الى الناس .

١٥١ لطيف المعشر — بطيء الغضب .

١٥٢ شفوق — عطفه على غلمانه وجواريه — عطفه على حصانه الكوكب — مساعد .

١٥٣ مساعدته لفتى مُحب — دفعه مهر الفتاة — مساعدته لآخر من بني عذرة .

١٥٤—١٥٧ قصته مع العذري هذا .

١٥٨ حساس شديد التاثر — حزنه على مصرع اخوان له — خبره مع الثريا وجزعه حين مرضت — وداعه للثريا حين ارتحلت من الحجاز .

١٥٩ شعره في ذلك — اخباره مع المغنين والمغنيات وتاثره وانفعاله حين يطرب .

١٦٠ خجول — جواد — صداقته مع ثلاثة عرفوا بالجود — اثر جوده .

١٦١ خبره مع بنت محمد بن الاشعث — مع فاطمة بنت عبد الملك — مع كلثم بنت سعد — مع الوليد بن عبد الملك — شعره الذي يذكر فيه جوده .

١٦٢ حبه للحديث والسمر — هذه الصفة

تكسبه صداقة النساء — رأي الدكتور طه حسين في مسألة نظر عمر الى المرأة — النساء تتشوق الى مجلسه .
١٦٣ مجلس مع نسوة — مجلس مع ام محمد بنت مروان بن الحكم — مع جواري امويّات — مع امرأة عراقية — مع فتاة من آل الاشعث .
١٦٤ تحدثه مع امرأة في رحالة — مع ام الحكم — انشاده الشعر للنسوة في مجالس السمر — الرواة يسندون بعض الروايات اليه .
١٦٥ قصته حين نسك — اثر حبه للتحدث في وقائعها .
١٦٦ قصص اخرى — الادلة في شعره على حبه للسمر والحديث .
١٦٧ ذكر لبعض هذا الشعر — القدماء يلتفتون الى هذه الميزة في عمر .
١٦٨ رأي مصعب الزبيري — رأي جميل بن معمر .
١٦٩ رأي الحرمي ابن ابي العلاء — موضوع حديثه — الحديث يدور على وقائع حبه وعلى شعره فيها — يتخلله عتاب او شكوى او مغازلة .
١٧٠ النساء يطلبن اليه ان يقص عليهن اخباره — خبره مع فاطمة بنت عبد الملك — مع كلثم — مع البغوم .
١٧١ معاتبة النساء له — اشعاره التي يذكر فيها احاديث صاحباته .
١٧٢ ديوانه مترع بمثل هذه الاشعار .
١٧٣ التعابير المألوفة التي ضمنها في شعره — شعره من خير المصادر لمعرفة لغة المرأة الحجازية وتعابيرها وبعض ضروب حديثها — مَلِقٌ يزوّق الكلام — النساء يلمسن هذه الناحية في خلقه .
١٧٤ اخباره في هذا مع كلثم والثريا وعائشة وسعدى بنت عبد الرحمن بن عوف — كذبه — رأي نصيب فيه — رأي ابن ابي عتيق .
١٧٥ رأي الزبير بن بكار — النساء يعاتبنه على كذبه — عمر كثير القَسَم .
١٧٦ امثلة من شعره على هذا .
١٧٧—١٧٨ يحبّ الدعابة والمزح — اخباره وشعره في هذا الصدد .
١٧٩ عفة مقاله .
١٨٠ اثر هذا في شعره — اثره في علاقاته مع النساء — رأي القدماء في عفته .
١٨٢ فسقه — الروايات المتناقضة في هذا الصدد .
١٨٢ بحثها ونقدها — عمر يرتكب الاثم — بعض معاصريه ينعون عليه فسقه ويرون الخطر من انتشار شعره .
١٨٣ يلقب بالفاسق — بعض اخبار فسقه ومجونه .
١٨٤ اقراره على نفسه واعلانه عن اتيانه الاثم — السيئات واثرهن في تيسير سبل الاثم .
١٨٥ المواضع التي كان يلهو بها — نظم الحياة الاجتماعية في الحجاز تيسّر لعمر الاختلاط بالمرأة واللهو معها — عمر يقر بفسقه .
١٨٦—١٨٧ شعره في هذا الصدد .
١٨٨ القدماء يصدرون احكامهم عليه .
١٨٩ توبته ونسكه — الرواة يشفقون عليه فيزعمون انه فتك اربعين سنة ونسك اربعين .
١٩٠ الرواة يشفقون على اكثر الشعراء الفاسقين فيتيبونهم .
١٩١ بحث في امر هذه التوبة — عمر لم ينسك اربعين سنة .
١٩٢ عمر يتوب في فترات من حياته ثم يعود الى مجونه .

١٩٣ لم يكن نسكه غير همود في نفسه التي طاشت في شبابهـا – نفسه تظل مرحة جذابة .

١٩٤ عمر ينذر لله ان يعتق رقبة لكل بيت شعر يقوله — ينظم الشعر فيكفّر عن ذنبه باعتاقه تسعة ارقاء .

١٩٥ لعل ما أُثر عن عمر من نقل الحديث قد وقع في الشطر الاخير من حياته .

١٩٦ موته — لعل اخفى ما في تاريخ عمر امر موته — الروايات متعددة ومضطربة — اقدم الروايات واكثرها انتشارًا تذهب الى انه نُفي الى دهلك ، فغزا في البحر فاحرقوا سفينته فاحترق .

١٩٧ الرواة الذين ذكروا الرواية الاخيرة — الامور التي تمنع وقوع ما زعموا .

١٩٧ رواية ثانية تذهب الى ان عمر مات بدعاء امرأة شبّب بها .

١٩٩ الشك فيها — رواية ثالثة تذهب الى انه مات في الشام — تعليق عليها .

٢٠٠ رواية فيها ان عمر مرض ومات وقد قارب السبعين — رواية اخرى تذهب الى ان عمر مات سنة مئة واحدة — مصدر الخطأ فيها .

٢٠١ رواية حاجي خليفة — رواية الدّميري — استنتاج مبني على الروايات المختلفة — عمر تنتابه الحمّى المعروفة بالبُرَداء — شعره في ذلك .

٢٠٢ اين مات عمر وكيف مات — خلاصة الفصل .

٢٠٣ شعره يؤيد رواية مرضه — الظن في انه مات من مرضه — ربما في اليمن — كان موته في حدود سنة ثلاث وتسعين .

فهرس عامّ *

آدم بن عبد العزيز ١٩٠
الآمالي (كتاب) ٩
الابجر المغنّي ٧٩
ابرهيم بن عبد الرحمن بن عبدالله ابن ابي ربيعة ٣٠
ابرهيم بن قدامة ١٦٦
الابشيهي ١٠٣، ١٩٤
الابطح (م) ١٦٨
ابطح مكّة (م) ١٨٤
ابن ابي الحديد ٤، ٦، ٧، ١٠، ١١، ١٤
ابن ابي ربيعة (انظر الفهرس المفصّل لحياة عمر)
ابن ابي عتيق ٣١، ٤٣، ٤٤، ٥٤، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٣، ٦٤، ٦٦، ٦٧، ٧١، ٧٣، ٨٥، ١١١، ١١٣، ١١٤، ١٢١، ١٢٣، ١٤١، ١٥٠، ١٥١، ١٥٩، ١٦٠، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٨، ١٨٣، ١٨٤
ابن اثال الطبيب ٨
ابن الاثير ١١، ١٢، ١٤، ١٥، ١٦، ٣٥، ٣١، ٤٣
ابن اوس ٥١
ابن بسّام الشاعر ٤٠
ابن جريج ١٨٣
ابن حجر ١١، ١٤، ١٥، ١٦
ابن حزم ١٩٨
ابن خُرم ١٨٩
ابن خلّكان ٣، ١٦، ١٨، ٣٦—٣٩، ٤٠، ١٥٤، ١٦٠، ١٨٨، ١٩٧، ٢٠٠، ٢٠١
ابن دريد ٦، ١١، ١٢، ١٤، ٣٨
ابن سريج (المغنّي) ٢٤، ٣٥، ٦١، ٦٤، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ١٠٣، ١٠٩، ١١٠، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٣، ١٦١
ابن سعد ١١، ١٤، ١٥، ٣٠—٣٢، ١٩٨
ابن سلاّم الجمحي ٩
ابن عائشة (المغنّي) ٦١، ١٠٩
ابن عبد ربّه ٣—٧، ٩، ٣١، ٣٦، ٣٢، ٦٣، ٦٦—٧٣، ٧٤، ٩٧، ٩٨، ١٠٣، ١١٠، ١١١، ١١٦، ١٢٧، ١٤١، ١٥٣، ١٥٧، ١٦٦، ١٨٩، ١٩٤، ١٩٥
ابن غزالة الكندي (شاعر) ٦
ابن قتيبة ١٨، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٦٨، ٧٠، ٩٦، ٩٨، ٩٩، ١٠٣، ١٠٧، ١١٦، ١٢٤، ١٢٧، ١٣١، ١٣٢، ١٣٦، ١٨٨، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٩، ٢٠١، ٢٠٣
ابن النديم ٤٠، ٤١
ابن هشام ٥، ٧، ١٣، ١٤، ١٧، ٣٨، ٤٨، ١١٦
ابنة البكرين ٦٩، ٧٠
ابو الاسود الدؤلي ٢٢، ١٣١
ابو بكر ١٥، ٣٠، ٣١

* (ق) اختصار قبيلة و (م) اختصار موضع

ابو جهل ٧، ١٠، ١٢، ١٣
ابو خالد ٨٦، ١٥١
ابو ذؤيب الهذلي ٨
ابو ربيعة بن المغيرة (وآل ابي ربيعة) ٦—٩، ١٢، ٣٠، ٣٩، ٣٣، ١٨٣
ابو سفيان ١١، ١٣
ابو شحوة ١١٨
ابو صفوان الجمحي ١١١
ابو طالب بن عبد المطلب ١١
ابو العباس الاعمى ١٣١، ١٨٣
ابو عبد مناف ٩
ابو عبيدة ٩
ابو عمرو بن العلاء ٥١
ابو الفداء ٣٩
ابو قبيس (جبل) ٧٣، ١٨١
ابو قيس بن الصلت ٥١
ابو كاهل ٨٦، ١٥١
ابو لهب ١٣٥
ابو لؤلؤة (فيروز) ٣
ابو المحاسن ٣٠٠، ٣٠١
ابو مسعود عمرو بن عمير الثقفي ٦
ابو مسهر العذري ٨٦، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٧، ١٩٣
ابو نواس ١٩٠
ابو هفان ١٨١
أبين (بلدة) ١٩، ٣٤، ٩٣
أجياد (م) ٩٥، ٣٠٣
احباش ١٤
أحد (جبل) ١
أحد (يوم) ١٣، ١٦، ٤٨
الاحنف بن قيس ٣٠
الاحوص الشاعر ٥٠، ٥١، ٦٧، ٨٣، ٨٤، ١٠٣، ١١٣، ١٢٥، ١٤٣، ١٥١، ١٦٤، ١٦٥، ١٧٩، ١٨٤، ١٩١، ١٩٨
اخبار عمر ابن ابي ربيعة (كتاب) ٤٠
الاخطل ٣٧
الازد (ق) ١٩
الازرقي ١٠٣، ١٢٨، ١٩٧
الازهر (الجامع) ٧٠
اسحق ١٨١
أسد (ق) ٣، ٥
اسد بن كرز ٥٥
الاسلام ٤، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١٧، ١٩، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٤٢، ٤٣، ٤٦، ٤٨، ٤٩، ٦٤، ١١٦، ١٧٦
أسماء ١٧٠
أسماء (احدى محبوبات عمر) ٦، ٣٣، ٣٠١
اسماء بنت ابى بكر ٣٠
اسماء بنت مخرّمة النهشلية ١١، ١٣، ١٤، ١٥، ٣٥، ٣٦
الاسود بن يعفر ٥١
اشعب ٧٣
الاشعث (آل) ١٦٣
الاصابة في تمييز الصحابة (كتاب) ١١
الاصبهاني ٣، ٧ — ٢٢، ٢٤—٢٦، ٣٨، ٣٩، ٣٣—٣٥، ٤٥، ٤٧، ٤٩—٧٩، ٨٣—٩٠، ٩٣ — ٩٧، ٩٩—١٠٤، ١٠٦ —١١٧، ١١٩، ١٣٣—١٣٤، ١٣٦—١٣٨، ١٤١ —١٤٣، ١٤٦ — ١٤٩، ١٥١—١٥٣، ١٥٧—١٧٠، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦—١٨٥، ١٨٩—١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٧—٣٠٠، ٣٠٣
الاصمعي ٥١
الاعراب ٤١
الاعشى ٥١
اعشى همدان ١٠
الاغاني (كتاب) ١١، ٣٦، ٤٩، ٨٦، ٨٧، ٩٣، ١١٧، ١٥٧، ١٦٧، ١٩٩، ٣٠٠
افريقية ٣
الف ليلة وليله (روايات) ١٠٠، ١٨٣
أمَةُ الحميد ٩٦
أمَة الواحد ٨٦، ١٠٨، ١٥١
أمَة الوهّاب ٩٣
امرؤ القيس ٥١، ١٥٥

ام الحكم ٤٣، ١٦٤
ام حميد بنت عبد الرحمن بن عبدالله ابن ابي ربيعة ٣٠
ام الربيع ١١٥
امّ زيد ٩٣
ام سلمة ١٣
ام عثمان بنت عبدالله بن الحارث ١٥٨
ام عثمان بنت عبدالرحمن بن عبدالله ابن ابي ربيعة ٣٠
ام عمرو ٤٧، ٩٧
ام الفضل ١٠٠
ام كلثوم بنت ابي بكر الصديق ٣٠، ٦٣، ٧٠، ٩٦
ام محمد بنت مروان ١٦٣
امّ المغيرة ابن سلمة ٩
ام نوفل ٥٣، ١٧٥، ١٩٣
ام هانئ (اخت علي) ١٤
أميّة (الامويّون) ٣، ٥، ١٠، ٣١، ٣٢، ٣٤، ٣٩، ٤٩، ٥٤، ٥٦، ٦٩، ٧٨، ٩١، ٩٦، ٩٨، ٩٩، ١٠٣، ١٤٦، ١٦٣، ١٧٨، ١٩٦
اميّة ابن ابي حذيفة بن المغيرة ١٣
الانصار ٥٣، ٦٩
انف الناقة (بنو) ٨
اوربة ٣٠٣

* ب *

بابل ٣، ٨٦، ١٠٩، ١١٥، ١٣٦
بادية الحجاز ٤١، ٨٦
بثينة ٥١، ٦٨، ٩٠، ١٦٨
بجير ١١
بجيلة (ق) ٥٥
البحر الاحمر ٣
البحر الهندي ٣
البحرين ٨، ١٥
بحيرا (اسم عبدالله ابن ابي ربيعة في الجاهلية) ١١، ١٣
بدائع البداءة (كتاب) ١٣٤
بدر (يوم) ٤، ٥، ١٠، ١٣، ١٦، ٣٨
بُديح ١٤٩، ١٧٧
بُديح المليح (المغنّي) ١٠٩
البربر ٧٥
البُرَداء (حمّى) ١٥٨، ٣٠٢، ٣٠٣
برد الفؤاد (المغنّي) ١٠٩
بسباسة (م) ١٠
بشّار (الشاعر) ١٩٠
البصرة ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٨٦، ٨٧، ٩٥
بُصرى ٩٠
البطحاء (م) ١٠، ١٦١
بطن نخلة (م) ١٦
البغدادي ٣، ١١، ١٤، ٣٠، ٣٣، ٣٥، ٣٦، ٣٨، ٣٩، ٣١، ٣٨، ١٠٨، ١٢٣، ١٤٣، ١٩٧، ١٩٩
البَغوم (امرأة) ١٧٠
البقيع (م) ١، ٤٣، ٧٠، ٧١، ٩١
بكر (بنو) ٩
البكريّ ١٨، ٣٨، ١٣٦
البلاذري ١٦، ٩٧، ١١٦، ١٩٩، ٣٠٣
البلاط (م) ١، ٣٥، ٤٢، ٤٣
بلال مولى ابن ابي عتيق ٦٠، ٦١
بُلبلة (المغنيّة) ١١٠
بنانة (جارية) ٧٦
بولاق (م) ٣٠٠
البيان والتبيين (كتاب) ١٩٦
بيسان (م) ١٣٥
البيضاوي ٤
البيهقي ٣١، ٣٣

* ت *

تاج العروس (معجم) ١٥٥
تاريخ الخلفاء (كتاب) ١٧٩
تبالة (بلدة) ١٠٦، ٣٠٣
تبوك (م) ٩٣

تهامة ٨٣، ١٣٠
التوزي ٥١
تيم (ق) ٦٣، ٧٦

* ث *

الثريا بنت عبدالله بن الحارث ٣٠، ٣٥، ٣٦، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٥٤، ٥٧، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٦، ٧٠، ٧٥، ٨٤، ٨٥، ٨٧، ٩٤، ٩٥، ١٠١، ١٠٨، ١٤٠، ١٤٣، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٥٨، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٧، ١٨٠، ٣٠٠
الثعالبي ١١٠
ثعلبة بن عبدالله بن صعير ١٩٩
ثقيف (ق) ٦، ١٣٤
ثواب (امرأة) ١٩٣

* ج *

الجاحظ ٩، ٢٢، ٢٧، ٣٤، ٣٦، ٤٥، ٩٣، ٩٧، ١٠٠، ١٠٧، ١١٦، ١٢٨، ١٣٩، ١٤٧، ١٥٢، ١٥٣، ١٦١، ١٦٦، ١٨٣، ١٩٦، ١٩٧، ٣٠٢
الجاهليّة ٤، ٨، ١٠، ١١، ١٧، ٥٥، ١٦٠
جبريل ١٣٠
جبّور ١٨، ٦٦، ٨٥، ١١٣، ١٣٠
الجحفة (م) ١٤٣
جدّر (بلدة) ١٢٥، ١٣٦
جرير ٧١، ١٠٣، ١٢١، ١٧٩
الجزع (م) ١١٩
الجزل (م) ١٧٠
الجزيرة العربية ٣، ٥٣، ٨١
جشم (ق) ٦٣، ١٠٧
الجمرة (م) ٣، ١٠٣، ١٣٤
جمل (فتاة) ٤٣
الجمل (واقعة) ٣٠، ٦٩، ٧٠
الجمّاء (م) ١٠٩
جميل بن معمر ٥٠، ٥١، ٦٧، ٦٨، ٨٩، ٩٠، ١٠٠، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٩
جميلة المغنّية ٥، ٣٠، ٦٧، ٨٣، ٨٨، ١٠٩، ١١٣، ١١٤، ١٢٥، ١٥١، ١٥٩، ١٦١
جناب (م) ٦١، ٨٩
الجند (بلدة) ١٤، ١٥، ١٨، ٣٤، ٣٥، ٩٣
جنّاد (غلام عمر) ٣٩، ١١٧، ١٣٢، ١٥٣
جنادة العذري ١٦٥
جنيد (م) ١٧٠
جوان بن عمر ابن ابي ربيعة ٦، ١٠٦، ١٠٧، ٣٠٢
جيرون (بلدة) ١٠٩
الجودي بن عديّ الغساني ١٤١

* ح *

حاجي خليفة ٤٠، ٣٠١
الحارث ابن ابي ربيعة ١٦، ١٧، ١٨، ٣٠ — ٣٥، ٤٤، ٤٧، ٥٤، ٦٩، ٨٧، ٩٣، ٩٦، ٩٨، ٩٩، ١٠٧، ١٨١، ١٨٢، ١٩١، ٣٠٢
الحارث بن خالد المخزومي ٥١، ٥٨، ٥٩، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٨، ٧٩، ١٠٤، ١١١، ١١٤، ١٢٥، ١٣٨، ١٤١، ١٥١، ٣٠٠
الحارث بن هشام ١٢
حبابة (المغنّية) ١١٠
الحبشة ١٢، ١٣، ١٧
حبيب بن مسلمة الفهريّ ٥٥
الحجاز ١، ٢٢، ٣٥، ٤٣، ٤٩، ٥٤، ٥٩، ٨٣، ٨٥، ٨٦، ٩١، ٩٥، ٩٨، ٩٩، ١٠١، ١٠٣، ١٠٦، ١١٠، ١١٥، ١١٦، ١٤٦، ١٥٧، ١٨٥، ٣٠٢
الحجاج بن يوسف ١٠، ٦٦، ٨٧، ٩٨، ١٣٦، ١٣٨، ١٤٧
الحجر الاسود ١٢٣، ١٣٥، ١٧٩
الحديث ١٧، ٤٤، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٣٠٣
الحرّة (يوم) ٢١، ٦٩، ٧٠، ٧٢، ٩١
الحرميّ ابن ابي العلاء ١٦٩
الحزين الكناني ٥١، ١١٧، ١٢٢، ١٣٣، ١٣٥، ١٤٣، ١٥١
حسّان بن ثابت ٥١
الحسن البصري ٢٧
الحسن بن عتبة اللهبي ١١٣
الحسين بن علي ٦٩
حسين هيكل ٨٥
الحُصري ٣٨، ٥٩، ٦١، ٨٤، ٩٩، ١٠٠، ١٣٤، ١٨٠، ١٨١،

١٩٤، ١٩٥، ١٩٩، ٣٠٠
حضرموت ١٨
الحطيئة ٥١
حَفِير (بلدة) ٩٠
حليس بن يعمر ١٣١
حمص ٩١
حمّاد الراوية ١٥٤
حمّاد بن اسحق ١١٩
حَمِيدة (امرأة) ١٥٠
حِمْيَر ٦، ١٨، ١٨١
الحنبلي ١٦، ١٧، ٦٤، ١٩٧
حنيف بن السجف ٢٢
حُنَين (م) ١٤
الحوادث (ماء) ١٥٥
حوران ٩١
حيّ التمّارين ٨٧

* خ *

خالد بن العاص بن هشام ٥٨
خالد القسري ٤٣، ٥٠، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٦٠، ١٦٠، ١٦٥
خالد بن هشام بن المغيرة ١٣
خالد بن الوليد ٤، ٧، ٨، ٩، ١٤، ٣٧
خثعم (ق) ١٠٦
خراسان ٥٦، ٧٣
خزانة الادب (كتاب) ٩٩
خليدة (المغنّية) ١٠٩
الخندق (يوم) ٥
الخنساء ٥١
الخوارج ٢٣، ٣٤، ٤٧، ٤٨
الخَوَرنَق (م) ٨٨
الخَيف (م) ٨، ٤٩، ١٣٠، ١٣٤

* د *

دار عقبة ١٣٥
دار الكتب المصرية ٤٩
الدارمي الشاعر ١٩٠
داود النبي ٦١
الدلاّل المغني ٦٦، ٧٩، ١٠٩، ١١٣
دمشق (انظر الشام)
الدَّمِيري ٣، ٢٧، ١٣١، ١٩٧، ٣٠١
دَهْلَك (جزيرة) ٣، ١٠٣، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨
الدوحة (يوم) ١٥٥
ديباجة الخرم (امراة) ١٨٤
الدَّيل بن بكر (ق) ٦٠، ١٣١
ديوان عمر (كتاب) ٤٩، ٨٧، ٩٠، ١٠٥، ١٠٦، ١٥٤، ٢٠١

* ذ *

ذاتُ عِرق (م) ٤٤، ١٣٨
الذهبي ١١، ٤٦
ذو الأثْل (م) ٩٣
ذو خشب (يوم) ٤٩
ذو دَوران (م) ٨١
ذو الرمحين (انظر ابو ربيعة)
ذو المجاز (سوق) ٦

* ر *

الرباب (امرأة) ٦١، ١٧٥، ١٩٣
رُبيحة (المغنّية) ١٠٩
الرَّحب (م) ١١٩
رحمة (المغني) ١٠٩
الردّة ١٠، ٣٨
رضيّا بنت عبدالله بن الحارث ١٥٨
رملة بت عبدالله بن خلف ١٠٧، ١٤٧، ١٧٤
رملة اخت عبد الملك بن مروان ٩٣، ٩٧، ١٠٠، ١٠٧، ١٤٦
الروم ١، ٨، ٩١
الرياشي ١٤٨

* ز *

زاد الركب ٨
الزبرقان بن بدر ٨
الزبير (وآل الزبير) ٣١، ٩١، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ١٠٤

٢٠٢
الزبير بن بكّار ٤٠، ١٤٢، ١٧٥، ١٨٠، ١٨١
الزبيريّ ١٨١
زرتشتين ٣٦
الزرقاء (المغنّية) ١١٠
زفر بن الحارث ٩١
زمزم ٥٦
زَهر الآداب (كتاب) ٥٩
الزُّهريّ ٣٠
زهير ابن ابي سلمى ٥١
زهير ١٩٣، ٥٣
زياد بن عبدالله الحارثي ١٠٦
زيد بن عمرو بن عثمان ١٨٤
زينب بنت عمر بن ابي سلمة المخزومي ٩٧
زينب بنت موسى الجمحيّة ٦٣، ٧٦، ١٦٠
* س *
سائب خاثر المغني ٦١، ٦٤، ١٠٩
سالف بن سنان ٥٣، ١٩٣
سبيعة العراقية ٣٩، ٨٢، ٨٨
سجستان ١٦، ١٧
سَرْف (م) ١١٨
سماد ١١٣
سعد (بنو) ٩٣، ٩٥
سعدى ٦١
سعدى بنت عبد الرحمن بن عوف ١٧٤
سعيد بن عبد الرحمن بن حسّان ٤٨
سعيد بن المسيّب ٤٦، ٤٧، ١٠٤، ١٩٥
سعيد بن وهب ١٩٠
سعيدة (امراة) ١٤٨
سُعيدة (المغنية) ١١٠
سُكْن (امراة) ١٧٥
سكينة بنت الحسين ٧٥، ٧٦، ٨٤
سَلامة (امراة) ١٩٣
سلاّمة المغنية ٥٩، ١١٠
سلمى ٧١، ١٦٥
سليمان (آل) ١٩٠
سليمان (الحكيم) ١٠٠
سليمان بن عبد الملك ٣٩، ٥٦، ٨٥، ٩٦، ٩٧، ١٠١، ١٠٢، ١٢٥، ١٣٨، ١٩١، ١٩٨
سَمُرَة الدوماني ١٨١
سَهم (بطن من قبيلة) ٣، ٩٣، ٨٨
سهيل بن عبد الرحمن الزهري ٩٤
سوريّة ٣، ٨٩، ٩١
سويقة (يوم) ٣٠١
السيوطي ٣٦، ٣٧، ٤٦، ١٠٣، ١٧٩، ١٩٧
* ش *
الشام ١، ٨، ٩، ١٥، ٢١، ٣٨، ٥٣، ٥٥، ٨١، ٨٩—٩٣، ٩٧، ١٠٠، ١٠١، ١٠٣، ١٤٦، ١٤٧، ١٩٦، ١٩٩، ٣٠٠، ٣٠٣
شذرات الذهب (كتاب) ١٦، ١٧
شرب (يوم) ٩
شرح شواهد المغني (كتاب) ٣٦، ٤٦
شرقي الاردن ٩١
الشَّرْي (م) ١٨٥
الشعر والشعراء (كتاب) ١٩٦
شَمُوب (قصر) ٩٤، ١٥٨، ٣٠١
شفارز ١٦، ٣٦، ٣٩، ٨٧، ١٣٤
الشماسية (المغنيّة) ١١٠
شيبان (بنو) ٦
شيخ بني كاهل ٤١
* ص *
الصحابة ٤٤، ٥٧
صفوان بن اميّة ١٣
صفّين (يوم) ٦٩، ٧٠
صنعاء ١٥
* ض *
الضحاك بن قيس ٩١
* ط *
الطائف ٦١، ٦٧، ٧٩، ٨٢، ٨٤، ٨٥، ١٠١، ١٠٢، ١٢٦، ١٢٧،

١٤٨، ١٥٨، ١٧٧، ١٨٣، ١٨٥، ١٩١
طارق ٤٨
الطبري ١—٥، ٧، ٨، ١١—١٥، ١٩—٢٢، ٣٩، ٤٣، ٤٨، ٥٦،
٦٣، ٨٧، ٩٣، ٩٨، ١٠١، ١٩٨
طبقات ابن سعد (كتاب) ٢٢
طلحة ١٠، ٣٠
طلحة بن عبدالله بن عوف ١٠٤
الطور (جبل) ١٧٦
طُوَيس (المغني) ٩، ١٠، ١١٠
طه حسين ٧٠، ١٣١، ١٦٣، ١٧٣، ١٩٠
طيبة (انظر المدينة)
* ع *
عائشة بنت ابي بكر ٣٠، ٦٣، ٧٠، ٩٨
عائشة بنت طلحة ٣٠، ٦٠، ٧٠، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٨٣، ٨٥،
١٣٠، ١٥١، ١٦١، ١٧٤، ١٨٠، ١٨٣
العاص بن هشام المخزومي ٣٨
العباسي ١٩٠، ١٩٩
عبد العزيز بن عبدالله بن عياش ١٨١
عبدالله ابن ابي ربيعة ٨، ١١، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧،
١٨، ١٩، ٢٣، ٢٤، ٣٥، ٣٨، ٤١، ٤٣، ٩٦
عبدالله بن جعفر ٤٣، ٥٠، ٥٧، ٦١، ٦٢، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧،
٧١، ٧٣، ٩٨، ١١٠، ١١١، ١١٣، ١٥٩، ١٦٠
عبد الله بن الزبير ٣٠، ٣١، ٣٢، ٦٩، ٧٨، ٨٧، ٩١، ٩٨،
٩٩، ١٧٩
عبدالله بن صفوان ٦٦
عبدالله بن عباس ٢٧، ٣٤، ٤٤، ٤٧، ١٠٤، ١٨٩، ١٩٥
عبدالله بن عبدالله ابن ابي ربيعة ٣٣
عبدالله بن عبد الملك بن مروان ١٣٣
عبدالله بن عمر بن الخطاب ٦٥، ٧١، ١٠٣، ١٩٧
عبدالله بن عياش بن ابي ربيعة ١٧، ٣٣
عبدالله بن هلال ٨٦، ١٠٩، ١١٥
عبدالله بن يزيد بن اسد ٥٥، ٥٦، ٥٧
عبد بني الحسحاس ٤٣، ٥١
عَبدة ١٤٤
عبد الدار (ق) ٣، ٥
عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ٨، ٣٠
عبد الرحمن بن عبدالله ابن ابي ربيعة ١٧، ٣٠، ٣١،
٣٣، ٩١، ٩٢، ٩٦
عبد الرحمن بن عوف ٣
عبد شمس ٩٩
عبد مناف ١١٨، ١٣٠، ١٣٣، ١٣٤
عبد المطلب (جدّ النبي) ٥، ١٣٠
عبد الملك بن عبدالله ابن ابي ربيعة ٣٣
عبد الملك بن مروان ٣١، ٣٣، ٣٤، ٥٦، ٦٤، ٧٨، ٩٣،
٩٦—١٠٣، ١١١، ١١٩، ١٢٣—١٢٥، ١٣٨، ١٣٩،
١٨٣، ١٩١
عُبَيد بن سريج (انظر ابن سريج)
عبيدالله بن قيس الرقيّات ٩٨، ٩٩
عثمان بن ابرهيم الخاطبي ١٦٥
عثمان بن حيّان المرّي ٥٩
عثمان بن عبد الرحمن بن عبدالله ابن ابي ربيعة ٣٠
عثمان بن عبدالله بن المغيرة ١٣
عثمان بن عفان ١٥، ١٦، ١٧، ١٩، ٣٤، ٣٥، ٤٣، ٥٣، ٥٥،
٧٣، ١٩٩
عُثَيم (امراة) ١٨٠
عُثَيم (احدى صاحبات عمر) ١٦٠
عدَن ٨١، ٩٣، ١٥٩
عدِيلة ١٥٥
عديّ (ق) ٣
عديّ ٤٣
عديّ بن زيد ٥١
عذرة (بنو) ٨٦، ١٥٤، ١٦٨
العَذيب (مَسيل) ١١٩
العراق ١، ٣، ٩، ٢٢، ٣٨، ٣٩، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٨١، ٨٣، ٨٦، ٨٧،
٨٨، ٨٩، ٩٣، ٩٦، ٩٨، ١٠٧، ١١٠، ١١٨، ١٣٣، ١٦٣، ١٦٤،
١٦٤
عراك بن مالك ١٩٨
العرب ١، ٣، ٥، ٦، ٩، ١٩، ٣٨، ٥٣، ٦٣، ٩١، ٩٨، ٩٩، ١١٧،

١٣٧، ١٩٩
عَرْج الطائف (م) ١٣٦، ١٩٩
العرجي (الشاعر) ٦، ١٠٦، ١٣٦، ١٧٩، ١٨٤، ٣٠٠
عرفات ١٥٥
عروة بن الورد ٥٠
عَزَّة الميلاء (المغنّية) ٦١، ٦٦، ١٠٩، ١١١، ١١٣، ١١٤، ١٥٩
عُسفان (م) ١٤٣
العصر العباسي ١١٣
عطاء ٣٦، ٣٧
عطّاف بن خالد ٤٦
عَفراء ١١٩
العقد (كتاب) ٦٣، ١٥٣، ١٥٧
العقيق (وادي) ١، ٤٣، ٥٣، ٥٤، ٦٤، ٦٦، ٧٣، ٧٦، ١١١، ١١٣، ١١٦، ١٣٦، ١٦٣، ١٨٥
عقيلة (المغنّية) ١١٠
عكاظ (سوق) ٦
عكاظ (يوم) ٩٧
عِكرِمة ابن ابي جهل ٤، ٧، ١٣
علقمة الفحل ٥١
علي ابن ابي طالب ١٤، ٢٣، ٤٧، ٥٣، ٦٣، ٦٦
علي بن صالح ١٨١
علي بن ظافر ١٣٤
علي بن عبدالله بن عباس ١٣٥
عُمان ١٩
عمر بن الخطاب ١، ٣، ١٤، ١٥، ١٧، ١٨، ٣١، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٢٧، ٣٨، ٣٩، ٤٥، ٤٧، ٥٥، ٧٢، ٣٠٠
عمر بن عبد الرحمن المخزومي ٣٠
عمر بن عبد العزيز ٩٧، ١٠٣، ١٠٤، ١٩١، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ٣٠٠
عَمرة بنت النعمان ٤٨
عمرو بن سعيد بن العاص ٩١
عمرو بن العاص ١٣، ١٤
عمرو بن مرثد ١١
العُمري ١٣٨
عمّارة بن الوليد ٧، ١٣، ١٦٠
عمّان ٩٣
عنترة ٥١
عياش ابن ابي ربيعة ٨، ١٣، ٣٣، ٣٨
عوف ٣١
العيني ٣٧، ٤٤، ١٠٤، ١٩٧
الغريض المغني ٧٠، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٤، ١٠١، ١٠٩، ١١١، ١١٣، ١٦١، ١٦٣،
* غ *
غمدان (قصر) ٩٤، ١٥٨، ٣٠١
الغميم (م) ٤٣
* ف *
فارس ١
فاطمة بنت عبد الملك بن مروان ٩٣، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٧، ١٦١، ١٦٦، ١٧٠، ١٨٣
فاطمة بنت محمد بن الاشعث الكندية ٣٨، ٨٨، ١٠٨، ١٣٣، ١٤٩، ١٦١، ١٧٧
الفاكهي ٣٣
الفتح (عام) ١٥
الفِجار ٩
الفرات ٨٦، ١٠٩، ١١٥
الفرزدق ٥١، ١٣٥، ١٧٩، ١٩٠
الفرس ١
فَرعة (المغنّية) ١١٠
فزارة (قبيلة) ٦١
الفضل بن عباس بن عتبة اللهبي ٩٩، ١١٩، ١٣٠، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٨، ١٦٦
فكتوريا (الملكة) ١٣٧
الفَلافِس النهشلي ٢٣
فلسطين ٩٠—٩٣
فند (المغني) ١٠٩
فِهر بن مالك ٨، ٣٩
في منزل الوحي (كتاب) ٨٥

* ق *
القالي ٩، ٦٨، ٨٧، ١٠٠، ١٥٢، ١٩٥
قُتيبة القائد ٧٣
قُدامة بن موسى الجمحي ١٦٠
القرآن (كتاب) ٣، ٤، ٧، ٤٢، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٨، ١٨٠،
١٨٩، ١٩١، ١٩٥
القرشي ٨
قَرْن المنازل (م) ٨٥
قريش ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٧، ١٩،
٢٤، ٢٩، ٣٠، ٣٧، ٣٨، ٤٢، ٤٨، ٥٢، ٥٨، ٧٣، ٧٤، ٧٦،
٧٨، ١٠٧، ١٣٤، ١٤١، ١٤٢، ١٦٠، ١٦٣، ١٨٤
قريش البطاح ٣، ٧٢
قريش الظواهر ٣
قُصيّ ٤، ٢٠
قوهستان ٤٥
قيس (ق) ٩١
قيس بن سعد ٦٣
قيس بن مهجع . انظر (ابو مسهر)
قيصر ١٠٠
* ك *
الكثب (م) ١١٩
كثيب الأمَر (م) ١٨٥
كثيب الغدر (م) ١٨٦
كُثيّر الشاعر ٥٠، ٥١، ٦٧، ٨٤، ١٠٠، ١٠٧، ١٤١، ١٤٣،
١٥١، ١٦٤، ١٦٥
كَدَاء (طريق وجبل) ٨٤، ٨٥
الكديد (م) ٣٤، ١٣٨
كَراء (طريق) ٨٥
كِسرى ١٠٠
الكعبة ١، ٣، ٦، ١٠، ١١، ٤٧، ٧٣، ٩٨، ١٠١، ١١٩، ١٥٣،
١٦٠، ١٧٦، ١٨١
كلب (ق) ٩١، ١٣١، ١٥٥، ١٥٧
الكلبي ١٠١
كلثم بنت سعد المخزومية ٣٨، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٨،
١٤٦، ١٤٩، ١٥٣، ١٦١، ١٧٠، ١٧٤، ١٨٣
كِنانة (ق) ٩، ٦
الكوفة ٢٢، ٥٣، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ١١٥
الكوكب (جواد عمر) ٣٩، ١١٧، ١٥٣
* ل *
لامنس ٣، ٤، ٥، ٩، ١٤
لُباب ١٤٠
لَحْج (بلدة) ١٨، ١٩، ٢٤، ٩٣
لدّ (م) ٩٢، ٩٥
لذّة العيش (المتنبّة) ١١٠
ليلى ١٠٠
ليلى بنت الحارث بن عوف ٥١
* م *
مالك (الامام) ٤٦
مالك ابن ابي السمح (المغنّي) ١٠٩
مالك ابن اسماء الشاعر ٥١
المبرّد ٤٤، ٤٨، ٥٧، ٥٩، ٦٠، ٩٧، ١٠٤، ١٦٠، ١٨٠
المثقب العبدي ٥١
مجد (ام عمر) ١٨، ١٩، ٢٤
المُحَصَّب (م) ٩٩، ١٠٣، ١٣٥
محمد (النبي العربي) ١، ٣—١٥، ٢٤، ٤٨، ٥٦، ٦٣، ٧٠،
١٢٠، ١٢١، ١٣٨، ١٥٧، ١٧٦، ١٩٠، ١٩٩
محمد ابن ابي بكر ٦٣
محمد بن حازم ١٩٠
محمد بن الحجّاج بن يوسف ٨٧، ١٠٤
محمد بن العباس ١٢٢، ١٣٤
محمد العثاني ٤٩، ٧٠
محمد بن مصعب بن الزبير ٩٦، ١٠٤، ١٠٨، ١٧٠
محمد بن وضّاح ١٨٩
المختار ٤٨، ٨٧، ٨٩
مخزوم ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٨، ٩، ١٠، ١٤، ٢٧، ٣٨، ٣٠، ٣٢، ٧٨،
٨٧، ٩١، ٩٦، ١٢٠، ١٢١، ١٢٧، ١٣٨، ١٦٤، ١٨٣
المدينة ١، ٢، ١٥، ٣١، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٥، ٥١،
٥٢، ٥٤، ٦١، ٦٣—٧٣، ٨٠، ٨٣—٨٥، ٩١، ٩٣، ٩٤،

٩٧، ١٠٢، ١٠٩، ١١٠، ١١٣، ١١٨، ١٢٦، ١٣٧، ١٤٣،
١٥٩، ١٦١، ١٨٥، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠٢
مرج راهط ٩١
مَرّ (م) ٣٤، ١٣٨
المرزباني ٢٩، ٣١، ٥١، ٦٧، ٨٤، ٨٥، ٩٩، ١٠٣، ١٢٤، ١٤١ ،
١٤٣، ١٤٣، ١٨٣، ١٩١
مروان بن الحكم ٤٥، ٣٦، ٧٨، ٩١، ٩٧، ٩٨ ، ١٠٤ ،
١٥٩، ١٩٩، ٢٠٢
المزدلفة (م) ١٥٥، ١٦٤
المسجد الاقصى ١٧٦
المسجد الحرام ٩٩، ١١٩، ١٢٠، ١٢٨، ١٣٨
مسجد النبي ١، ٧٠
مسعدة بن عمرو ٩٤
مسلم بن عقبة ٦٩، ٧٢، ٩٧
مسلم بن الوليد ١٩٠
مَسلَمة بن عبد الملك ١١٩
مسيلمة (الكذّاب) ١٠
المشرق (مجلّة) ٩، ١٤
مصر ١، ٤٥، ٦٣، ٧٠، ٩١، ٩٤، ١٠٨
مصعب بن الزبير ٢٣، ٣٥، ٣٦، ٤٨، ٦٠، ٨٧، ٨٩، ٩١، ٩٢،
٩٧، ٩٨، ١٠٤، ١٦٠
مصعب الزبيري ٥٥، ٩٠، ١٦٧، ١٨٠
مصعب بن شيبة ٤٦
المصلّى (م) ١، ٤٣، ٧١
مصوّع (بلدة) ١٩٦
مضر (ق) ٩٦
معاوية ابن ابي سفيان ٥، ٨، ١٥، ٦٤، ٦٩، ٨٣، ٨٧ ، ٩٥ ،
٩٧، ١١١
معاوية بن عبدالله بن جعفر ٦٤
معاوية بن يزيد بن معاوية ٩٨
معبد (المغنّي) ٦٤، ٧٣، ٩٠، ١٠٩، ١١٠، ١٣١، ١٣٤
معدّ (ق) ٦، ١٣٧
المغسلة (م) ١٠٩
المُغيرة بن شعبة ١
المغيرة بن عبدالله المخزومي ٥—١٢، ١٣٧
المفضّل بن سلمة ١٤٣
المقام (م) ١٢٥، ١٧٩
مكّة ١، ٣، ٥—٩، ١٢، ١٤، ٢٤، ٣٥، ٣٦، ٣٨، ٤١، ٤٤، ٥١ ،
٦٣، ٦٨—٧١، ٧٣، ٧٤—٧٦، ٨٠—٨٣، ٨٥، ٨٨، ٩١ ،
٩٢، ٩٥، ١٠١، ١٠٦، ١١٣، ١١٤، ١١٨، ١٢٠، ١٢٣ ،
١٢٦، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٣، ١٣٨، ١٤١، ١٤٣، ١٥٤، ١٥٨ ،
١٦٠، ١٧٤، ١٨٤، ١٨٥، ١٩٩، ٢٠٣
المَلأ ٩
الملاءة بنت زرارة ١٨٥
مَلَل (م) ١٠٧
منى (م) ٢٩، ٥٨، ٧٣، ٩٩، ١٠٣، ١١٨، ١٢٣، ١٢٤
المهاجرون ٦٩
المهدي ١٩٠
موسى بن عبد الرحمن بن عبدالله ابن ابي ربيعة ٣٠
الموسوعة الاسلامية (كتاب) ٣، ٤، ٥٠، ٦٩، ٣٦

* ن *

النابغة ٥١
نافع بن الازرق ٣٤، ٤٧
نافع الخير (المغنّي) ١٠٩
نافع بن طنبورة (المغنّي) ١٠٩
النجاشي ١٣
نجد ٣
نَشيط المغنّي ٦١، ٦٤، ١٠٩
نُصيب الاسوَد الشاعر ٥٠، ٥١، ٥٩، ٦٧، ٨٤، ٨٦، ١٤٣،
١٦٤، ١٦٥، ١٧٤
النَّعف (م) ١٢٧
نُعم ١٤٤، ١٥٠، ١٨٠، ١٨٧
النعمان بن بشير الانصاري ٩١
النعمان بن المنذر ١٠٠
نهاية الارب (كتاب) ١٧٩
نهج البلاغة (كتاب) ١٠
النهر والي ٩٩، ١٠١
نَوار ١٢٣

نوفل (ق) ٣، ٩٩
نومة الضحى (المغنّي) ١٠٩
النّوَوِي ١٦، ١٧، ٣٠، ٣٨، ٣٩، ٦٢، ٦٤
النُّوَيْري ٧٣، ٧٧، ١٧٩،
* * *
هارون ٤٣
هاشم (ق) ٣، ٥، ٦٦، ٧٣، ٩٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٤
هبة الله (المغنّي) ١٠٩
هبيرة ابن ابي وهب ١٤
هذيل (ق) ٤١، ٨٦، ١٥١
هرمز ١٠٠
هشام بن المغيرة ٦، ٧، ٨، ٩، ١١، ١٢، ١٢٠
هصيص (ق) ١٠
هند ٣٤، ٤٢، ٧١، ١٢٢، ١٢٥، ١٢٧، ١٤٢، ١٧٨، ١٩٤
هند بنت الحرث المرّيّة ١٦٥
هوازن (ق) ٩
هيت (المغنّي) ١٠٩
الهيثم بن عديّ ٣٦، ٢٧، ٣٠١
* و *
الواقدي ٣، ٥، ١٠، ١٢، ١٤، ١٥، ٣٩
ودان (م) ١٤٣
وستنفلد ٤، ٦، ٣٠٠
الوشّاء ٤٥، ١٣٣
وفيات الاعيان (كتاب) ٣٧
الوليد بن عبد الملك ٥٦، ٧٥، ٨٥، ٩٨، ١٠١، ١٠٣، ١٣٨،
١٥٣، ١٦١، ١٧٧، ١٨٠، ١٨٣، ١٩١، ١٩٤، ١٩٧، ٣٠٠
الوليد بن المغيرة ٤، ٦، ٧، ١١
وَهب (امرأة) ١٦٧
* ي *
يأجَج (م) ١١٨
ياقوت الحموي ٥١، ٨٧، ٨٨، ١٤٧، ١٦٣، ١٩٦
يثرب (انظر المدينة)
يزيد بن عبد الملك ٩٨، ١٠٢، ١١٩، ١٢٣، ١٢٤، ١٥٤
يزيد بن معاوية ٨، ٦٤، ٦٥، ٦٩، ٩١، ٩٧، ٩٨
يعقوب بن داود ١٩٠
اليعقوبي ١٤، ٣٩
يَقظة بن مرّة ٤، ١٤
اليمن ٣، ١١، ١٥، ١٨، ١٩، ٣٨، ٣٦، ٣٨، ٤١، ٤٢، ٤٤، ٤٩،
٥٥، ٦٧، ٨١، ٩٢، ٩٤، ٩٥، ١٥٨، ٣٠٢، ٣٠٣
اليهودية ٤٣

تصحيح خطأ

		الخطأ	الصواب
ص ١	س ٢٢	٢٦٨	٢٦٨٠
" ٢٢	" ٢٢	٥٦	١ : ٥٦
" ٦٤	" ٢٢	النوي	النووي
" ٨٧	" ٢٢	شوارز	شفارز (شفارتز)
" ٩٦	" ٢٢	٦٥	١٦٥
" ١١٧	" ٦	فنفصتا	فنفضتا
" ١٢٧	" ١٩	خيرًا	خيرٌ
" ١٢٨	" ١	خيرًا	خيرٌ

ʻUMAR IBN ABĪ RABĪʻAH

HIS AGE, LIFE, AND WORKS

VOLUME TWO

THE LIFE OF IBN ABĪ RABĪʻAH

BY

JIBRĀʼĪL S. JABBŪR, M.A.

Adjunct Professor of Arabic
in the American University of Beirut

Printed at the American Press, Beirut — 1939